دراسات فى تاريخ الحركة الصليبية
(٢)

تاريخ قيسارية الشام فى العصر الإسلامى

دكتور
حسن عبد الوهاب حسين
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



تقديم
دكتور
محمد محمد مرسى الشيخ
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
ورئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٠

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتر - الأزاريطة - الإسكندرية

دراسات فى تاريخ الحركة الصليبية
(٢)

تاريخ قيسارية الشام فى العصر الإسلامى

دكتور
حسن عبد الوهاب حسين
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

تقديم

دكتور
محمد محمد مرسى الشيخ
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
ورئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٠

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - اسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

«وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما»

صدق الله العظيم

إهداء

«إلى زوجتى التى وقفت بجوارى

وابنتى «أمنية» أهدى إليهما

هذا الكتاب وفاءً وعرفانا»

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم الاستاذ الدكتور / محمد محمد مرسى الشيخ
استاذ تاريخ العصور الوسطى ورئيس قسم
التاريخ والاثار المصرية والاسلامية
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

لم تجر عادتى من قبل أن أقوم بتقديم أحد من تلامذتى عند طبعه كتابا أو رسالة علمية، ولكننى فى الواقع لم أستطع أن أمنع نفسى من ذلك عندما أزمع تلميذى وأخى الدكتور/ حسن عبد الوهاب حسين نشر كتابه القيم «تاريخ قيسارية الشام في العصر الإسلامي».

وعلي الرغم من أننى لم أحظ بشرف الاشراف على هذه الرسالة والتى أعدها للحصول على درجة الماجستير، وذلك نظراً لاعارتى للعمل بالمملكة العربية السعودية فى نفس الفترة. وقام زميلى وأخى الاستاذ الدكتور / جوزيف نسيم يوسف بهذه المهمة على خير وجه، فاننى شرفت بعد عودتى إلى أرض الوطن بمناقشة هذا الباحث فى رسالته والتى حصل عليها بتقدير «ممتاز» فى ديسمبر ١٩٨٢ .

وأشهد اننى اعجبت برسالة هذا الزميل اعجابا شديداً، وبطريقته فى عرض المادة العلمية وبحاسته التاريخية الطيبة وحرصه علىٰ أن يقف معقبا على الاحداث ناقداً للروايات المختلفة لاظهار شخصيته العلمية المستقلة فى كثير من القضايا التى عالجها فى رسالته فى الوقت الذى تفتقر كثير من الرسائل التي تناقشها هذه الأيام إلى مثل ذلك وقل آن نجد باحثا يتصف بكل هذه المزايا ويجمع هذه المواهب.

والواقع ان الدكتور / حسن عبد الوهاب يعد من الباحثين الممتازين الذين

لمجبتهم مدرسة الاسكندرية فى دراسات التاريخ الوسيط بصفة عامة وتاريخ الحركة الصليبية بصفة خاصة، وهى مدرسة تميزت بصفة خاصة فى العقد الأخير من هذا القرن بدراسة الحركة الصليبية دراسة واعية متأنية وأهلت الدراسين فيها بالاسس الهامة التي تمكنهم من الجاز بحوثهم ورسائلهم علي خير وجه. فضلاً عن أنها غايرت المدارس الأخرى فى تناولها لتاريخ الحركة الصليبية من خلال مسح طبوغرافي لمنطقة الشرق الأدنى بمدنه وقلاعه وحصونه وأبرز معالمه حيث تجرى دراسة هذه الحركة من خلال دراسة هذه المدن والقلاع والحصون.

وتطبيقا لهذا المنهاج كان أختيار الدكتور / حسن عبد الوهاب لمدينة قيسارية لالقاء الضوء علي العلاقات السياسية لهذه المدينة وهى تحت حكم اللاتين لالقاء الضوء على دورها في العلاقات مع القوى الاسلامية في منطقة الشرق الأدنى الاسلامي خلال عصر الحروب الصليبية حتى دانت فى النهاية للمسلمين، وهو منهج ـ كما قلت ـ جديد فى تناول تاريخ هذه الحروب انفردت بها مدرسة الاسكندرية والتى تخرج فيها هذا الباحث.

ويبدأ الباحث دراسته بالتعريف بتاريخ المدينة وكيف تقلبت بها الأحوال حتى قيام الحملة الصليبية الأولي، ثم سقوطها فى قبضة الصليبيين وتحولت إلى اقطاعية صليبية تناولها بالتحديد والوصف الجغرافي وانعكاسات ذلك عليها ـ وهى فى الواقع اضافات لاتظهر فى الكتب التى تناولت جانبا أو آخر من جوانب الحركة الصليبية. فاذا أضفنا إلى ذلك تفاصيل علاقات هذه الوحدة بالقوى الاسلامية المجاورة وتراوح هذه العلاقات بين العداء والصفاء احيانا، ادركنا انها طريقة جديدة ومبتكرة لدراسة ذلك العصر بكل تجاربه وآلامه يقدمها باحث يقف على الأرض الاسلامية وفى رحاب مدينة اسلامية خضعت فترة للصليبيين يرقب فيها احداث الحركة الصليبية مداً وجزراً لاكعابر مع الجيوش الصليبية ومارأ بهذه الكيانات مرور الكرام، وانما كواقف على مسرح اسلامي تمر به وتتغلب امامه صروف الزمان.

وخلاصة القول أن الكتاب الذى بين أيدينا يجسم هذا المنهج الجديد ويبلوره تماما، ويعطينا الاحساس باننا نقف مع المؤلف على أرض قيسارية على الساحل الشامى تمر بنا احداث الحركة الصليبية يوما بيوم وحدثا بحدث وجيلاً بجيل، ونجح الدكتور/ حسن عبد الوهاب خلال ذلك ان يشد انتباهنا ويجعلنا نرهف الحس ونصغى بامعان لما يعرضه من تاريخ هذه المدينة وتاريخ المنطقة باسرها في الوقت، ولعله آثر ان يوقفنا معه على تلك الأرض لنرى ما مر بها من أحداث بدلاً من ان يجعلنا نتجشم متاعب التنقل والترحال بين معالم الشرق الأدنى كله، نشكراً له وليستمتع معى القراء الاعزاء بوقائع الحروب الصليبية علي أرض قيسارية.

وأخيراً ليس بوسعى إلا ان أشيد بهذا العمل الذى استطاع الباحث ان يرفق في التوصل الي نتائج هامة وجديدة فى تاريخ هذه المنطقة. وابان فيها عن حاسة تاريخية طيبة وقدم فيها حقائق جديدة، ومكنه ذلك من خلال اجادته لعدد من اللغات القديمة كاللاتينية والحديثة مثل الانجليزية والالمانية. ولايسعني مرة أخرى إلا أن أهنى الدكتور/ حسن عبد الوهاب بهذا العمل العلمى الطيب وأدعو له بدوام الرقي والتوفيق والمزيد من هذا الانتاج العلمى الطيب.

والله ولى التوفيق

الاسكندرية في أكتوبر ١٩٨٩

دكتور / محمد محمد مرسى الشيخ

استاذ تاريخ العصور الوسطى

ورئيس قسم التاريخ والآثار

المصرية والاسلامية

بكلية الاداب - جامعة الاسكندرية.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

على الرغم من كثرة المؤلفات التى ظهرت عن الحروب الصليبية أو أحد فصولها إلا انها لاتزال تمثل حقلاً خصيباً فى هذا المجال. فقد عاصرت ثلاث دول فى منطقة الشرق الأدنى الاسلامى هى : الدولة الفاطمية والدولة الايوبية وجانبا من دولة المماليك الأولى. وعلى الرغم من الفشل الذى مُنى به الصليبيون، إلا ان محاولات جرت لاحيائها مرة أخرى فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين. ولذا فقد تركت هذه الحروب أثرها وبصماتها على مجريات الاحداث - ليس فى الفترة الزمنية موضوع الدراسة - بل بشكل أو بآخر حتى يومنا هذا . ومن هنا تأتى أهمية دراسة هذه الفترة.

وعلى أيه حال، تمكن الصليبيون من اقامة كيان لهم فى بلاد الشام، قُسم إلى ثلاث امارات هى : الرها وانطاكية وطرابلس، ثم مملكة بيت المقدس والتي تفوقت على الامارات الثلاث بل وفرضت سيطرتها عليها في بعض الأحيان. وطبق الصليبيون نظامهم الاقطاعى الذى حملوه معهم من الغرب الأوروبى علي هذا الكيان الصليبى مع ادخال بعض التعديلات عليه حتى يتلاءم مع الظروف المنطقة. وقسمت هذه المملكة إلى عدد من الاقطاعيات الرئيسية والثانوية. وكانت اقطاعية قيسارية - موضوع هذا الكتاب - على رأس هذه الاقطاعيات الثانوية. وقد اقتصر اهتمام المؤرخين على المدن الرئيسية مثل بيت المقدس وعكا وصور وغيرها، دون الاهتمام بالمدن الأخرى مثل قيسارية وغيرها. ومن هنا جاء اهتمامنا بدراسة هذه الاقطاعيات الثانوية ومحاولة ابراز دورها فى الصراع بين الصليبيين والمسلمين. وقد أثبتت الدراسة أهمية هذا الدور والذى لم يكن يقل عن دور الاقطاعيات الرئيسية فى هذه الأحداث. كما ان الدراسات التى ظهرت فى مجال دراسة الحروب الصليبية من جانب المؤرخين الغربيين لم تكن تعبر إلا عن وجهة

نظر الغرب المسيحى دون ان تتناول الموضوع من وجهتى النظر الاسلامية والغربية، ولذا فانها بدت مبتورة بعيدة عن الحيدة العلمية. وقد وضعنا هذه الحقيقة العلمية عند دراسة هذا الموضوع من جوانبه المختلفة حتى يظهر بامانة علمية ويعبر عن وجهتى النظر.

وكان عنوان الدراسة التى تقدمت بها لنيل درجة الماجستير فى الآداب هو : «قيسارية تحت حكم اللاتين وعلاقاتها السياسية بالمسلمين فى الشرق الأدنى» (١١٠١ - ١٢٦٥م/ ٤٩٤ - ٦٦٣هـ) ، إلا اننى رأيت تعديل العنوان لكى يصبح «تاريخ قيسارية الشام فى العصر الاسلامى». ويرجع ذلك إلى اننى تناولت تاريخ المدينة منذ الفتح الاسلامى لبلاد الشام وما شهدته من احداث تاريخية مختلفة حتى استرداد المماليك لها فى عام ١٢٦٥م وانشائهم لمدينة أخرى داخلية هى قاقون التى حلت محلها فى الأهمية. وهناك نقطة هامة تجدر الاشارة إليها وهى ان الدراسة هنا تركزت على ابراز الجوانب السياسية التى اسهم فيها سادة الإقطاعية ورؤساء اساقفتها فى العلاقات مع المسلمين وبصفة خاصة في عصر الحروب الصليبية. اما الجوانب الأخرى من اقتصادية وثقافية واجتماعية، فلم ترد فى المصادر والأصول الأجنبية والعربية سوى نتف وشذرات مبعثرة، وهى لم نهملها بل اشرنا إليها على مدى صفحات هذا الكتاب.

ولاندعى اننا أول من كتب عن تاريخ هذه المدينة، بل ظهرت بعض الابحاث التى تناولت جانب من جوانب الموضوع وافدنا منها فى دراستنا. ويأتى على رأسها مقالة جوستاف باير G. Beyer والتى قدم فيها دراسة لتوابع إقطاعية قيسارية فى أثناء تبعيتها للصليبيين. وساعدنا ذلك فى توضيح حدودها فى هذه الفترة. غير أن باير لم يتعرض فى مقالته للجوانب السياسية بالتفصيل.[١] وظهرت مقالات أخرى

(١) G. Beyer, Das Gebiet deKreuzfahrerher schaft Caecared in Palastina, in ZDPV, PP. 1 - 90

تناولت سادة ورؤساء الاقطاعية وتسلسل انسابهم وفترات حكمهم.(١) واستكملنا الفجوات التاريخية الناقصة في هذه الدراسات مع عمل مقارنة بينها. اما عن دورهم في العلاقات مع المسلمين فقد كانت الاشارة إليها فيها سريعة وعابرة. والخلاصة ان هذه المقالات، لاتغطى سوى جانب محدود ، ولاتعبر إلا عن وجهة النظر الغربية، ولذا فانها جاءت مبتورة لاتفى اطلاقا بالغرض المطلوب.

أما من ناحية المنهج الذي اتبعناه والحدود الزمنية لتقسيمه، فقد جاء مختلفا عن الاسلوب الذي اتبعته هذه المقالات السابقة. فكان عام ١١٠١م هو البداية وعام ١٢٦٥م نهاية له. والتاريخ الأول هو تاريخ استيلاء الصليبيين على المدينة، والأخير استرداد المماليك لها. وقسمت الكتاب إلى خمسة فصول، تسبقها دراسة تحليلية لأهم مصادر البحث ومراجعه. ثم خاتمة وستة ملاحق وعدد من الخرائط واللوحات. وفى الفصل الأول وعنوانه «استيلاء الصليبيين على قيسارية وتأسيس إقطاعية صليبية بها (١١٠١ - ١١١٠م/٤٩٤ - ٥٠٤هـ) قدمت دراسة لتاريخ المدينة منذ انشائها فى العصر الرومانى وما شهدته من احداث اثناء تبعيتها للبيزنطيين ثم الفتح الاسلامى لبلاد الشام وهل استمرت المدينة تحمل نفس الأهمية فى هذه الفترة ووصف الرحالة من مسلمين واجانب الذين زاروها. وتناولت تفاصيل استيلاء الصليبيين عليها وحتى حصل عليها يوستاش جارنييه كاقطاع من الملك بلدوين الأول. ووصف لحدودها وطبوغرافيتها وانعكاس ذلك على علاقتها مع المسلمين.

---

(١) Rey, Les Familles d'Outre-mer de Du Cange, Paris 1869, J. La Mont, Lords of Caesarea in the period of the Crusades, in Speculum Vol. XXII, 1947, pp. 145 - 161.

H.W. Hazard, Caesarea and the Crusades, in Bulletin of the American Schools of Oriental Research, 19, 1975, pp. 79 - 115.

أما الفصل الثاني وعنوانه «فترة الحكم الصليبي الأول لاقطاعية قيسارية في ظل حكم أسرة يوستاش جارنييه (١١٠١ - ١١٨٢م/٥٠٤ - ٥٧٨هـ) - فقد ألقيت الضوء على ما أسهم به سادة ورؤساء اساقفة الاقطاعية في العلاقات مع المسلمين. هذه السياسة التي اتسمت بطابع العداء ، باستثناء بعض المهام الدبلوماسية التي ساهموا فيها بالاتصال بالجانب الاسلامي.

وجاء الفصل الثالث بمثابة فترة انتقالية، حيث تمكن المسلمون من استردادها لمدة اربع سنوات وذلك عقب معركة حطين. ومن هنا كان عنوانه «اقطاعية قيسارية بين المسلمين والصليبيين (١١٨٢ - ١٢١٣م/٥٧٨ - ٦١٠هـ) وظهرت الخلافات الداخلية بين الصليبيين جلية واضحة، بينما كان صلاح الدين الأيوبي يوحد الجبهة الاسلامية، وتمكن من توجيه ضربته القاضية للصليبيين في معركة حطين عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ والتي اعقبها نجاحه في استرداد معظم المدن والمعاقل الصليبية ومن بينها قيسارية. ثم تمكنت اسرة يوستاش جارنييه من استعادة الاقطاعية حيث تبدأ فترة جديدة في تاريخها وهي حكم الإناث من افرادها للاقطاعية حتى عام١٢٦٥م/٦٦٣هـ.

وفي الفصل الرابع «فترة الحكم الصليبي الثانية لاقطاعية قيسارية (١٢١٣ - ١٢٦٥م/ ٦١٠ - ٦٦٣هـ) - ابرزنا دور الاقطاعية في احداث الصراع مع المسلمين وبخاصة ضد مصر، وما تعرضت له من هجوم من جانب المعظم عيسى لتخفيف الضغط عن مصر أثناء تواجد الحملة الصليبية الخامسة فيها. كذلك أشرنا إلى تحصين المدنية عدة مرات مما يدل على ماتمثله من أهمية بالنسبة للصليبيين وتشييد قلعة بها لأول مرة. ثم اختتمنا الفصل بعرض صورة سريعة لاحوال المنطقة قبيل سنوات من سقوطها في قبض المماليك .

أما الفصل الخامس والأخير، فكان «استرداد المماليك لاقطاعية قيسارية (٩ - ١٥ جمادي الأولى ٦٦٣هـ/٢٧ فبراير - ٥ مارس ١٢٦٥م) - وتناولت فيه

تفاصيل إستردادها والنتائج التى ترتبت على ذلك. ثم المحاولة الصليبية الفاشلة من جانب أدوارد الأول لمهاجمة قاقون فى عام ١٢٧١م/ ٦٧٠هـ. واختتمنا الفصل بعرض سريع لنهاية الكيان الصليبى على يد المنصور قلاوون والأشرف خليل.

وفى الخاتمة ابرزت بعض جوانب الحياة الاقتصادية للاقطاعية، وعناصر السكان بها وعلاقة سكانها من المسلمين بالحكام اللاتين، ثم ابرز النتائج والاستنتاجات التى امكننا التوصل إليها على مدى صفحات الكتاب.

وذيلنا الكتاب بعدة ملاحق تتصل اتصالاً وثيقا بموضوعه، منها ماينشر للمرة الأولى من لغته الأصلية سواء اللاتينية أو الفرنسية القديمة إلى اللغة العربية. ومنها مايزال مخطوطاً مثل نص المؤرخ العينى لوصف سقوط المدينة فى قبضة الظاهر بيبرس. ثم قائمة باسماء سادة ورؤساء الاقطاعية وتوابعها مع عقد مقارنة بين المصادر التاريخية التى اشارت إلى ذلك. هذا بالإضافة إلى عدد من الخرائط والأشكال والرسوم التوضيحية والصور.

وفى الختام فاننى اتوجه بخالص شكرى إلى استاذى الدكتور/ جوزيف نسيم يوسف استاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة الاسكندرية على توجيهاته القيمة اثناء اعداد هذه الدراسة، والذى كان لى شرف التتلمذ على يديه فى مرحلتى الماجستير والدكتوراه، ولازال بنصائحه القيمة ينير لنا الطريق .كما اتوجه بالشكر إلى الدكتور ب. ادبيورى P.W. Edbury والذى تتلمذت علي يديه اثناء وجودى فى المملكة المتحدة اثناء اعدادي للدكتوراه . وقد أمدنى ببعض المقالات كان لها اكبر الأثر فى تعديل بعض جوانب هذا الموضوع. فله خالص شكرى وعظيم تقديرى.

كذلك فاللاستاذ الدكتور / محمد محمد مرسى الشيخ استاذ تاريخ العصور الوسطى ورئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والاسلامية الشكر والعرفان بالجميل فقد تكرم علىّ بكتابة مقدمة هذا الكتاب والذى يضفى عليه شرفا، كذلك فإن

مناقشته لى كان لها أكبر الأثر فى الصورة التى خرج عليها الكتاب الآن.

واتوجه ايضا للأستاذ الدكتور / محمود سعيد عمران - عميد كلية الآداب - جامعة بيروت العربية بشكرى لما امدنى به من مقالات وكتب لم تتوافر اثناء اعدادى لهذا الكتاب. وكذلك إلى الاستاذ الدكتور / رأفت عبد الحميد الشيخ استاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب - جامعة عين شمس وذلك لتوجيهاته القيمة لى وإلى الأخوة دكتور/ طلعت عبد الرزاق زهران ودكتور / محمد السيد عبد الغنى ودكتور / أنور السنوسي لما قدموه لى من مساعدات اثناء اعداد هذا البحث.

وإلى أمى الحبيبة وأخوتى والسيدة الفاضلة زوجتى وأبنتى أمنية أهدى اليهم جميعا الشكر والعرفان، وإلى كل من وقف بجواري خالص دعواتي لهم بالتوفيق والسداد.

«وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين»

الأسكندرية فى ١٣ نوفمبر ١٩٨٩

دكتور

حسن عبد الوهاب حسين

دراسة تحليلية نقدية لأهم مصادر البحث ومراجعه

أولاً : المصـــــــادر :

١ - المصادر الأجنبية :

فوشيه أوف شارتر ، كافارو الجنوى ، البرت اكس ، وليم الصورى ، تاريخ هرقل ، جودفرى السكير أو عاصر النبيذ ، امبرواز ، روجر هوفدن ، أوليفر أوف بادرنبورن ، روجر أوف وندوفر ، متى الباريسى ، جان دى جوانفيل .

٢ - المصادر العربية :

ابن القلانسى ، الأصفهانى ، البندارى ، ابن الأثير ، ابن شداد ، ابن الجوزى ، أبو شامة ، ابن عبد الظاهر ، ابن واصل ، بيبرس الداودار ، ابن أيبك ، المقريزى .

٣ - الرحالة والجغرافيون العرب والأجانب :

(أ) الرحالة العـرب : المقدسى البشـــارى ، ناصر خســرو علوى ، ابن جبير ، أبو الفدا ، القرمانى .

(ب) الحجاج الأجانب : دانيل ، فيتلويس ، مؤلف مجهول .

ثانياً : المراجـــــــــــع :

١ - المراجع الثانوية الأجنبية .

٢ - المراجع الثانوية العربية .

لما كان هذا البحث يتناول إقطاعية قيسارية فى ظل الحكم الصليبى لها وعلاقاتها السياسية بالمسلمين فى الشرق الأدنى ، كان لزاماً علينا الرجوع إلى العديد من المصادر من أجنبية وعربية . وتأتى المصادر الأجنبية ، سواء أكانت معاصرة أو متأخرة عن موضوع البحث في المقام الأول من الأهمية . ومرجع ذلك إلى أنها أمدتنا بمادة وفيرة أبرزت الدور الذى قامت به الإقطاعية فى العلاقات مع المسلمين . ولايعنى هذا أن المصادر العربية أغفلت تماما الاشارة إلى هذا الدور ، فقد أمدتنا بمادة طيبة عن وجهة نظر الجانب الآخر من طرفى الصراع ، ونقصد بذلك المسلمين . كما وردت بها بعض الاشارات التى تخدم موضوع البحث . ومن هنا يأتى اهتمامنا بالمصادر الأجنبية لتحليل ماورد فيها من مادة ومعرفة مدى صحتها أو تعارضها مع ما جاء فى المصادر الأخرى . وقد راعينا فى تحليل هذه المصادر الرجوع إلى أهمها ، مع مراعاة الترتيب الزمنى لها . وثمة ملاحظة أخرى ، وهى أن عددا منها لايزال بلغته الأصلية التى دون بها ، سواء أكانت لاتينية أو فرنسية قديمة . وهناك عددا آخر تم ترجمته إلى اللغات الأوروبية الحديثة كالإنجليزية والفرنسية . وقد اتبعنا نفس الأسلوب فيما يتعلق بالمصادر العربية ، من خطية ومطبوعة . واستكمالا لجوانب الموضوع الأخرى ، كان من الضرورى الرجوع إلى ماكتبه الجغرافيون والرحالة والحجاج المسلمون والمسيحيون وقد أمدتنا كتابات هؤلاء بمادة طيبة اغفلتها المصادر الاصلية .

يأتى على رأس قائمة المصادر الأجنبية التى رجعنا اليها فوشيه أوف شارتر Fulcher of Chartres وكتابــــه "Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium" أى « أعمال الفرنجة الحاجين إلى بيت المقدس » (١) . وقد رجعنا إلى الترجمة الانجليزية له وهى بعنوان "A History of the expedition to Jerusalem" (٢) وتأتى أهمية فوشية باعتباره شاهد عيان لكل ما سجله من احداث جرت فى الشرق الأدنى وبخاصة فى الرها وبيت المقدس . وقد اعتمد فى كتابه على مشاهداته وعلى شهود العيان عندما يكون غائبا عن الأحداث أو

الخطابات المرسلة من بيت المقدس وإلى الغرب الأوروبى ، وعلى عدد آخر من المصادر المكتوبة وبخاصة فى الفترة التى كان غائبا فيها عن بيت المقدس أثناء وجوده فى الرها [٣] . وعندما أصبح بلدوين الأول ملكا علي المملكة الصليبية ، انتقل فوشيه معه وأصبح المصدر الرئيسى عن هذه الفترة حتى عام ١١٢٧ م / ٥٢١ هـ . وقد تحرى الدقة فى كتاباته وكذلك بالنسبة للروايات التى نقلها عن شهود العيان . وترك ذلك تأثيره ، فنقل عنه العديد من المؤرخين أمثال جيبرت أوف نوجان Guibert of Nogent واكهارد دورا Ekkehart d'Aura ووالتر المستشار Galterii Cancellarii ووليم الصورى William of Tyre .

وفيما يتعلق بموضوع البحث فقد أمدنا فوشيه بتفصيلات عن استيلاء الصليبيين على قيسارية . كما أسهب فى الحديث عن المذابح التى اقترفها الصليبيون والجنوية فيها ، وذلك على الرغم من أن بنى جلدته هم الذين قاموا بها مما يدل علي صدق روايته . كذلك أشار إلى الدور الذي ساهم به سادتها فى الملاقات مع المسلمين سواء فى شمال بلاد الشام أو جنوبها . وتحدث بالتفصيل عن تولى يوستاش جارنييه حكم المملكة الصليبية أثناء فترة أسر بلدوين الثاني ، وعن انتصاره على الفاطميين فى معركة يبنى [٤] . كما كان فوشيه دقيقا عندما لاحظ شهرة المدينة فى صنع الخبز الأبيض ، وأشار إلى أسماء بعض الأنهار ومنابعها ومجاريها وإلى الحيوانات الموجودة فى الشرق اللاتينى . مثال ذلك نهر التمساح ، حيث أشار إلى الرواية التى وردت فى المصادر القديمة من أن التماسيح قد جرى نقلها من نهر النيل . ويدل ذلك على اتساع ثقافته وتحريه الدقة فى روايته . والخلاصة أن كتاب فوشيه عبارة عن مذكرات يومية عن حياته الخاصة أورد فيها ما وقع من أحداث دون تغيير ، كما نقل بأمانة عن أناس شاركوا فيها ، دون أن يعلق عليها [٥] .

ويأتى كافارو أو الكاسكيفلونى [٦] Caffaro Caschifelone فى الأهمية بعد فوشيه ، فقد قدم إلى الشرق الأدنى عدة مرات كانت أولاها عام ١١٠٠م/ ٤٩٣هـ ، حيث صحب الأسطول الجنوى مشاركا فى الحملات التى شنها هذا

الأسطول ضد المدن الساحلية الفاطمية ، وذلك بالتعاون مع الجيش الصليبي . وقد اعتمدنا على كتابه المعنون « تحرير مدن الشرق اللاتيني » "Leberatione Civitatum Orientis" الذى سجل فيه مشاهداته عن هذه المدن التي كان شاهد عيان عند الإستيلاء عليها . وقد انفرد كافارو [(٧)] بذكر العديد من الحوادث دون بقية المصادر الأخرى من معاصرة أو متأخرة . مثل نص المحاورة التى جرت بين الصليبيين بعضهم وبعض فى المؤتمر الذى عقد قبيل استيلائهم على قيسارية . وأيضا ماجرى بين مندوبين عن حاكم قيسارية والبطريرك اللاتينى دايمبرت بشأن استلام المدينة ، والشروط التى وضعها الصليبيون لذلك . كما زودنا بوصف مسهب عن كيفية دخولهم المدينة ، وقصة الإناء المقدس الذى اعتقد الجنوية أنه إناء العشاء الأخير . ويؤخذ عليه المبالغة فى ذكر الغنائم التى حصلوا عليها من قيسارية بعد سقوطها ، وأيضا تعصبه لبنى جلدته من الجنوية ومحاولة نسب كل ما أحرزه الصليبيون من انتصارات للجنوية [(٨)] .

أما ألبرت اكس Albert d'Aix وكتابه « تاريخ بيت المقدس » [(٩)] "Historia Hierosolymitana" فيعد من أغزر المصادر الصليبية مادة فيما يتعلق بالفترة التى تناولها حتى عام ١١٢٠ م / ٥١٤ هـ . وعلى الرغم من أنه لم يذهب إلى الشرق أبدا ، فانه اعتمد على العديد من المصادر المعاصرة وغير المعاصرة وشهود العيان ، كما نقل عن الحجاج العائدين من الأراضى المقدسة . وقد سجل كل هذه الروايات فى تاريخه ، مما أوجد نوعا من الاضطراب فى روايته فى بعض الأحيان ، وذلك لأنه لم يكن يتحرى الدقة التامة فى التأكد من صحة أو زيف هذه الروايات . وسجل كل ذلك في أسلوب سهل عادي . ويؤخذ عليه عدم دقته فى تحديد تواريخ الأحداث التي رواها مما أوقعه في بعض الأحيان فى أخطاء تاريخية [(١٠)] . وقد أورد ألبرت العديد من التفاصيل عن حصار قيسارية عام ١١٠١ م / ٤٩٤ هـ ومشاركة الأسطول الجنوى فى ذلك . ولكنه أخطأ عندما أضاف وجود الأسطول البيزوى مع الجنوية . كما أشار إلى أسر حاكم وقاضى

المدينة المسلمين وانفرد عن بقية المصادر بالإشارة إلى أن سكان عكا قاموا بدفع ألف بيزنط فدية للقاضى . ويؤخذ عليه عدم الإشارة إلى اسميهما ، كما أغفل ماحدث لحاكمها . ثم إنه لم يكن دقيقا فى تحديد تاريخ سقوطها ، إذ أشار إلى أن ذلك حدث فى ٧ يونيه ١١٠١م / ٩ شعبان ٤٩٤ هـ . بخلاف المصادر الأخرى من عربية وأجنبية . وانفرد أيضا بالإشارة إلى إغارة حامية عسقلان عليها فى عام ١١٠٤ م / ٤٩٧ هـ ، مما يضفى على روايته أهمية خاصة .

ويأتى وليم الصورى [١١] Williamm of Tyre وكتابه « تاريخ الأعمال التى أنجزت فيما وراء البحر » "A History of the Deeds done beyond the Sea" بعد المصادر السابقة في الترتيب الزمنى ، ولكنه من حيث الأهمية لايقل عنها إن لم يتفوق عليها ، وكذلك من حيث طول الفترة الزمنية التى تناولها ، والتى استمرت حتى عام ١١٨٤ م / ٥٨٠ هـ . ويمتاز الكتاب بأهمية خاصة لأنه يتناول وجهتى النظر الدينية والدنيوية فيما يتعلق بالأحداث التى رواها ، وذلك بحكم المناصب التى تولاها . أما الفترات التى تناولها الكتاب فيمكن أن نقسمها إلى الآتى : القسم الأول وقد تناول فيه المؤلف تاريخ الشرق اللاتينى منذ فتح المسلمين لسورية أى حوالى عام ٦٤٠ م / ١٩ هـ وحتى عام ١١٢٧ م / ٥٢١ هـ . وقد اعتمد فيه على العديد من المصادر المعاصرة لهذه الفترة وعلى شهود العيان أو الذين يكتبون من الغرب الأوروبى . فنقل عن ألبرت أكس وفوشيه أوف شارتر وريموند داجيل وغيرهم . أما الفترة الثانية الممتدة من عام ١١٢٨ إلى عام ١١٦٢م (٥٢٢ - ٥٧٧ هـ) فقد اعتمد فيها وليم الصورى على الأرشيفات والوثائق الملكية وروايات شهود العيان . ومنذ عاد إلى الشرق مرة ثانية وحتى عام ١١٨٤ م / ٥٨٠ هـ أصبحت كتاباته على درجة كبيرة من الإتقان وساعده على ذلك إتقانه العديد من اللغات مثل اللاتينية واليونانية ، بالإضافة إلى إلمامه بالعربية والعبرانية . وعلى الرغم من ذلك ، فانه يؤخذ عليه انحيازه إلى بنى جلدته من اللاتين ، وكرهه المشاركة فى الحملات العسكرية ومعارضته اشتراك

رجال الدين فى هذه الحملات . ولعل هذا يفسر موقفه من الداوية والاسبتارية . ونتيجة لذلك اعتمد على روايات المشتركين فيها عند كتابته عنها ، مما يستلزم اتخاذ جانب الحذر عند الأخذ عنه في هذه النواحى . كما انه لم يراع الترتيب الزمنى - أحيانا - عند ذكر بعض الأحداث .

أما فيما يتعلق بالمادة التى أوردها فيما يتصل بموضوع البحث فيكاد أن يكون المصدر الرئيسى بالنسبة للفصل الثانى من الرسالة الذى عالجنا فيه فترة الحكم الصليبى الأولى لقيسارية . وأورد العديد من التفاصيل عن استيلاء الصليبيين على قيسارية ، على الرغم من أنه لم يكن معاصرا لذلك ، مما جعله يعتمد على مصادر مختلفة كشهود العيان أو الذين يكتبون من الغرب الأوروبى. وكان دقيقا عندما أشار إلى استيلاء الجنوية على الإناء المقدس ، فأبدى تشككه في صحة ذلك الإناء وأنه لم يكن من الزمرد الحقيقى . وذكر ذلك صراحة عندما أشار إلي أن الجنوية كانوا يعرضونه لوجهاء القوم الذين يمرون بمدينتهم ويظهرونه لهم على أنه من الزمرد الحقيقى [(١٢)] . وثبت بعد ذلك صحة ماذكره وليم هذا بالإضافة إلى النبذة المقتضبة التى قدمها لنا عن تاريخ المدينة قبل سقوطها ، والاسم القديم الذى كانت تعرف به وهو « برج ستراتون » مما يدل على إلمامه بالمصادر القديمة . كما أشار إلى دوريوستاس جارنييه أول سادة الاقطاعية في العلاقات السياسية مع جيرانه المسلمين . كذلك أورد تفصيلات عن دور ايفرمارEvermer رئيس أساقفة قيسارية فى المعارك التى جرت مع المسلمين وخاصة في شمال الشام . وتحدث أيضا ، عن الفترة التى تولى فيها يوستاس جارنييه حكم مملكة بيت المقدس نيابة عن بلدوين الثانى الذى كان أسيراً لدى المسلمين . وأورد الدور الذى قام به سيد الإقطاعية ضد الفاطميين فى معركة يبنى عام ١١٢٣ م / ٥١٧ هـ . وانفرد بالإشارة إلى الصراع الذى نشب بين هيو كونت يافا وجوتييه جارنييه سيد قيسارية ، فذكر قصة الصراع بالتفصيل وحاول تحليل أسبابه والنتائج التى ترتبت عليه . ولكن يؤخذ عليه أنه أورد سقوط بانياس فى

قبضة تجلمش تاج الملوك بورى والثابت أنه كان قد توفى وقتها ، وخلفه شمس الملوك اسماعيل الذي قام بمهاجمتها ، واستردادها فى ٤ صفر ٥٢٧ هـ / ١٥ ديسمبر ١١٣٢ م [١٣] .

كذلك أورد وليم الصورى تفاصيل حملات الملك الصليبى عمورى الأول على مصر والسباق الذى جرى بينه وبين أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبى فى سبيل امتلاك مصر . وكل تفاصيل حملة عام ١١٦٧ م / ٥٦٢ هـ على لسان هيوسيد قيسارية الذى اشترك فيها ولكن جانب وليم الصواب عندما خلط بين مقتل شاور والخليفة الفاطمي العاضد آخر خلفاء الفاطميين فى مصر . وقد اتهم وليم صلاح الدين بقتله . كما أورد تفصيلات هامة عن دور رؤساء أساقفة قيسارية ، هرمسيوس Hermesius وهرقل Eracleus ومونا خوس Monachus فى تكييف العلاقات مع المسلمين . وقدم وليم تحليلا لأسباب انهيار الكيان الصليبى فى بلاد الشام لايزال إلي اليوم موضع نقاش بين المؤرخين الحديثين . غير أنه لم يقدّر له أن يشهد الكارثة التى ألمت بهم فى حطين بعد عامين من وفاته ، وأن كان قد تنبأ بها .

ومن بين التذييلات الهامة لكتاب وليم الصورى ، « تاريخ الإمبراطور هرقل واحتلال أراضى ما وراء البحار » "L'Estoire de Eracles Empereur et la conqueste de la Terre d'Outremer" وتبدو أهميته في انه تناول الفترة من عام ١١٨٤ م إلى عام ١٢٧٧ م / ٥٨٠ إلى ٦٧٦ هـ ، وهو بذلك يتناول جانبا كبيرا من تاريخ الأراضى المقدسة فى عصر الحروب الصليبية . والكتاب لايزال بلغته الأصلية ، وهى الفرنسية القديمة . وقد أورد مادة هامة فيما يتعلق بموضوع البحث . إذ أشار إلى لجوء جوليانا سيدة قيسارية إلى صلاح الدين لاستعادة اقطاعيتها من جودفرى لوزنيان . ولكنه لم يعط المزيد من التفصيلات عن هذه المسألة الهامة ، وعما إذا كانت هى التى لجأت اليه أم أرسلت من ينوب عنها لمقابلته ، وكذلك فيما يتعلق بمكان اللقاء وتاريخه . وهى تفاصيل كنا نود أن

يثبتها فى مؤلفه حتى تكتمل صورة هذه الفترة الهامة من تاريخ الإقطاعية . وبالإضافة إلي ذلك فقد أورد تفاصيل عن دور جوتيبه الثالث سيد قيسارية وكندسطبل قبرص في الحملة الهنغارية عام ١٢١٧ م / ٦١٤ هـ ، وفى الحملة الصليبية الخامسة علي مصر . وتحدث عن الإغارة التى شنها المعظم عيسى صاحب دمشق على قيسارية ، ويؤخذ عليه أنه لم يحدد تاريخها ، وان كان يفهم من اشارته أنها جرت عام ١٢١٨ م / ٦١٥ هـ . كذلك أشار إلى تحصين قيسارية فى عامى ١٢١٧ م / ٦١٤ هـ ، ١٢٢٧ - ١٢٢٨ م / ٦٢٦ هـ .

أما عن سقوط قيسارية في قبضة الظاهر ، فقد أشار فقط إلى تاريخ سقوط القلعة في ٥ مارس ١٢٦٥ م / ١٥ جمادى الأولى ٦٦٣ هـ ، وكان دقيقا فى تحديده ، وهو يتفق فيه مع ماجاء فى المصادر العربية المعاصرة . ولكنه لم يزودنا بتفصيلات عن حصارها وسقوطها فى قبضته ، شأنه فى ذلك شأن المصادر الصليبية الأخرى . وأشار ، أيضا إلى حملة الأمير إدوارد الانجليزى على قاقون فى ١٢٧١ م / ٦٧٠ هـ ، وإلى آخر سادة قيسارية الذى قتل فى قبرص عام ١٢٧٧ م / ٦٧٦ هـ وهو نيقولا أليمان الذى كان يحمل لقبا اسميا فقط .

أما فيما يتعلق بالحملة الصليبية الثالثة ، فقد تناولتها ثلاثة من المصادر الصليبية أولها تاريخ جودفرى السكير أو عاصر النبيذ Geoffery de Vinsauf [١٥] المسمى " History of the Expedition of Richard Coeur de Lion to the Holy Land " أى « تاريخ حملة ريتشارد قلب الأسد إلي الأراضى المقدسة ، ويبدأ الكتاب بحوادث عام ١١٨٧ م وحتى عام ١١٩٢ م (٥٨٣ - ٥٨٨ هـ) ، وهو يتقسم إلى ستة أقسام فى مجلد واحد . وقد أورد جودفرى اشارات عديدة عن قيسارية عندما استردها صلاح الدين الأيوبى . ولكنه ذكر أن جودفرى لوزنيان حصل على يافا وعسقلان ، بخلاف ماذكرته المصادر الأجنبية الأخرى التي أشارت إلى يافا وقيسارية .ووصف قيسارية عندما مر الصليبيون عليها أثناء اتجاه الحملة الصليبية من عكا إلى

عسقلان جنوبا ، وذكر أنها مدينة ضخمة وأسوارها على درجة كبيرة من الإتقان والفخامة . كما أشار إلى أسماء بعض الانهار التي كانت تجرى فى الإقطاعية ، مثل نهر التمساح والنهر الميت . وأورد تفاصيل حملة ريتشارد والمعارك التى جرت مع صلاح الدين الأيوبى ، ثم صلح الرملة .

أما امبرواز Ambroise فقد كتب قصة حملة ريتشارد على شكل قصيدة طويلة بالفرنسية القديمة ، وتمت ترجمتها إلى الانجليزية باسم "The Crusade of Richard Loin Heart" أى « حملة ريتشارد قلب الأسد » (١٦) . وتبدو أهمية القصيدة في أن مؤلفها كان شاهد عيان لأحداث تلك الحملة (١٧) . ووصف قيسارية باقتضاب أثناء مرور الحملة الصليبية الثالثة إلى عسقلان ، وذكر أنها « الواسعة المسورة » . كما أورد تفصيلات عن الحروب التى جرت بين ريتشارد وصلاح الدين ، وتفاصيل صلح الرملة .

ويؤرخ روجر أوف هوفدن Roger of Hoveden فى الجزء الثانى (١٨) من تاريخه المعروف باسم « الحوليات » "Annals" للفترة من عام ١١٨١ م إلى ١٢٠١ م / (٥٧٦ - ٥٩٨ هـ) . ويحتوى على تاريخ انجلترا بصفة أساسية والأقطار الأوروبية الأخرى وأورد ضمن مؤلفه العديد من الخطابات المرسلة من الأراضى المقدسة إلى انجلترا ، أو التى أرسلت منها إلى بعض رجال الدين هناك وذلك ابان الفترة الزمنية موضوع البحث . وأشـار بصفة خاصة إلى حصـول جود فرى لوزنيان علي قيسارية ضمن الاتفـاق الذى عقـد بينه وبين شقيقه جاى وكونراد ،وذلك نظرا لما قام به من أعمال أثناء حصار عكا.ومما يدل على صحة ما أورده أنه أشار بعد استرداد الصليبيين لقيسارية إلى أن جود فرى لوزنيان قد حصل عليها. كما اتفق معه فى ذلك كل من « مآثر تاريخ القبارصة » Les Gestes des Chiprois وبندكت بتروبرجنيس Benedicti Petroburgensis (١٩) كما تحدث عن إعادة بنائها بعد استردادها من المسلمين .

أما عن الفترة التى تلت رحيل الحملة الصليبية الثالثة فقد تناولها عـدد

من المصـــادر الصليبية الهامة . ومن أهمها كتاب « الاستيلاء على دمياط » The Capture of Damietta لمؤلفه أوليفر أوف بادرنبورن [٢٠] . وقد ترجمه إلى الانجليزية جون جافيجان J. Gavigan . وقد أورد مادة من الطراز الأول ، ومما يزيد من أهميتها أنه كان شاهد عيان لأحداث الحملة الصليبية الخامسة . كما كان كاتبا للمندوب البابوى بلاجيوس ، مما أتاح له أن يكون على دراية تامة بكل مايجرى فى المعسكر الصليبى . وأشار إلى بناء قلعة قيسارية والحجاج أو عثليث في عام ١٢١٨ م / ٦١٤ هـ وإلى دور جوتييه الثالث سيد قيسارية فى الحملة الصليبية الخامسة . وأيضا إلى إغارة المعظم عيسى صاحب دمشق على قيسارية حيث اتهم المدافعين عنها بالإهمال . غير أنه يؤخذ عليه التعصب بشكل واضح للصليبيين ، واختلاط الأساطير بالحقائق فى روايته فى بعض الأحيان .

ويستكمل روجر أوف وندوفر Roger of Wendover فى كتابه « زبدة التاريخ » Flowers of History [٢١] تاريخ الفترة حتى عام ١٢٣٥م/٦٣٢هـ . وينقسم كتابه إلى ثلاثة أقسام : الأول حتى عام ٤٤٧ م ، والثانى إلى عام ١٢٠٠ م / ٥٩٧ هـ ، وينتهى الثالث بعام ١٢٣٥ م / ٦٣٣ هـ ، ويهمنا القسمان الثانى والثالث . وقد أمدنا فيهما بمادة طيبة عن أوروبا وأحوالها ، كما أورد الخطابات المرسلة من الأراضى المقدسة إلى انجلترا وقتذاك . وأشار إلى دور جوتييه الثالث سيد قيسارية فى الحملة الخامسة ، ويبدو أنه كان ينقل عن المصادر المعاصرة له . وأشار أيضا إلى تحصين قيسارية في عام ١٢٢٧ - ١٢٢٨ م / ٦٢٥ - ٦٢٦ هـ .

ويتناول متى الباريسى Matthew Paris الفترة من عام ١٢٣٥ إلى ١٢٧٣ م (٦٣٢ - ٦٧٢ هـ) . وينقسم كتابه « تاريخ انجلترا » Historia Anglorum الذى ترجم إلى الانجليزية تحت عنوان English History [٢٢] إلى ثلاثة أقسام : الأول من ١٢٣٥ - ١٢٤٤ م والثانى ١٢٤٥ - ١٢٥٢ م (٦٤٢-٦٥٠ هـ) ، والثالث ١٢٥٣ - ١٢٧٣ م (٦٥٠ - ٦٧٢ هـ) . ولم يكن هو

واضع الكتاب بأكمله ، فقد مات فى عام ١٢٥٩ م / ٦٥٧ هـ ، وقام أحد الرهبان الإنجليز وهو « وليم ريشانجيه » Guillaum Rishanger باستكمال الفترة من ١٢٥٩ إلى ١٢٧٣ م (٦٥٧ - ٦٧٤ هـ) [٢٣] ، وقد اعتمد متى على الخطابات التي كانت ترد من الأراضى المقدسة وأحاديث زالرواة أو الحجاج العائدين من هناك [٢٤] . ومن هنا جاءت روايته في بعض الأحيان يشوبها عدم الدقة أو المبالغة . كما أشار إلى تحصين لويس التاسع لقيسارية أثناء إقامته فى بلاد الشام بعد هزيمته فى مصر ، ولكنه لم يعط تفاصيل عن ذلك .

أما عن حملتى لويس التاسع على مصر والشام ، فيعتبر كتاب جان دى جوانفيل J. de Joinville المصدر الأساسى لهما ، وذلك لأنه كان شاهد عيان لأحداثهما وقد كتب عن مغامراته وأسفاره وحروبه منذ رحيله من فرنسا عام ١٢٤٨ م / ٦٤٦ هـ إلى عودته من بلاد الشام فى عام ١٢٥٤ م / ٦٥٢ هـ . وقد سجل الأحداث التى جرت سواء فى مصر أو الشام فى كتابه المعنون « تاريخ القديس لويس » Histoire de Sainte Louis ولاشك أن وجوده على مقربة من الملك الفرنسى قد أتاح له أن يكون دقيقا فيما يسجله ، بالإضافة إلى كونه فارسا في الجيش الصليبى مما جعله يخوض المعارك ويسجل أحداثها بعد ذلك . وتضمن الكتاب تحليلا لشخصية لويس التاسع ملك فرنسا ، وحالة فرنسا الداخلية والخارجية منذ عام ١٢٢٦ وحتى عام ١٢٧٠ م / ٦٢٣ - ٦٦٩ هـ . وتناول بالتفصيل حملتى مصر والشام . وأما عن الفترة الواقعة فيما بين عامين ١٢٥٤ و١٢٧٠ م / (٦٥٢ - ٦٦٩ هـ) فقــد أوجز جوانفيـــل فى استعراض تاريخها [٢٦] .

أما فيما يتعلق بما أورده عن موضوع البحث ، فقد تحدث بتفصيل واسهاب عن اقامة لويس التاسع فى قيسارية التى استغرقت قرابة العام من ١٢٥١ إلى ١٢٥٢ م / ٦٤٩ - ٦٥٠ هـ . وأشار إلى الأحداث التى جرت أثناء ذلك إلي تحصينه للمدينة ، غير أنه لم يورد تفصيلات كافية فى هذا الشأن . كما أشار إلى

عودة بعثة الملك الفرنسى من بلاد التتار إلى قيسارية ، حيث كان يقيم لويس ، وهى التي كان قد بعث بها من قبرص أثناء اقامته بها ثم توجه إلى مصر . وتحدث عن المعاهدة التى عقدت مع المماليك والتى عرفت باسم « معاهدة قيسارية » ، وذلك لتوقيعها أثناء وجود الملك الفرنسى فى قيسارية . كذلك سجل جوانفيل جانبا هاما أغفلته المصادر الأخرى ، وهو بعض العادات المتبعة فى قيسارية ، مثل الحكم الذى صدر على الفارس الصليبى الذى ضبط بمنزل يدار للفساد في المدينة ، أو الحكم الذى صدر على أحد الجنود الذى تطاول على فارس من فرسان جوانفيل. وقد صدرت هذه الأحكام طبقا لعادات وتقاليد أهل قيسارية وقتذاك . كما أشار إلى طريقة تناولهم الطعام ، وبعض العادات الأخرى . وهذا يضفى أهمية خاصة على كتاباته .

وبالإضافة إلى هذه المصادر السابقة ، هناك العديد من المصادر الأخرى التى اعتمدنا عليها وبخاصة عند عمل المقارنات والموازنات التاريخية بين مختلف الروايات ، أو لتوضيح بعض النقاط فى حواشى الرسالة . ومن بينها مؤلفات ريمون داجيل Reymond d'Agil [٢٧] والتر المستشار Galterii Cancellarii [٢٨] ، وآن كومنين Anna Comnena [٢٩] ومتى الرهاوى Matthieu d'Edesse [٣٠] ، ويوحنا ابلين Jean d'Iblien [٣١] وحوليات مآثر القبارصة Les Gestes des Chiprois [٣٢] وبندكت بيتربورجنيه Bendicti Petroburgensis [٣٣] ، وأرنول Ernoul [٣٤] ، وبول ويجلر Paul Wiegler [٣٥] ، وحوليات الأراضى المقدسة Annals de Terre Sainte [٣٦] وغيرها .

وتأتى المصادر العربية من خطية ومطبوعة ، معاصرة ومتأخرة ، في المرتبة الثانية بعد المصادر الأجنبية نظرا لأنها ضنت علينا بالكثير من المعلومات المتعلقة بموضوع البحث والتي سجلتها المصادر الأجنبية . وربما يرجع ذلك إلى أن فن التدوين التاريخى فى أوروبا قد تطور مع بداية الحركة الصليبية . إذ وجدت كتاب يؤرخون لموضوعات محددة فى كتب مستقلة قائمة بذاتها مثل المؤلفات التى

خلفوها لنا والمتعلقة بالحملات الصليبية . هذا ، بينما ظل المسلمون يسجلون الأحداث على طريقة السرد الحولى ، فتاهت أخبار الحروب الصليبية فى خضم المعلومات التى وردت فى تأليفهم . وعلى أية حال ، أمدتنا تلك المصادر بصورة عامة عن أحوال العالم الاسلامى وهو أحد طرفى الصراع مما يسمح لنا بالتعرف على وجهة النظر الاسلامية فيما يتعلق بموضوع بحثنا . كما وردت اشارات بين ثناياها عن قيسارية ، وموقفها من الصراع الصليبى الإسلامى ودورها فيه سواء كانت خاضعة للاتين أو تابعة للمسلمين .

وهناك عدة ملاحظات على هذه المصادر ، وهى أنها تكاد أن تكون صورة مطابقة لبعضها ، وذلك جريا على عادة هؤلاء المؤرخين فى النقل عن بعضهم ، مع الإشارة أحيانا إلى المصدر الذى نقلوا عنه ، أو اغفال ذلك . وأحيانا يكون النقل بالنص أو مع التصرف كما تميزت هذه المصادر بصفة التعميم دون أن تسجل الحركة الصليبية كموضوع قائم بذاته - باستثناء بعض الأمثلة المحدودة مثل مؤلفى العماد الاصفهانى وابن شداد . ومع ذلك فقد انفردت بعض المصادر العربية بذكر وقائع وأحداث نقلت عن أصول أو وثائق فقدت ، وقد أشرنا إلى بعض الأمثلة على امتداد صفحات الرسالة .

وكان لذلك أثره فى تقويم ما اعوجّ من كتابات أهل الغرب الأوروبى ، وسد الثغرات التى تجاوزوا عنها عمدا أو عن غير عمد ، مع اعطاء صورة دقيقة واضحة لأحداث الفترة التى عالجناها اعتمادا علي وجهتى النظر الإسلامية والمسيحية .

وعلى رأس مؤرخى القرن السادس الهجرى / القرن الثانى عشر الميلادى ، يأتى المؤرخ ابن القلانسى (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠م) [٣٧] . وكانت هذه الفترة فترة ضعف بالنسبة للكتابة التاريخية عند العرب ، خاصة فى سوريا وفلسطين . وكان قد بدأ كتابه « ذيل تاريخ دمشق قبل عام ٥٣٥ هـ /١١٣٩- ١١٤٠ م ، وتوقف فترة ، ثم عاد للكتابة مرة ثانية حتى وفاته عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٠م .

ويعد مؤلفه الكتاب المسهب الذى وصل إلينا عن الفترة الواقعة ما بين غزو السلاجقة للشام وصلاح الدين الأيوبى . وقد ترك منصبه كرئيس لديوان الانشاء ، واتصاله بالبيت الحاكم فى دمشق ، واشتراكه كطرف في الصراع الدائر بين المسلمين فى دمشـق - ترك كل ذلك أثره علي كتابته . فقد تمكن من الإطلاع علي الوثائق ، بالإضافة إلى أخذه عن شهود العيان لأحداث ذلك الزمان . وعلى الرغم من أنه يتناول أساسا تاريخ دمشق وحكامها ، فانه وردت فيه اشارات عديدة عن الصليبيين وبداية الحركة الصليبية . ونقل عنه العديد من المؤرخين مثل ابن الأثير، وابن الجوزى ، وأبى شامة وغيرهم .

أما فيما يتعلق بالمادة التي أمدنا بها مما يتصل بموضوع البحث ، فقد أشار إلى سقوط قيسارية فى قبضة الصليبيين . ولكن إشارته لم تتعد سطرين ذكر فيهما أمر سقوطها فى رجب ٤٩٤ هـ / مايو ١١٠١ م ، وأشار إلى أعمال القتل والنهب التى قام بها الصليبيون والجنوية فيها . ونقل عنه من جاء بعده من المؤرخين نفس العبارة دون اضافة . ولعله لم يكن يرغب فى أن يسجل مثل هذه الحوادث التى ابتلى بها المسلمون . كما أمدنا بمادة طيبة عن معارك الرملة الثلاث بين الصليبيين والفاطميين ، وكذلك تفاصيل حصار صور فى ٥٠٥ هـ/١١١١م ، ودور يوستاش جارنييه فى هذا الحصار . وعلى الرغم من أنه لم يشر صراحة إلى اسمه ، فإنه أشار إلى البرج الصغير ومقاومته ، والذى كان يوستاش مسئولا عنه. ويتضح مما سجله أنه كان على معرفة بما كان يجرى فى المعسكر الصليبى نفسه . مثال ذلك الخلافات الداخلية بين افرنج الشام التى أشار إليها فى عام ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م . كما أعطي تفصيلات عن الحملة الصليبية الثانية . ولا شك أن ذلك كله أسهم فى استكمال الصورة العامة للبحث . ولكن يؤخذ عليه التحيز فى بعض الأحيان للدماشقة السنيين ضد الفاطميين الشيعة ، وممالأة البيت الحاكم .

أما الأصفهانى (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١) [٣٨] وكتابه « الفتح القسى في الفتح القدسى » فقد تناول حروب صلاح الدين وجهاده ضد الفرنج منذ عام ٥٨٣ هـ

وحتى عام ٥٨٩ هـ / ١١٨٧ - ١١٩٣ م . وأورد العديد من المكاتبات المرسلة من صلاح الدين إلى الملوك والأمراء . ونظرا لكونه كاتبا فى ديوان الانشاء ، وشاهد عيان للأحداث ، فقد اتخذت رواياته صفة الوثائق الرسمية ، كما ربط بين الحروب والمسرح الجغرافى الذى كانت تجرى فوقه . ونقل عنه الكثير من المؤرخين أمثال أبى شامة وابن الأثير وغيرهما . وأورد فتح قيسارية على يد صلاح الدين ، وأسماء الأمراء الذين تمكنوا من استردادها . كما أورد وصفا مسهبا للحملة الصليبية الثالثة وصلح الرملة .

أما كتاب « سنا البرق الشامى » للبندارى (ت ٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥ م) فهو إختصار لكتاب العماد الاصفهانى « البرق الشامى » ، ويعد من المصادر العربية الهامة ، وكان أمينا فى اختصاره بحيث لم يخل بالنص . وأورد العديد من التفاصيل عن حملات الملك الصليبى عمورى على مصر ، وموقف أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبى من الأحداث التى تعرضت لها منطقة الشرق الأدنى آنذاك . ثم نجاح صلاح الدين فى إنهاء الدولة الفاطمية ، وإقامة الدولة الأيوبية فى مصر ، ثم كفاحه ضد الصليبيين [٣٩] .

ويتناول ابن الأثير (ت .٦٣ هـ / ١٢٣٣ م) فى كتابه « الكامل فى التاريخ » فترة طويلة من تاريخ الصراع الصليبى الإسلامى . فقد توقف ابن الأثير عند عام ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م وذلك لوفاته في هذا العام [٤٠] . ولا يوجد من المصادر العربية المعاصرة له مايستطيع أن يضارعه فى وفرة وثائقه ، ويرجع ذلك إلى أنه اعتمد على المتخصصين في كل اقليم . فقد أفاد من الهمذانى ، وابن حمدون ، وابن الجوزى ، فى تاريخ العراق ، وعماد الدين الكاتب ، والحسينى فى تاريخ ايران ، وابن شداد الصنهاجى فى تاريخ المغرب ، وابن شداد وابن القلانسى فى تاريخ الشام [٤١] . وكذلك اعتمد على ابن عساكر لاستكمال روايته عن القرن السادس الهجرى / القرن الثاني عشر الميلادى . وحاول ابن الأثير أن يكتب التاريخ حسب الموضوعات ، ولكنه لم يوفق فى ذلك ، فقد كان يجمل الحدث

الواحد ثم يعود ويذكره على مدى السنوات التي حدث فيها مما أدي إلى تفتيت الحدث وبعثرة الفكرة . وليس لنا أن ننحى عليه باللائمة ، فقد كان هذا هو أسلوب التدوين التاريخي عند العرب آنذاك . وتظهر مدى الاستفادة منه على امتداد الفصول الأربعة الأولى من الرسالة .

وله أيضا كتاب « التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية » ، الذى تناول فيه تاريخ عماد الدين زنكى ونور الدين محمود . ويؤخذ عليه أنه كان حريصا فى الدفاع عن الزنكيين فلم يذكر إلا الصفات الطيبة لهم .

ولم يؤلف ابن شداد (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) إلا كتابه « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية المعروف باسم « سيرة صلاح الدين » . وقد تناول فيه تاريخ صلاح الدين وحروبه ضد الفرنج ولجاحه فى استرداد الكثير من المعاقل والمدن الإسلامية منهم . ويعد من المؤرخين المسلمين القلائل الذين كتبوا في موضوع محدد ، بخلاف ما درج عليه بقيتهم من الكتابة فى موضوعات عامة . وقد اعتمد فى القسم الأول من كتابه على المؤلفات التى عاصرها . أما ما كتبه عن صلاح الدين ، فقد كان فيه بعيدا عن التحيز الشخصى والمغالاة فى المدح . واعتمد على مشاهداته وملاحظاته وقربه من صلاح الدين مما أتاح له رؤية الأحداث عن قرب . وأشار إلى تفاصيل ماجرى بين الصليبيين والمسلمين عند قيسارية أثناء مرور الحملة الصليبية الثالثة بها متجهة من عكا إلى عسقلان . وأشار إلى أسماء بعض الأنهار فى الإقطاعية مثل نهر القصب الذى كان يسميه الصليبيون نهر الملح . كما أورد بعض الاشارات عن طبوغرافيتها ، ولكنه لم يزودنا بوصف للمدينة أو أسوارها ، كذلك تكلم باسهاب عن صلح الرملة والمراحل التى سبقته فى المفاوضات بين الجانبين الصليبى والاسلامى .

ويستكمل سبط ابن الجوزى (ت ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦ م) في كتابه « مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان » كتابه إلى عام ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م [٤٢] . وهو تاريخ

جامع يبدأ منذ الخليقة حتى قبل وفاته بفترة قصيرة ، قدم فيه العديد من الاحداث التي جرت فوق رقعة الشرق الأدنى . وقد اعتمد في الفترة التي لم يكن شاهد عيان لها علي العديد من المصادر . وأشار في بعض الأحيان إلي مصادره التي أخذ عنها ، مثل ابن القلانسي وابن الأثير وغيرهما من المؤرخين . أما عن الفترة التي عاصرها ، فقد أمدنا بمادة هامة خاصة بالحملة الهنغارية على بلاد الشام في عام ١٢١٧ م / ٦١٤ هـ ، والحملة الصليبية الخامسة علي مصر . وصحب المعظم عيسى صاحب دمشق في الإغارة التي شنها علي قيسارية عام ١٢٢٠ م / ٦١٧ هـ . ويضفي علي كتاباته أهمية خاصة . وعلى الرغم من معاصرته لحملة لويس التاسع على الشام ، إلا أنه لم يعط تفصيلات عنها ، واكتفى بالإشارة إلى الأحداث التي كانت دمشق مسرحا لها .

ولأبي شامة [٤٣] (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م) كتابان هما « الروضتين في أخبار الدولتين » و « الذيل على الروضتين » . وقد تناول في الأول جهاد عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبي ضد الفرنج ، وعلى الرغم من أنه لم يكن معاصرا لما كتبه في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، فانه اعتمد على العديد من المصادر المفقودة أو التي لاتزال موجودة ، ومن بينها كتاب يحيى بن أبي طيء (السيرة الصلاحية) [٤٤] ، والعماد الأصفهاني في البرق الشامي . كما نقل عن ابن الأثير وابن شداد وغيرهم ، ويشير إلى ذلك في كتابه . أما الكتاب الثاني [٤٥] فهو تذييل للأول ، ويتناول الأحداث التي كان معاصرا لها . ولكنه ينقل نقلا شبه حرفي عن ابن الجوزي . وشأنه شأن ابن الجوزي لم يعط تفاصيل عن حملة لويس التاسع على الشام على الرغم من معاصرته لها .

ويتناول ابن عبد الظاهر [٤٦] (ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٣ م) العصر المملوكي الأول ، وبصفة خاصة تاريخ السلاطين الظاهر بيبرس وابنيه السعيد محمد بن بركة خان والعادل سلامش ، والمنصور قلاوون . وقد تولى ابن عبد الظاهر وظيفة كاتب للانشاء زمن قطز ، ثم في عهد الظاهر بيبرس . وكان مشاركا في موقعة عين

جالوت ، وشاهد مقتل قطز وتولى بيبرس حكم مصر . وظل فى منصبـــه زمن ابنيه ، وفترة من عهد المنصور قلاوون . وبخلاف « الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر » ، له العديد من المؤلفات الأخرى مثل « الروضة البهية فى حضرة القاهرة المعـــزية » ، و « الألطاف الخفيـــة من السيرة الشريفة الســـلطانية الأشرفية » و « تشريف الأيام والعصور لسيرة الملك المنصور » [٤٧] . وتتضح أهمية كتاباته فى أنه كان يدون معلوماته عن الحوادث مباشرة بعد وقوعها ، أو الحصول عليها من مصادر شفهية سواء من السلطان نفسه أو من قضاته ، وقد أشارإلى ذلك صراحة فى مؤلفاته . كما نقل عن العديد من المصادر الكتابية مثل كتاب « فتوح البلدان » للبلاذرى ، وكتاب « فتوح الشام » للرملى ، و « التذكرة » لابن حمدون فضلا عن مؤلفات ابن الأثير والسمعانى ، وابن منقذ ، وغيرها . كما اعتمد على العديد من الوثائق بحكم عمله فى ديوان الانشاء . وكان هذا مدعاة لأن ينقل عنه مؤرخو العصر المملوكى ، مثل النويرى فى « نهاية الأرب فى فنون الأدب » ، وبيبرس الداودار فى « زبدة الفكـــرة فى تاريخ أهل الهجـــرة » ، وابن أيبك فى « كنز الدرر وجامع الغرر » ، وغيرهم .

وقد أورد ابن عبد الظاهر الكثير من التفاصيل عن الظاهر بيبرس وحملاته ضد الصليبيين . وأمدنا بمادة تفصيلية عن الفترة التي سبقت سقوط قيسارية في قبضة المسلمين . مثال ذلك بعض بنود معاهدة عام ٦٥٩ هـ/١٢٦١م المعقودة بين بيبرس والصليبيين . كما انفرد بالإشارة إلى ذهاب « وزير قيسارية » لمحاولة إتمام اتفاق مع المســـلمين فى عام ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ م ، ولكنه لم يذكر اسمه . كذلك تحدث عن تفاصيل استعداد بيبرس للهجوم على قيسارية ، واستردادها فى ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ م . وأورد نص مرسوم التمليك الذى أصدره بيبرس لتوزيع توابع قيسارية على الأمراء والمماليك . وكان لذلك كله أثره على كتاباته فكان مصدرا ثقة ، وأبدى فهما دقيقا لما يكتب عنه [٤٨] .

أما ابن واصل (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م) [٤٩] فيعتبر كتابه « مفرج

الكروب في أخبار بني أيوب » من المصادر العربية الهامة . فقد عاصر جانبا كبيرا من عصر الحروب الصليبية . وعلى الرغم من أنه يتناول تاريخ الدولة الأيوبية ، فانه استعرض جانبا من تاريخ دولة المماليك الأولى [٥٠] . كما كان معاصرا للنصف الثاني من دولة بني أيوب ، وشاهد الأحداث بنفسه مما يجعل لكتابته قيمة كبيرة . ولكن يؤخذ عليه أنه لم يعط تفصيلات عن حملة لويس التاسع على الشام على الرغم من معاصرته لها . أما فيما يتعلق بالمادة التى أوردها عن موضوع البحث ، فقد اعتمد على العديد من المصادر الأخرى ، خاصة الفترة التى لم يكن شاهد عيان لها . وكان دقيقا فى ذكر أسماء بعض القادة الصليبيين بحيث قاربت النطق الأجنبى لها ، مثل « بليان » وهو Balian Iblien كما تحدث بالتفصيل عن الحملة الهنغارية على الشام فى ١٢١٧ م / ٦١٤ هـ ، وعن إغارة المعظم عيسى ، صاحب دمشق على قيسارية فى المحرم ٦١٧ هـ/مارس ١٢٢٠ . وأشار إلى القصيدة التي كتبها الشاعر ابن عنين فى وصف هذه الإغارة . ويتميز الجزء الرابع بأهمية خاصة . فقد استخدم ضمير المتكلم مما يوضح معاصرته للأحداث ، كما اعتمد على روايات الثقات ممن شاهدوا الأحداث بأنفسهم ، مثل حديثه عن المعاهدة التى عقدت بين الكامل محمد الأيوبى والإمبراطور الألمانى فردريك الثانى ، إذ يقول : « ذكر لى والدى ... أو حكى لى شمس الدين رحمه الله .... » [٥١] .

ويتناول بيبرس الداوادار [٥٢] (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) فى الجزء التاسع من كتابه « زبدة الفكرة فى تاريخ أهل الهجرة » [٥٣] الذى لم ينشر بعد ، تاريخ الفترة من ٦٥٥ إلى ٧٠٩ هـ / ١٢٥٧ إلى ١٣١٠ م . وعلى الرغم من أنه نقل عن ابن عبد الظاهر ، سواء فى « الروض الزاهر » أو « تشريف الايام والعصور » ، فانه انفرد بذكر بعض التفصيلات التى لم ترد فى كتابى ابن عبد الظاهر ، مثال ذلك إشارته إلى اسم قسطلان يافا « جوان دبلين » [٥٤] ، وبعض بنود المعاهدة المعقودة بين بيبرس والصليبيين فى عام ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م . كما أشار إلى

سقوط قيسارية ، وأورد نص مرسوم التمليك الخاص بتوزيع إقطاعياتها على أمراء ومماليك بيبرس ، ولكن هناك نقص فى اللوحة الموجودة بالمخطوط والخاصة بهذا الجزء (لوحة ٩٦) . كما أشار بإيجاز إلى إغارة إدوارد الأول على قاقون التى تمت فى ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م . وأشار صراحة إلى نقله عن ابن عبد الظاهر عندما قال فى لوحة ٩٢ « ويقول القاضى محيى الدين ابن عبد الظاهر .... » .

ويعتبر ابن أيبك [٥٥] (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) من أبرز المؤرخين فى القرن الثامن الهجرى / القرن الرابع عشر الميلادى . وله مؤلفان هما « كنز الدرر وجامع الغرر » ، و « درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان » [٥٦] والثانى يعد اختصاراً للأول . وعلى الرغم من أنه لم يكن معاصرا للوقائع التى يكتب عنها ، خاصة فى الجزء الأول من مؤلفيه ، فانه انفرد بالإشارة إلى العديد من الوقائع التى لم يذكرها غيره من المؤرخين . فقد أشار إلى أسر صاحب قيسارية ، هيو ، فى أثناء حملة عمورى على مصر فى عام ١١٦٧ م / ٥٦٢ هـ ، كما انفرد بقوله انه كان من ضمن بنود الإتفاق الذى عقد بين عمورى وأسد الدين شيركوه وصلاح الدين ، أنه يجب تسليم « صاحب قيسارية المأسور معه (أى مع أسد الدين شيركوه) وجميع الأسارى الذين معه » (جـ ٧ - ورقة ٣١) . ولكن يؤخذ عليه أنه أشار إلى ذلك ضمن حوادث ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م . وجريا على عادة المؤرخين المسلمين فقد نقل عمن سبقه ، وقد أشار إلى ذلك فى بعض الأحيان . وكان ممن نقل عنهم وأشار اليهم ابن الجوزى وابن عبد الظاهر وغيرهما . وأورد مجملا لتاريخ قيسارية عندما تحدث عن استرداد الظاهر بيبرس لها ، وذلك تحت عنوان « ذكر قيسارية وبدء شأنها من أول الاسلام » . كما ذكر نص مرسوم التمليك الذى أمر بيبرس بعمله لحصر توابع قيسارية . ولكنه إأورد المرسوم بطريقة تختلف عن بقية المصادر الأخرى ، فقد ذكر أسماء التوابع ثم أسماء الأمراء الذين حصلوا عليها . ولاشك أن مشاركته لوالده فى أسفاره وحروبه قد تركت أثرها على كتاباته ، مما يضفى صفة الأصالة على المعلومات التى زودنا بها .

ويعد المقريزى (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) [٥٧] من أغزر مؤرخى القرن التاسع الهجرى / القرن الخامس عشر الميلادى تأليفاً . فقد تعددت مؤلفاته الكبرى والصغرى المائة كتاب [٥٨] . ولاشك أن المناصب التي تولاها ، سواء الحكومية منها أو غير الحكومية ، قد أفادته فى كتاباته ، فكان على مقربة من الأحداث والوثائق . وقد أمدنا مؤلفه « اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا » بمادة طيبة عن تاريخ الخلفاء الفاطميين وعلاقتهم بالصليبيين ، وعن أوضاع بلاد الشام ومصر أثناء الصراع مع الصليبيين ، فقد أشار إلى سقوط قيسارية فى قبضة الصليبيين ، ولكنها كانت اشارة مقتضبة . كما تحدث عن تساقط المدن الفاطمية الساحلية تباعا فى قبضة الفرنج ، وحصار صور الذى شارك فيه يوستاش جارنييه عام ٥٠٥ هـ / ١١١١ م . وانفرد بذكر وصف البرج الخشبى المستخدم فى الحصار ، وذلك على الرغم من عدم معاصرته لهذه الحوادث . ولكن يبدو انه اعتمد على أصول أو وثائق فقدت ولم تصلنا . كما أورد تفاصيل عن حملات عمورى على مصر ، وأشار إلى أسماء القواد الذين شاركوا فيها . وانفرد بذكر حادثة لم تشر اليها المصادر الأخرى ، من معاصرة ومتأخرة ، ومفادها أن شيركوه ترك صلاح الدين أثناء حملة ١١٦٧ م / ٥٦٢ هـ على مصر ، وعاد إلى الشام حيث طلب منه إقرار أمر الصلح مع عمورى الملك الصليبى ، وأرسل الأخير يطلب من صلاح الدين التوصل إلى إتفاق لإنهاء هذه الحملة والعودة إلى الشام ، وبالفعل تم التوصل إلى عقد الاتفاق بين الجانبين . كما ذكر رواية مضمونها أن صلاح الدين طلب من عمورى السماح بنقل الجرحى المسلمين على ظهر السفن الصليبية العائدة إلى عكا ، وذلك لتعذر نقلهم عن طريق البر ، ووافق الملك الصليبى على ذلك ، غير أن الصليبيين قاموا بأسر هؤلاء الجرحى عندما وصلوا إلى عكا . وعندما عاد عمورى عن طريق البر ، وعلم بذلك ، أمر باطلاق سراحهم (٥٩) . كذلك أورد المقريزى فى كتابه « السلوك لمعرفة دول الملوك » (٦٠) ، مادة طيبة عن العلاقات بين الجانبين الصليبى والاسلامى ، وكفاح الظاهر بيبرس ضد الصليبيين ونجاحه فى استرداد قيسارية الذى زودنا بوصف كامل له . كما كان

دقيقا فى تحديد تاريخ هذا الإسترداد ، ونص مرسوم التمليك الخاص بتوزيع توابع قيسارية على أمرائه ومماليكه .

وبالإضافة إلى ماسبق ، رجعنا إلى العديد من المصادر العربية ، من خطية ومنشورة ومعاصرة للفترة الزمنية موضوع البحث ومتأخرة عنها ، وذلك بهدف استكمال الصورة العامة للموضوع ، ومن بينها مؤلفات « الإعتبار » لابن منقذ (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) ، و « أخبار مصر وتاريخها » لابن ميسر (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ - ١٢٧٩ م) ، و « تاريخ مختصر الدول » لابن العبرى (ت ٦٨٥ - / ١٢٨٦ م) ، و « المختصر فى أخبار البشر » لأبى الفدا (ت ٧٣٢ هـ / ١٢٣٣ م) ، و « نهاية الأرب فى فنون الأدب » للنويرى (ت ٧٣٢ هـ / ١٢٣٣ م) ، و « حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية » لشافع بن على (ت ٧٣٣ هـ / ١٢٣٤ م) ، و « دول الاسلام » للذهبى (ت ٧٤٨ هـ / ١٢٤٧ م) ، و « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » للعمرى (ت ٧٤٨ هـ / ١٢٤٧ م) . و « عيون التواريخ » للكتبى (ت ٧٦٤ هـ / ١٢٦٢ - ١٢٦٣ م) ، و « نثر الجمان » للفيومى (ت ٧٧٠ هـ/ ١٣٦٨ - ١٣٦٩ م) ، و « الجوهر الثمين فى تواريخ الملوك والسلاطين » و « نزهة الأنام فى تاريخ الاسلام « لابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٧ م) ، و « روض المناظر فى علم الأوائل والأواخر » لابن الشحنة (ت ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م) ، و « عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » للعينى (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) ، و « تاريخ الدول والملوك » لابن الفرات (ت ٩٠٧ هـ / ١٥٠٠ - ١٥٠١ م) ، و « الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » للعليمى (ت ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م) .

واستكمالا لجوانب الموضوع المختلفة فقد اعتمدنا أيضا على ما كتبه الرحالة والجغرافيون العرب والأجانب القدامى الذين زاروا المدينة إبان الفترة الزمنية موضوع البحث ، أو فى الفترات السابقة عنها أو اللاحقة لها . وقد سدت كتاباتهم

بعض الفجوات والثغرات التى أغفلتها المصادر الأخرى . وأوضحت هذه الكتابات وضع المدينة وأهميتها عبر العصور المختلفة . ومن بين الرحالة العرب الذين زاروا المدينة وكتبوا عنها المقدسى المعروف بالبشارى [٦١] . فقد زارها فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، وكتب يصفهافى مؤلفه « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » بأنها من أجل المدن وأكثرها خيرات كما اشتهرت بفواكهها ، والحصن الذى كان يحميها . وذكر أن سكانها كانوا يشربون من الآبار والصهاريج ، وأشارإلى الجامع الموجود بها [٦٢] .

كما وصفها رحالة آخر هو ناصر خسرو [٦٣] (ت ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م) الفارسى الأصل . فقد خرج من بلاده متجها إلى مكة لأداء فريضة الحج ، ومر فى طريقه على بلاد الشام وكانت قيسارية من بين المدن التى زارها . ووصف مسجدها الجامع الذى كان فوق منطقة مرتفعة بحيث كان المصلون يرون البحر وهم جلوس فيه . كما أشار إلى سورها والباب الحديدي الموجود فيه . كذلك تحدث عن أحد الأوانى الفخارية الموجودة فى الجامع قائلا انه كان يسع مائة منّ ماء [٦٤] . وقد اعتقد بعض المؤرخين الحديثين أنه هو نفس الإناء الذى أشار إليه المؤرخون الصليبيون عند الاستيلاء على قيسارية عام ١١٠١ م / ٤٩٤ هـ والذى حصل عليه الجنوية . ولكن الوصف الذى ذكره ناصر خسرو يخالف وصف هؤلاء المؤرخين الصليبيين للإناء [٦٥] . وترجع أهمية ما كتبه ناصر خسرو عن المدينة إلى أنه أعطى وصفا لها قبل نصف قرن من استيلاء الصليبيين عليها ، مما أتاح لنا عقد مقارنة بين وضعها فى الفترة الإسلامية ووضعها فى الفترة الصليبية .

وعلى الرغم من أن ابن جبير [٦٦] (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) لم يزر المدينة خلال زياراته المتعددة للمشرق الإسلامى ، فإنه أفادنا فى نقطة هامة تتعلق بأوضاع المسلمين التابعين للصليبيين . فوصف أموالهم وما يجب تأديته للصليبيين من ضرائب سواء على الأشخاص أو الثمار والزروع . كما أشار إلى التجارة القائمة بين الجانبين سواء فى أوقات السلم أو الحرب . والرحلة أشبه بمذكرات يومية لما

شاهده فى رحلاته وأسفاره . وهى تستمد قيمتها من أنها تمت فى فترة هامة من الصراع الصليبى الإسلامى ، وهى فترة حطين وما تلاها من أحداث ، مثل مجىء الحملة الصليبية الثالثة وصلح الرملة [٦٧] .

وبعد استرداد المماليك لقيسارية ، أخذت المدينة فى التدهور ، وذلك بسبب تخريبها من ناحية ، وانشاء مدينة أخرى بدلا منها هى قاقون [٦٨] من ناحية أخرى . وقد لاحظ ذلك الجغرافيون والرحالة الذين كتبوا عن هذه الفترة . فقد وصفها أبو الفدا [٦٩] (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) فى كتابه « تقويم البلدان » بأنها كانت بالفعل من أمهات المدن العظام ولكنها اليوم ، أى فى القرن الثامن الهجرى / القران الرابع عشر الميلادى ، غدت خرابا . وهذا ما حدث للمدينة بالفعل فى الفترة التى تلت استرداد المماليك لها ، ولعل ذلك يرجع إلى أن مرساها كان صغيرا ، بالإضافة إلى تخريبها أيضا على يد بيبرس من قبل ، كما تعرضت فيما يبدو للتخريب مرة ثانية على يد الأشـــــرف خليل بعد استرداده لكل الإقطاعيات والمعاقل الصليبية الممتدة على ساحل الشام . كما أشار القرمانى [٧٠] (ت ١٠١٩ هـ / ١٦١١ م) إلى أنها بلغت حدا كبيرا من التدهور ، حتى أن المرسى لم يعد يسع سوى مركب واحد صغير « بعد أن كانت من أمهات المدن العظام » [٧١] .

وإذا كانت كتابات الرحالة والجغرافيون العرب قد أعطتنا صورة لوضع المدينة خلال الفترة السابقة لاستيلاء الصليبيين عليها وبعد استرداد المماليك لها ، فان كتابات الرحالة والحجاج المسيحيين تستكمل رسم الصورة العامة للمدينة وخاصة فى الفترة الصليبية . والملاحظ على أغلب كتابات هؤلاء الحجاج أنها كانت تهتم بوصف الآثار الدينية الموجودة فى المدينة ، وكذلك ذكر المسافات بين المدن والتى اختلفت ما بين حاج وآخر . كما خلط هؤلاء الحجاج المسيحيون بين قيسارية فلسطين وقيسارية فيليب أو بانياس . بل أن بعضهم أشار إلى دور Dor الواقعة إلى الشمال من قيسارية على أنها هى قيسارية [٧٢] .

وكان أول من زارها في الفترة الصليبية ، هو الرحـــالة الروسى دانيل Daniel [٧٣] وذلك حوالى عام ١١٠٦ - ١١٠٧ م / ٤٩٩ - ٥٠٠ هـ . ولكنه لم يصفها ، ولو كان قدسجل وصفا لها لكان قد أفادنا فى معرفة مدى ما أحدثه الصليبيون في المدينة بعد استيلاؤهم عليها . وقد خلط ما بين قيسارية فلسطين وقيسارية فيليب وهى بانياس الداخلية [٧٤] . وبعد دانيال قام حاج آخر بزيارة قيسارية وذلك حوالى عام ١١٣٠ م / ٥٢٤ هـ ، وهو فيتلوس Fetellus . وتبدو أهمية ما كتبه فى أنه يعطينا وصفا للأماكن المقدسة للمسيحيين فى بداية الحروب الصليبية . وقد أورد موجزا لتاريخ المدينة منذ انشائها ولكنه وقع فى أخطاء الرحالة والحجاج السابقين ، وذلك عندما أشارإلى أن دور هي قيسارية ، وهو مايخالف الواقع . فقيسارية كان يطلق عليها برج ستراتون وليس دور الواقعة إلى الشمال من قيسارية . كذلك أعطى فيتلوس وصفا للمدينة أثناء تبعيتها للمسلمين ، وقال انها ازدهرت وزادت مكانتها حتى صارت كالفردوس وذلك لوقوعها على الطريق الممتد بين القاهرة وبغداد أما عن المدينة بعد استيلاء الصليبيين عليها ، فقدأشار إلى ماحدث بها من مذابح عند الإستيلاء عليها ، وما حدث لحدائقها من تخريب واختلاط روائح الحرائق التى شبت فيها بالروائح الكريهة المنبعثة من جثث القتلى . وما حدث أيضا للتوابل الموجودة فيها حيث اختلطت بالرماد ، ولا شك أن ذلك أبلغ تعبير عما أحدثه الصليبيون من فظائع عند استيلائهم عليها [٧٥] .

وهناك مؤلف آخر مجهول الاسم خلف كتابا باســم « مدينة بيت المقدس The City of Jarusalem ويبدو أن كاتب هذه الرحلة عاش فى فلسطين فيما بين عامى ١٢٢٠ و ١٢٢٩ م / ٦١٧ و ٦٢٦ هـ . ويتضح ذلك من خلال التواريخ التى أوردها ، كما أن الرحلة تمت للمناطق التابعة للصليبيين فقط . ومن المرجح أن هذا الكاتب المجهول عاصر « الحملة الصليبية السادسة » التي قادها الامبراطور الألمانى فردريك الثانى ، والتى تمكن الصليبيون عن طريقها من استعادة مدينة

بيت المقدس [٧٦] . وقد أشار المؤلف إلى تشييد قلعة الحجاج أو عثليت ومنحها لجماعة الفرسان الداوية وذلك في عام ١٢١٨ م / ٦١٥ هـ . ثم تابع رحلته فمر على قيسارية وأشار إلي الكنيسة التي كانت موجودة خارج سورها حيث دفن كورنيليوس . ووصف بعض الآثار التى اعتقد انها آثار مسيحية . كما أشار إلى خربة كبار Pein Perdue وذكر انه كان يوجد بها كنيسة صغيرة للسيدة العذراء ، حيث انها كانت على طريق الحجاج ، كما تحدث عن تماسيح النيل وذكر أن سيد قيسارية قد أحضر معه عددا منها عند عودته من مصر إلى إقطاعيته . وواصل بعد ذلك رحلته إلى بيت المقدس [٧٧] .

هذه دراسة تحليلية نقدية مقارنة لأهم منابع البحث وأصوله ، من عربية وأجنبية ، خطية ومطبوعة . وبالإضافة إلى ذلك فقد رجعنا إلى العديد من المراجع الثانوية المتخصصة التى أفادتنا فى تفسير بعض قضايا البحث . ومن بين المراجع الأجنبية مؤلفات رهرشت Röhricht ، ورانسيمان Runciman ، وستيفنسون Stevenson ، وبنفنستى Benvenesti ، وبراور Prawer ، وكوندر Conder ، وكنج King ، ولامونت La-Monte ، وجروسيه Grousset ، وسميل Smail ، ودجان Duggan ، وريشرد Richard ، وباير Beyer . أما عن المراجع العربية ، فمن حسن الحظ أنه توجد مدرسة متخصصة فى تاريخ الحركة الصليبية ، خلفت لنا مؤلفات قيمة فى تاريخ الحركة الصليبية أفدنا منها فائدة كبرى فى بحثنا هذا .

الهوامش

(١) كان فوشيه ضمن جيش أتيين بلوا وروبرت كونت نورماندیا ، ومنذ يوليـــو ١٠٩٧ م / شعبان ٤٩٠ هـ صحب بلدوين إلى الرها حيث أسس أول إمارة صليبية بها . والكتاب عبارة عن مذكرات تنتهى بأعوام ١١٠١ م ، ١١٠٦ م ، ١١٢٤ م ، ١١٢٧ م ، وتناول فيها الكثير من الأحداث التى جرت فى الشام . وتعرض فيها أيضا لعلاقات المملكة الصليبية فى عهدى بلدوين الأول والثانى مع كل من دمشق وحلب والموصل والقاهرة ، وأيضا العلاقات مع إمارات انطاكية والرها وطرابلس . انظر :

Cahen C., La Syrie du Nord a l'époque des Croisades et la Principauté Franque d'Antioche, Paris, 1940. pp. 10 - 11.

منشور أيضا فى مجموعة الحروب الصليبية (المؤرخون الغربيون) أنظر :

R. H. C. - H. Occ. Vol. III, pp. 311 - 486.

(٢) Trans. by Frances Rita (Sister of St. Joseph) . Edited with an Introduction by Harold S. Fink, Knoxville 1969.

(٣) اعتمد فى هذا الجزء على المؤرخ المجهول وريموند داجيل . أنظر :

Introduction to Fulcher of Chartres, pp. 4 - 5.

(٤) انظر الفصل الثانى من هذا الكتاب ص ١١٠ - ١١٣

(٥) Cahen ., op. cit. pp. 10 - 11.

وأيضا أنظر : السيد الباز العرينى : مؤرخو الحـــروب الصليبية ، القاهرة ، ١٩٦٢ . ص ٤٢ - ٤٣ ، جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين فى الحــــرب الصليبية الأولى ، ط . ثانية ، الاسكندرية ، ١٩٦٧ ، ص ٨ - ١١ .

(٦) R.H.C. - H. Occ. Vol. V, pp. 47 - 73.

(٧) ولد عام ١٠٨٠ أو ١٠٨١ م ، وكان والده حاكما لكاسكيفلونى فى ايطاليا والتى تعـــرف اليوم باسم Castropino . وخلف كافارو والداه فى حكم هذه المقاطعة ، وللمزيد عن رحلاته إلى الشرق أنظر : مصطفى الكتانى : العلاقات بين جنوة والشرق الادنى الاسلامى ، الكتاب الثانى ، الاسكندرية ١٩٨١ ، ص ٢٨ - ٣١ .

(٨) انظر الفصل الأول من هذا الكتاب ص ٨٣ - ٨٤ .

(٩) كان أمينا وكاهنا لخزينـــــة اكس الألمانية وليست اكس البروفنسارية الفرنسية . انظر : جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ١١ ، ١٢ . أما الكتاب فهو منشور فى:

R.H.C. - Occ. Vol. IV, pp. 265 - 713.

(١٠) السيد الباز العرينى : المرجع الســـابق ، ص ٧٦ ، جوزيف نسيم : المرجع الســـــابق ص ١٣ ، وأيضا :

Cahen, op. cit., pp. 12 - 13.

(١١) ولد وليم الصـــورى في سورية عام ١١٣٠ م / ٥٢٤ هـ ، واتجه إلى الغـــرب الأوروبى لاستكمال تعلميه هناك ، وعاد بعد ذلك إلى الشرق فى عام ١١٦٢ م / ٥٥٧ هـ . وأخذ يتدرج فى سلك المناصب الدينية . ثم أصبح معلما لبلدوين الرابع ، ومستشارا له فى عام ١١٧٤ م / ٥٦٩ هـ ورئيسا لأساقفة صور . وكاد يصل إلى بطريركية بيت المقدس ولكن هرقل رئيس أساقفة قيسارية تمكن من الحصول عليها . ونتيجة لذلك وبسبب الأوضاع التى آلت إليها المملكة الصليبية وتدهورها ، آثر وليم الرحيل إلى الغرب الأوروبى . وتوقف عن استكمال كتابه بعد أن بلغ اثنتين وعشرين كراسة . وبعد محاولات وافق على استمراره فى الكتابة ، ولكنه لم يكمل الكراسة الثالثة والعشرين بسبب وفاته . أما عن تحديد تاريخ وفاته فليس معلوما على وجه الدقة ومن المرجح أنه مات فى صيف ١١٨٥ م / ٥٨١ هـ . وقيل أنه مات مسموما . وللمزيد عن ذلك أنظـــر : بيريل سمالى : المؤرخون فى العصور الوسطى ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، القاهـــــرة ١٩٧٨ ، ص ١٧٩ - ١٨٧ ، السيد الباز العرينى : المرجع الســـابق ، ص ١٠١ ، ١١١ ، ١٤٥ ، عمر كمال توفيق : المؤرخ وليام الصورى ، مقال بمجلة كلية الأداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد ٢١ ، الاسكندرية ١٩٦٧ ، ص ١٨١ - ٢٠٠ ، وأيضا أنظر :

Jean Richard, The Latin Kingdom of Jerusalem, trans. from French by Janet Shirley, 2 vols., Amastrdam 1979, p. 110; Cahen, op. cit. pp. 17 - 18.

(١٢) William of Tyre, A History of Deeds done beyond the Sea, 2 vols., trans and annotated by Emily Stwaer Babcock and A.C. Krey, New York, 1943, Vol. I. p. 438.

هذا والنسخة الأصلية للكتاب باللغة اللاتينية توجد فى :

R.H.C. - H. Occ., Vol. I, pp. 1 - 1134.

(١٣) أنظر الفصل الثانى من الكتاب ص ١١٦ ، ح (٢) .

(١٤) R.H.C. - H. Occ. Vol. II, pp. 2 - 481.

أما عن مؤلفه فهو مجهول وقد سمى بهذا الاسم لأن أول جملة فيه تبدأ بإسم الإمبراطور هرقل . وقام أحـد رجال البلاط الفرنسى فى منتصف القرن الثالث عشر الميـلادى (أواسط القرن السابع الهجرى) بترجمة كتاب وليم الصورى إلى الفرنسية القديمة وأضاف إليه هذا الكتاب السابق كتذييل له . أنظر : مصطفى الكنانى : المرجع السابق ص ٤١ ، ح ٢ ، محمود سعيد عمـران : الحملة الصليبية الخامسة ، الاسكندرية ١٩٧٨ ، ص ١٥ .

(١٥) كان معاصـرا لحملة ريتشارد قلب الأسد ، وقد اختلفت الآراء حول تسميته Vinsauf فيرى البعض أن ذلك يرجع إلى أنه كان مشرفا على عصر النبيذ فى الدير الذى كان يعيش فيه بينما يرى آخرون أن التسمية مشتقة من الكلمة الألمانية Wein Sauffen والتى تعنى مدمن الخمر أو Vin Sauver أى عاصر النبيذ . ومهما يكن من أمر فالمعروف انه انجليزى المولد ، وله كتابات عديدة ، بخلاف الكتاب الذى بين أيدينا . أنظـــر :

Geoffrey de Vinsauf, History, of the Expedition of Richard Coeur-Lion to the Holy Land, London, 1848, pp. III - VI.

(١٦) Trans. from the Old French by Mertan Jerome Hubert with notes and documentation by J.L., LaMonte, New York, 1941.

(١٧) جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ٢١ ، ح ٣ .

(١٨) يتناول الجـزء الأول أحـداث السنوات من ٧٣٢ إلى ١١٨٠ م / ١١٤ - ٥٧٥ هـ ، ويركز بصفة خاصة على تاريخ انجلترا . ولكن يؤخذ عليه الخلط بين الأحداث وترتيبها . أنظـــر :

Roger of Hoveden, Annals, trans from the Latin with notes and illustrations by, H. Riley, 2vols. London. 1883.

(١٩) انظر ما يلى ص ١٦٣ من هذا الكتاب .

(٢٠) يعرف أيضا باسم سكولاستيك Scolastique أو المعلم وقد قام بدور واضح فى الدعـوة للحملة الخامسة في ألمانيا . وأبحر مع الحملة إلى الشام ، ثم إلى دمياط . وبعد فشلها عاد إلى عكا حيث قضى فترة قليلة بعدها عائدا إلى ألمانيا حيث تولى أسقفية بادرنبورن فى عام ١٢٢٧ م . انظر محمود عمران : المرجع السابق ، ص ٤ - ٨ .

(٢١) تدرج روجر فى المناصب الدينية حتى وصـل إلى رئيس دير بلفوار التابع لدير القديس البينى Albeney فى انجلترا . ويعرف باسم وندوفر نسبة إلى هذه البلدة الواقعة فى مقاطعة بكنجهام الانجليزية . ومات فى عام ١٢٣٧ م / ٦٣٥ هـ . والجدير بالذكر أن هذا الكتاب كان ينسب قبل ذلك إلى متى الباريسى . أنظر : مصطفى الكتانى ، المرجع السابق ، ص ٤٦ ، ح ١ ، وأيضا :

Roger of Wendover, Flowers of History, trans. from the Latin by J. A., Giles 2vols., London; 1848, pp. V - VII.

(٢٢) Trans. form the Latin by J.A., Giles, 2vols., London, 1852 - 53.

(٢٣) Runciman, A History of the Crusades, 3 vols., London, 1971, Vol. III, p. 484 .

(٢٤) جوزيف تسيم يوسـف : العدوان الصليبى على بلاد الشـام ، هزيمة لويس التاسع فى الأراضى المقدسة ، ط . ثالثة ، الاسكندرية ١٩٧١ ، ص ٢١ .

(٢٥) ولد جان دى جوانفيـل فيما بين عامى ١٢٢٠ و ١٢٢٨ م ، وأصبح حاكما لاقليم شـامبانيا . أما عن قصة تدوينـه لمذكراته فتتلخص في أن زوجة فيليب الرابـع (الجميل)طلبت منه أن يسجل هذه المذكرات ، وبالفعل بدأ في تسجيلها ، ولكنها توفيت قبل أن يتمها فقام باهدائها إلى ابنها لويس العاشر . وتوفى جوانفيل وهو فى الثالثة والتسعين من عمره تقريبا . والجدير بالذكر أن هناك عدة طبعات لكتاب جوانفيل . وقد اعتمدنا على النسخة الانجليزية والمعنونة باسم :

Memoirs of Louis lx.King of France, trans by Johnes of Havod, in Chronicles of the Crusades, Bohn;s (cd). London, 1848.

(٢٦) انظر : جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ٤ - ١٥ .

(٢٧) ألف كتابه باللاتينية بعنوان « تاريخ الفرنجة الذين استولوا على بيت المقدس
"Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem" in R.H.C - H. Occ., Vol. III, pp. 231 - 309.

(٢٨) أشار بصفة خاصة للاحداث التي جرت في إمارة انطاكية ، وأورد بالتفصيل دور ايفرمار رئيس أساقفة قيسارية في معركة تل دانيث عام ١١١٩ م / ٥١٣ هـ . أنظر :
Bella Antiochena, in R.H.C. - H. Occ., Vol. V. pp. 81 - `132.

(٢٩) على الرغم من أن كومنين تتناول في كتابها الالكسياد سيرة أبيها الكيس كومنين فإنها أشارت بصفة خاصة إلى حصار صور في عام ١١١١ م / ٥٠٥ هـ ، حيث روته عن لسان بعض البيزنطيين الذين كانوا في هذه الفترة في بلاد الشام لإتمام اتفاق مع الملك الصليبي بلدوين الأول ، وهو الحصار الذي ساهم يوستاش جارنييه فيه بدور رئيسي . أنظر :
Anna Comnena, The Alexiad. London, 1979, pp. 442 - ff.

(٣٠) من المصادر الأرمينية الهامة التي تتناول الفترة من ٩٥٢ إلى ١١٣٧ م/٣٤١-٥٣٢ هـ ويبدو أنه مات أثناء استرداد عماد الدين زنكي لإمارة الرها في عام ١١٤٤م/٥٣٩ هـ، وأتمه أحد تلامذته وهو الكاهن جرايجور Gregoire Le Préte, وذلك حتى عام ١١٦٣م/ ٥٣٩ هـ . أنظر :
Matthieu d'Edesse, Chronique (962-1136) Paris, 1858.

(٣١) من المصادر القانونية الهامة ،وقد تناول يوحنا إبلين النظام الإقطاعي والإجراءات التجارية وغيرها من النواحي القانونية المتعلقة بمملكة بيت المقدس الصليبية . ووضعه في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي/النصف الثاني من القرن السابع الهجري . وكان يوحنا كونتا ليافا (١٢٤٧ - ١٢٦١ م) . أنظر :
Assises d'Jerusalem, 2 Vols, Paris, 1841.

(٣٢) يرجع إلى القرن الرابع عشر الميلادي / القرن الثامن الهجري . وينقسم إلى ثلاثة أقسام الأول يتناول أحداث أعوام ١١٣١ إلى ١٢٢٢ م / ٥٢٥ إلى ٦١٩ هـ ، وقد اعتمد في هذا الجزء على حوليات الأراضي المقدسة ، أما الثاني فيتناول أعوام ١٢٢٣ - ١٣٠٩ م / ٦٤٦ - ٧٠٩ هـ ، وقام بتأليف هذا الجزء الأخير شخص يدعى فارس الداوية من صور . أنظر :
Les Gestes des Chiprois, in R.H.C. - Doc : Arm, Vol. II. (1869-1906).

(٣٣) من المؤرخين الذين سجلوا أحـــداث الحملة الصليبية الثالثة ، وأشار بصفة خاصـــة إلى حصول جود فرى لوزنيان على قيسارية ضمن الإتفاق الذى عقد بين جاى لوزنيان وكونراد عام ١١٩١ م / ٥٨٧ هـ . أنظر :

Benedicti Petroburgensis, Vita et Gestis Henrici II Angliae Regis, in His. des Gaules et de la France. Paris, 1818, XVII, pp. 406 - 546.

(٣٤) يسمى أرنول أو برنارد وكان متوليا للخزانة ، وقد ذيل على كتاب وليم الصورى ، حيث تناول الفتـــرة من عام ١١٨٤ إلى ١٢٢٩ م / ٥٧٩ - ٦٢٧ هـ . وقد اعتمدنا على الجزء الذى نشره رهرشت فى كتابه عن مصـــادر الحملة الصليبية الخامســة . أنظـــر :

Röhricht, (ed), E Chronicis Occidentallibus excerpfit et Sumptibus Socilatatis Ilustrandis Orientis Latini Monumentis, Geneve, 1882.

(٣٥) تناول بول ويجلر حياة فردريك الثانى وموقفـه من البابوية ، ولكنه تحـــامل على الإمبراطور حتى أنه أطلق على كتابه عنوان « الإمبراطور المهرطق » . وقد أورد تفاصيل الحملة الصليبية السادسة ، وموقف الأمراء اللاتين فى الأراضى المقدسة ، ومن بينهم جوتييه الثالث وابنه يوحنا منها . أنظر :

Wiegler, P., The Infidel Imperor and his Struggles against the Pope, trans. by B.W. Downs. London, 1930, pp. 134 - 5.

(٣٦) تناولت الاحـداث من عام ١٠٩٥ إلى عام ١٢٩١ م / ٤٨٨ - ٦٩٠ هـ ، وقام بنشرها العالمان رهرشت ورينوه . أنظر :

Annals de Terre Sainte, 1095 - 1291, Publiées par R. Röhricht, G. Raynaud, in, A.O.L., Vol. II, pp. 429 - 61.

(٣٧) أبو يعلى حمزة بن راشد التميمى المعروف بابن القلانسى ، دمشقى الأصـــل ، ولد عام ٤٧٢ هـ / ١٠٧٩ م ، وشغل العديد من المناصب مثل رئيس ديوان الانشاء للمزيد أنظر : عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، الاسكندرية ١٩٦٧ ، ص ١٦ ، السيد الباز العرينى : المرجع السابق ، ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(٣٨) عماد الدين أبو عبـــد الله بن صفى الدين محمـــد بن نفيس الدين الملقب بالكاتب الأصفهانى ، ولد فى أصفهان فى ٥١١ هـ / ١١٢٥ م ، وتوفى فى دمشق ٥٩٧ هـ /

١٢٠١ م . وعمل فى خدمة نور الدين ، ثم أشرف على ديوان الانشاء ، وتقرب إلى صلاح الدين نظرا لعلاقته بالقاضى الفاضل الذى عينه نائبا له . وقد أتاح له ذلك أن يكون على مقربة من الوثائق الرسمية . ووصفه البندارى بأنه « ذو البلاغتين » وله العديد من المؤلفات من بينها « البرق الشــامى » والفتح القسى فى الفتح القدسى » ، « وخريدة القصر وجريدة أهل العصــر » ، و « خطفة البارق وعطفة الشــارق » و « العتبى والعقبى » و « نحلة الرحلة » . للمزيد أنظر : العماد الأصفهانى : الفتح القسى فى الفتح القدسى ، تحقيق محمد محمود صبح ، القاهرة ١٩٦٥ ، مقدمة المحقق ، ص ٣٢ - ٣٣ .

(٣٩) الفتح بن على البندارى من رجال البلاط فى عهد المعظم عيسى صاحب دمشــق ، والجزء الذى بين أيدينا للبرق الشامى ، هو الجزء الأول ، أما الثانى فمفقود . أنظر : البندارى : سنا البرق الشامى ، تحقيق د. فتحية النبراوى ، القاهرة ١٩٧٩ .

(٤٠) أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد الملقب بعز الدين ابن الأثير ، ولد فى عام ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠م ، ودرس علوم الدين والقرآن والحديث ثم انتقل إلى الموصل . وتوفى فى عام ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م عن خمسة وسبعين عاما . أنظر ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ، تحقيق : عبد القادر أحمد طليمات ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٧-١٣ ، السيد الباز العرينى : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

(٤١) السيد الباز العرينى : نفس المرجع ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٤٢) رجعنا إلى القسمين الأول والثانى من الجــزء الثامن . أما عن حيــاته ، فهو سبط شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قز أوغلى . ولد عام ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م ، ورحل إلى بغداد ومنها إلى دمشق حيث عمل مدرسا وكاتبا . وتوفى فى ٦٥٤ هـ/١٢٥٧م عن واحد وسبعين عاما . أنظر : عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٠٣ . وتم نشر الجزء الثامن فى حيدر آباد - الهند - ١٩٥١ - ١٩٥٢ م .

(٤٣) عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان بن أبى بكر بن محمـد المقدسى ، ولد فى دمشــق ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م ، وتوفى عام ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م عن أربعة وستين عاما . وقضى جانبا من حيــاته فى دمشق حيث اشتغل بالعلم والدراسة ، وسمى بأبى شــامة لوجود شامة فوق حاجبه الأيسر . أنظر : جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ٣٤ ، ح ٢ .

(٤٤) يحيى بن حامد أبو طيء النجار بن ظافـر بن على بن عبد الله الغسانى الحلبى . وهو المؤرخ الشيعى الوحيد الذى بلغت أهميته أن المؤرخين السنيين رجعوا إليه ولم يستطيعوا اغفاله . ونقل عنه أبو شامة وابن شداد وابن عبد الظاهر وابن الفرات .
أنظر: السيد الباز العرينى : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٤٥) نشره السيد عزت العطار تحت اسم « تراجم رجال القرنين السادس والسابع » - ط . ثانية بيروت ١٩٧٤ .

(٤٦) محيى الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهـر السعدى المصرى . ولد عام ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م ، وتوفى عام ٦٩٢ هـ / ١٢٩١ م .
أنظر : الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر ، ط . أولى ، الرياض ١٩٧٦ ، مقدمة المحقق ، ص ٩ - ٣٨ .

(٤٧) حققه مراد كامل ، وراجعه محمد على النجار ، القاهرة ١٩٦١ .

(٤٨) فايز نجيب اسـكندر : مملكة أرمينية الصغـرى بين الصليبيين ودولة المماليك الأولى (١٢٥٠ - ١٣٧٥ م / ٦٤٨ - ٧٧٦ هـ) ، الاسكندرية ١٩٨٠ ، رسالة دكتوراه لم تنشر بعد ، ص ١٩ - ٢٣ .

(٤٩) هو جمال الدين أبو عبد الله بن محمد بن سالم نصر الله بن سالم بن واصل ، ولد فى عام ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م ، وتوفى ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م فى حماة عن ثلاثة وتسعين عاما .
أنظر : ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، جـ ٤ ، تحقيق د. حسنين ربيع ومراجعة د. سعيد عاشور ، القاهرة ١٩٧٢ ، مقدمة المحقق ، ص ٧ - ٨ .

(٥٠) حقق د. جمال الدين الشيال الثلاثة أجزاء الأولى من ابن واصل ، أما الجزءان الرابـع والخامس فقد نشرهما الدكتور حسنين محمد ربيع وراجعهما د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٧٢ ، ١٩٧٧ .

(٥١) لايزال الجزء الخاص بالأحـداث من عام ٦٤٥ هـ / ١٢٤٨ م إلى عام ٦٨٠/١٢٨١ م مخطوطا لم ينشر بعد .

(٥٢) هو ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصور الداودار . وكان من مماليك المنصـور قلاوون وتولى نيابة الكرك إلى أن عزله الأشرف خليل . ثم أصبح داودارا وناظرا للأحباس ،

ووصل إلى منصب نائب السلطان فى ٧١١ هـ / ١٣١١ م . أنظر : أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ، ص ٢٦٣ ، وأيضا جمال الدين سرور : دولة الظاهر بيبرس فى مصر ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٩ - ١٠ .

(٥٣) يتكون المخطوط من أحد عشر جزءا لم يتبق منها سوى الجزء الرابع (١٣١ - ٢٥٢ هـ/ ٧٤٨ - ٨٦٦ م) ، والجزء الخامس (٢٥٣ - ٣٢٢ هـ / ٨٦٧ - ٩٣٤ م) ، والجزء السادس (٣٢٣ - ٣٩٩ هـ/٩٣٥ -١٠٠٩م) ، والجزء التاسع (٦٥٥ - ٧٠٩ هـ / ١٢٥٧ - ١٣٠٩ م) . ويقع الجزء التاسع فى ٤٨٧ صفحة ، وفيه بعض الصفحات الناقصة ، بل أحيانا يوجد نقص فى الصفحة الواحدة ، كما أن كل صفحة عبارة عن قسمين ، ومرقم كل قسم منها برقم على حدة .

(٥٤) هو يوحنــا الثانى ابلين مؤلف كتاب « قوانين بيت المقدس » Assises de Jerusalem وتولى حكم يافا من ١٢٤٧ إلى ١٢٦١ م / ٦٤٤ - ٦٦٠ هـ .

(٥٥) أبو بكـر بن عبد الله ابن أيبك الداوداري ، تقلد العديد من المناصب هو ووالده فى عهد الأشرف خليل . منها وظيفة مقدم الحلقة والتى كانت تتيح له رئاسة أربعين جنديا ، ولم يكن له عليهم سلطة إلا فى المعركة حيث كان يقوم بترتيبهم . أنظر القلقشندى:صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، جـ ٤ ، ص ١٤ - ١٥ ، وأيضا : فايز اسكندر : مملكة أرمينية الصغرى ، ص ٢٧ - ٢٨ .

(٥٦) لايزال درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان مخطوطا لم ير النور بعد .

(٥٧) هو تقى الدين أحمد بن على ، ولد بالقاهرة عام ٧٦٦ هـ/ ١٣٦٤ - ١٣٦٥ م ، وتوفى في عام ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م . تقلد العديد من المناصب ، فكان كاتبا فى ديوان الانشاء ، ثم أصبح قاضيا ، وإماما لجامع الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله ، ومحتسبا للوجه البحرى والقاهرة ، ثم قاضيا لدمشق . أنظر : المقريزى : أتعاظ الحنفا ، تحقيـق د. جمال الدين الشيال ، جـ ١ ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص ١٧ - ١٨ .

(٥٨) من بين مؤلفاته: « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار » و « البيـــان والاعراب بمن حل مصر من الاعـــــراب » و « المقفى الكبير » و « شـــــارع النجاة فى تاريخ الأديان » وغيرها . أنظـــر : دراسات عن المقريزى ، مجموعة أبحاث ، القاهـــرة ١٩٧١ .

(٥٩) المقريزى: أتعاظ الحنفا بذكر الائمة الفاطميين الخلفا ، جـ ٢ ، ٣ ، نشر وتحقيق د. محمد حلمى أحمد ، القاهرة ١٩٧١ - ١٩٧٢ ، جـ ٣ ، ص ٢٨٢ - ٢٨٥ .

(٦٠) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الأول ، قسم ١ - ٣ ، نشر وتحقيق د. مصطفى زيادة ، ط . ثانية ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

(٦١) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر الملقب بالمقدسى . ولد فى بيت المقدس عام ٣٣٦ هـ / ٩٤٦ م . وينتمى إلى أسرة البشارى التى استوطنت فى بيت المقدس منذ الفتح الاسلامى . وعندما بلغ العشرين من عمره قام بزيارة بيت الله الحرام ، وقام بكتابة هذا الكتاب وهو فى سن الأربعين . وهو عبارة عن خلاصة ما شاهده فى رحلاته وأسفاره ، كما اعتمد أيضا على المؤرخين والجغرافيين السابقين له مثل ابن خرداذبة والهمذانى وابن رستة وغيرهم . ويمتاز بالدقة فى كتابته ، والعناية بتسجيل الأحداث الغريبة ، وقد سجل منهجه فى مقدمة كتابه . أنظر : السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ١٩١ - ١٩٣ ، سيدة اسماعيل الكاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٦٢) المقدسى البشارى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ص ١٧٤ .

(٦٣) ولد فى قبادیان من أعمال مدينة بلخ فى بلاد فارس وذلك فى ٣٩٤ هـ / ١٠٠٣ - ١٠٠٤ م ، وكان كثير المعاصى ولكنه أقلع عنها ، وقرر التوجه لأداء فريضة الحج وذلك فى عام ٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ - ١٠٤٦ م . وقضى فى مصر فترة طويلة بعد أداء فريضة الحج . أنظر: ناصر خسرو علوى : سفر نامة ، ترجمة د. يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٥ ، مقدمة المترجم ، عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(٦٤) أنظر الفصل الأول من الكتاب ص ٦١ ، ح ١ .

(٦٥) أنظر الفصل الأول من الكتاب ص ٦١ ، ٨٣ .

(٦٦) هو أبو الحسين محمد بن أحمد جبير الكنانى الأندلسى ، ويعرف كتابه باسم « تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الأسفار » أو « رحلة ابن جبير » . أنظر : عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٦٧) قام ابن جبير بثلاث رحــلات إلى المشرق الإسلامي أولاهما عام ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م ، وثانيهما عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م ، والثالثة عام ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م ، ومات في الاسكندرية حيث دفن بها . أنظر ابن جبير : الرحلة ، بيروت (بدون تاريخ) ، ص ٢١ ، ٢١١ .

(٦٨) أنظر الفصل الخامس من الكتاب ص ٢٤٤ .

(٦٩) هو الملك عماد الدين أبو الفــداء اسماعيل صاحب حماة ابن الملك الأفضل على ابن الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المنصور وعمر ابن شاهنشاه ابن أيوب الايوبي . للمزيد عن ذلك : أنظر : أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٤٢ ، جـ ٩ ، ص ٢٩٢ .

(٧٠) هو أبو العباس أحمد جلب بن يوسف بن أحمد الدمشقي .

(٧١) القرماني: أخبار الدول وآثار الأول ، لوحة ١٥٧ .

(٧٢) كانت أول رحــلة للحجاج المسيحيين هي رحلة بوردو والذي سجل أول وصف للأماكن المقدسة المسيحية ولكنه لم يورد وصفا مسهبا لقيسارية . وتتابعت رحلات الحجاج المسيحيين إلى الأراضي المقدسة ، خاصة في الفترة السابقة لفتح المسلمين لبلاد الشام ، أي قبل القرن السابع الميلادي / قبل القرن الأول الهجري . وللمزيد من التفاصيل عن هذه الرحلات أنظر :

Palestine Pilgrim's Text Society, Vol. I, London, 1887 - 9.

(٧٣) Daniel, Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy Land, London, in P.P.T.S. Vol. IV.

(٧٤) Daniel, Ibid, pp. 1 - 8.

وأنظر أيضا عن تطور حركة الحجاج إلى الأراضي المقدسة :

ابراهيم خميس : جماعة الفرسان الداوية وعلاقتهم السياسية بالمسلمين في الشرق الأدنى حتى وفاة صلاح الدين الأيوبي ، رسالة ماجستير لم تنشر بعد ، الاسكندرية ١٩٧٩ ، ص ٢٣ - ٤٠ .

(٧٥) Fetellus, Description of Jerusalem and the Holy Land, trans, and annotated by R. J. Rose Macphersan, London, 1892, in P.P.T.S., Vol. V, pp. 46-7.

(٧٦) أنظر الفصل الرابع من هذا الكتاب ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٧٧) The City of Jerusalem, trans from The old French with notes by R.E. Conder, London, 1888, in P.P.T.S. Vol., VI, pp. 31 - 33.

ومن الملاحظ أنه أشار إلى الانتهاء من بناء قلعة الحجاج وليس إلى بداية البناء الذى كان فى عام ١٢١٧ م / ٦١٤ هـ . أما عن رواية احضار سيد قيسارية للتماسيح من مصر فهى تحمل الطابع الأسطورى ، ولم تشر إليها المصادر المعاصرة .

* * * * *

الفصل الأول

استيلاء الصليبيين على قيسارية ، وتأسيس اقطاعية صليبية بها

(١١٠١ – ١١١٠ م / ٤٩٤ – ٥٠٤ هـ)

- عرض موجز لتاريخ المدينة منذ إنشائها حتى قبيل الحركة الصليبية .
- الصراع بين السلاحقة والفاطميين في بلاد الشام ، وموقف المدينة من هذا الصراع قبيل مقدم الحملة الصليبية الأولى .
- علاقة جود فرى دى بويون (١٠٩٩ – ١١٠٠ م / ٤٩٢ – ٤٩٣ هـ) حاكم بيت المقدس بمدن الساحل الاسلامى ، ومن بينها قيسارية .
- سياسة بلدوين الأول (١١٠٠ – ١١١٨ م / ٤٩٣ – ٥١١ هـ) ملك بيت المقدس تجاه مدن الساحل الاسلامى :

(أ) اتفاق مارس ١١٠١ م / جمادى الأولى ٤٩٤ هـ مع هذه المدن ، ومن بينها قيسارية .

(ب) وصول الأسطول الجنوى إلى يافا فى أبريل ١١٠١ م / جمادى الآخرة ٤٩٤ هـ ، ودوره فى مساعدة بلدوين الأول للاستيلاء على قيسارية .

- محاولة الفاطميين استرداد قيسارية ، ووقوع معركة الرملة الأولى ١١٠١ م / ٤٩٤ هـ .
- إغارة حامية عسقلان الإسلامية فى عام ١١٠٤ م / ٤٩٧ هـ على قيسارية بعد سقوطها فى قبضة الصليبيين .
- آراء المؤرخين القدامى والحديثين حول تاريخ منح بلدوين الأول الإقطاعية ليوستاش جارنييه ، وعلاقة الإقطاعية بمملكة بيت المقدس الصليبية .
- إقطاعية قيسارية الصليبية : جغرافيتها وطبوغرافيتها وموقعها وحدودها ، وأهمية ذلك بالنسبة لموضوع البحث .

استولى الصليبيون على قيسارية فى مايو ١١٠١ م / رجب ٤٩٤ هـ ، وذلك بعد أقل من عامين من استيلائهم على بيت المقدس . وصارت هذه المدينة مركزاً لإقطاعية صليبية قدر لها أن تلعب دوراً هاماً فى تاريخ الحركة الصليبية بصفة عامة ، وتاريخ مملكة بيت المقدس الصليبية بصفة خاصة . وكان لها تأثيرها الفعال على العلاقات السياسية التى قامت بين الصليبين والمسلمين ، سواء أكانت هذه العلاقات عدائية أم سليمة . وقد استمدت الإقطاعية تلك الأهمية من موقعها الجغرافى الذى كانت تتمتع به وسط إقطاعيات المملكة الصليبية ، حيث أتاح لها أن تكون حلقة اتصال بين شمال المملكة وجنوبها ، وقبل استعراض تفاصيل تكوين هذه الإقطاعية ، يحسن أن نتناول بايجاز تاريخ المدينة منذ انشائها حتي استيلاء الصليبين عليها ، وموقفها من الصراع الذى دار بين السلاجقة والفاطميين فى بلاد الشام ، وأهمية ذلك بالنسبة للعلاقات السياسية التي قامت بين الإقطاعية بعد استيلاء الفرنج عليها وبين جيرانها المسلمين .

تقع قيسارية على ســاحل البحر المتوسط عند خط عرض ٣٠ شمالا ، فيما بين حيفا شمالاً وأرســوف جنوبا . ويرجع الفضل إلى هيرود الكبير Herod the Great [١] فى إنشائها وذلك فى موقع مدينة قديمة كانت تعرف باسم برج ستراتو Tower of Strato [٢] . واستغرق بناؤها اثنتى عشرة سنة [٣] ، وحاول هيرود أن يجعلها الأولى فى المنطقة وأن تتفوق على بيتالمقدس ويافا . ولم يكتف بذلك ، بل بذل جهودا ضخمة فى سبيل إنشاء ميناء للمدينة [٤] . فقام بعمل حاجز للأمواج عند الطرفين الشمالى والجنوبى للساحل أمامها ، وذلك لعدم وجود تعرج طبيعى للساحل فى هذه المنطقة . وقد أخذت أهميتها فى الازدياد ، وذلك لوقوعها على الطريق التجارى بين مصر وصور ، فصارت محطة للقوافل التجارية المارة على هذا الطريق . وقام هيرود الكبير باطلاق اسم الامبراطور أوغسطس Ceasar Augustus على المدينة فصارت تعرف بقيسارية Ceasarea وقد تعددت المدن التى تحمل نفس الاسم ، إلا أنه كان يضاف اليها اسم آخر تمييزا لها عن مدينة قيسارية ، محور هذا البحث [٥] .

وقد ازدادت أهمية المدينة منذ اعتناق كورنيلوس Cornelins - قائد الحامية الرومانية بها - المسيحية وذلك على يد القديس بطرس St. Peter [٦] . وبذلك أصبحت مركزا روحيا للمسيحيين في فلسطين . وقامت بها أسقفية أصبحت واحدة من أهم المراكز الدينية فى الشرق [٧] . ومن أبرز رجال الدين الذين تولوا رئاسة هذه الأسقفية ، الأسقف ايوسبيوس القيسرى (٣١٦ - ٣٣٨ م) الذى يعتبر أبا التاريخ الكنسى ، وصاحب كتاب « تاريخ الكنيسة » History of the Church . ولم تقتصر أهمية المدينة على هذه الناحية الدينية فحسب ، بل امتازت أيضا بأهميتها من الناحية الفكرية ، إذ قامت بها مكتبة ضخمة ضمت مايقرب من الثلاثين ألف مجلد [٨] .

وأدرك البيزنطيون الأهمية الدينية والفكرية للمدينة . ولذلك جعلوها عاصمة لمقاطعة فلسطين الأولى Palestina Prima . فى التقسيم الادارى الذى طبقوه فى بلاد الشام [٩] . وظلت عاصمة لهذا الاقليم إلى مقدم المسلمين ، الذى غير الأوضاع فى المنطقة .

ففى مستهل صفر ١٣ هـ / أبريل ٦٣٤ م عقد الخليفة أبو بكر الصديق أربعة ألوية وجهها إلى بلاد الشام . وكان قائد لواء فلسطين عمرو بن العاص الذى تمكن من فتح العديد من المدن البيزنطية دون قتال . غير أن قيسارية - عاصمة المقاطعة ومركز القائد البيزنطى سرجيوس - استعصت عليه وظلت تقاومه . واستمر عمرو يحاصرها منذ جمادى الأولى ١٣ هـ / يوليو ٦٣٤ م حتى تولية يزيد بن أبى سفيان أمر فلسطين وذلك فى سنة ١٨ هـ / ٦٣٨ م . وخلال هذه الفترة الطويلة ، كان عمرو يخرج للمشاركة فى المعارك الدائرة فى بلاد الشام ، ثم يعود لحصار المدينة . ولاشك أن قوة تحصينات المدينة ومنعة أسوارها من جهة ، وتلقيها الامدادات من الأسطول البيزنطى من جهة أخرى ، أدى إلى صمودها خلال تلك الفترة . وترك عمرو على حصارها يزيد بن أبى سفيان ، الذى وكل بدوره أخاه معاوية ليقوم بهذه المهمة . وقد استبد بالأخير اليأس من حصارها ، إلى أن دولة يهودى يدعى يوسف على طريق عبر أحد السراديب أسفل سور المدينة ،

الأمر الذى مكن المسلمين من دخـولها ، وكان ذلك فى شوال ١٩ هـ / أكتوبر ٦٤٠ م [١٠] . وقد بلغ جملة من استشهد خلال فترة حصارها خمسة آلاف من المسلمين وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على مدى ما أبدته من مقاومة واستماتة أمام المسلمين . وللدلالة على ما كانت تتمتع به من أهمية اقتصادية قبل فتح المسلمين لها ، أشار البلاذرى إلى أنها كانت بها ثلاثمائة سوق عامرة عند فتح المسلمين لها [١١] ، « وبها ختمت فتوحات الشام » [١٢] .

وبعد أن تمكن المسلمون من فتح بلاد الشام ، تعرضت المدينة - وذلك أثناء فتنة ابن الزبير الثانية - للتخريب ، إذ أن قائدا من قواد الروم خرج ومعه خيل كثير ، وانضم إليه عدد كبير من الجراجمة قاموا بمهاجمة بعض المدن الاسلامية ، وكانت قيسارية من بين هذه المدن التى تعرضت للتخريب وهدموا مسجدها . وكان عبد الملك بن مروان مشغولا آنذاك بأحداث هذه الفتنة ، فاضطر إلى مصالحتهم متعهدا بدفع مبلغ من المال لهم [١٣] . ولم يقتصر الأمر على هذا ، بل إن ملك الروم - جستنيان الثانى (٦٨٥ - ٦٩٥ م / ٦٦ - ٧٦ هـ) - خرج أيضا يريد بلاد الشام وذلك فى عام ٦٦ هـ / ٦٨٥ م حسبما يذكر المسعودى ، فاضطر عبد الملك إلى مصالحته ، « فهادنه وشغله » [١٤] . وبعد أن استتب لعبد الملك بن مروان الأمـر ، تولى « رم قيسارية وأعاد مسجدها واشحنها بالرجال » [١٥] . وقد ذهب بعض المؤرخين الحديثين إلى أن هذه المحاولة من جستنيان الثانى ربما كانت تستهدف استعادة بلاد الشام [١٦] . غير أن أحوال الامبراطورية البيزنطية آنذاك لم تكن تسمح بمثل هذا العمل الضخم ، نظرا لما كان يتهددها من أخطار خارجية من جانب البلغار الذين كانوا قد بدأوا فى التوجه إلى حدودها منذ عام ٦٧٩ م / ٦٠ هـ .

وفى أثناء حملة الامبراطـور البيزنطى حنا تزيمسكس John Tzimisces (٩٦٩ - ٩٧٦ م / ٣٥٩ - ٣٦٥ هـ) التى قام بها ضد بلاد الشام فى عام ٩٧٥ م / ٣٦٥ هـ ، ذكر فى خطابه إلى آشوط الثالث الأرمينى أنه تمكن من اخضاع « قيسارية الواقعة على المحيط » . كما أخضع بعض المدن الأخرى الواقعة

فى شمال فلسطين ، وقام بتعيين حكام عسكريين على هذه المدن [١٧] .

وقد اختلفت آراء المؤرخين الحديثين حول وصول الإمبراطور البيزنطى إلى هذه المنطقة مابين مؤيد ومعارض [١٨] . والواقع أن المصادر العربية لم تشر إلى وصوله إلى هذه المدن ، عندما تحدثت عن حملته على بلاد الشام ، على الرغم من أنها ذكرت باقى المدن التى وردت الاشارة إليها فى خطابه . ويثير صمت المصادر العربية الشكوك حول وصول الإمبراطور إلى هذه المدن الاسلامية . فقد ذكرت أنه الجه من دمشق ، حيث اتخذ الطريق الساحلى إلى الشمال فقام بحصار صيدا وبيروت وجبيل ثم طرابلس التى فشل فى الاستيلاء عليها ، وواصل بعد ذلك طريقه شمالا ، حيث وصل إلى أنطاكية ومنها قفل عائدا إلى بلاده [١٩] . وبالفعل لم تحقق هذه الحملة أية سيطرة للبيزنطيين على المدينة ، وظلت تابعة للفاطميين .

وثمة تساؤل يطرح نفسه وهو : هل استمرت المدينة تتمتع فى الفترة الاسلامية بما كان لها من أهمية في الفترات السابقة لفتح المسلمين لها ؟ أم أن هذه الأهميـــة قد تضاءلت ؟ أجاب بعض المؤرخين الحديثين من الأجانب عن هذا التساؤل ، قائلين : إن المدينة تدهورت خلال هذه الفترة ، وقلت أهميتها عما كانت عليه من قبل . وقد أرجع بعضهم هذا إلى أن المدينة تقع على الساحل ، ولم يكن المسلمون يهتمون بالبحر ، أو على الأقل يخشون أن تكون هذه المدينة الساحلية عاصمة لجند فلسطين [٢٠] . وبالفعل تم نقل قصبة هذا الجند من قيسارية إلى عمواس [٢١] ، ثم بعد فترة قليلة إلى اللد ، وأخيرا إلى الرملة [٢٢] .

هذه الآراء السابقة تحمل بعض الجوانب القريبة من الصحة بين طياتها . فانتقال العاصمة من قيسارية إلى هذه المدن السابقة ، ترك أثره بلا شك عليها ، خاصة وأن الاهتمام لم يعد يوجه إليها باعتبارها عاصمة للمنطقة . ومع ذلك فهى لم تفقد أهميتها تماما . إذ سبقت الإشـــارة إلى أن الخليفة عبد الملك بن مروان تولى ترميم تحصيناتها وتقوية دفاعاتها وشحنها بالرجال . كما أن المدينة عوضت ما أصاب ميناءها فى نهاية الفترة البيزنطية من تدهور جعله غير صالح

للاستخدام فى الفترة الاسلامية - عوضت ذلك بما كان لها من موارد تمثلت فى خصوبة أراضيها وتعدد انتاجها الزراعى ، بالإضافة إلى تجارتها الداخلية [٢٣] .
وللرد على ما أثاره هؤلاء المؤرخون الحديثون الأجانب ، نورد وصف ثلاثة من الذين قاموا بزيارة للمدينـــــة . اثنان منهم من الجغرافيين المسلمين وقد قاما بزيارتها قبيل الحركة الصليبية ، والثالث رحالة مسيحى زارها أثناء الصراع الصليبى الاسلامى .

وأول هؤلاء المقدسى البشارى ، وزارها فى القرن الرابع الهجرى / القرن العاشر الميلادى إذ يقول :

« وقيســـارية ليس على بحر الروم بلد أجل ولا أكثر خيرات منها ، تفور نعما وتتدفق خيرات طيبة الساحة حسنة الفواكه . عليها حصن منيع وربض عامر قد أدير عليه الحصن . شربهم من آبار وصهاريج ، ولها جامع حسن » [٢٤] .

أما ثانيهما فهو ناصر خسرو علوى ، فقد زارها أيضا فى عام ١٠٦٤ م / ٤٥٦ هـ ، وكتب عنها :

« وقمنا من هناك وسرنا حتى بلغنا مدينة تسمى قيسارية ، بينها وبين عكاء سبعة فراسخ . وهى مدينة جميلة بها ماء جار ونخيل وأشجار النارنج والترنج ، ولها سور له باب حديدى ، وبها عيون ماء جارية . ومسجدها الجامع جميل ، ويرى المصلون البحر ويتمتعون به وهم جلوس فى ساحته . وهناك زير من الرخـــام يشبه الخـــزف الصينى وهو عميق بحيث يسع مئة منّ ماء » [٢٥] .

أما الثالث الذى زارها حوالى عام ١١٣٠ م / ٥٢٥ هـ ، فهو فيتلوس

Fetellus – أحد الحجاج المسيحيين الذين قدموا إلى الأراضى المقدسة بعد سقوط المدينة فى يد الصليبيين كتب يقول :

« وفى أثناء الفترة العربية ، ازدادت مكانة قيسارية فيما بين بغداد والقاهرة ، ونمت حتى صارت مثل الفردوس » (٢٦)

ويتضح مما أورده هؤلاء الثلاثة – بما لايدع مجالاً للشك – أن المدينة تمتعت خلال الفترة الإسلامية بمكانة هامة ، وأنها ازدهرت ازدهارا كبيرا . ويعزز هذا الرأى أيضا ، أن الصليبيين عندما استولوا عليها عثروا على كميات كبيرة من الفلفل الذى كان يعتبر آنذاك ذهب العصر ، ووضعوا أيديهم على الأموال والمجوهرات التى ملئت المدينة (٢٧) . كذلك كشفت الحفريات والتنقيب الأثرى الذى تم فى المدينة عن وجود عملات ذهبية ومجوهرات ، ترجع إلى الفترة الاسـلامية (٢٨) . وان دل ذلك على شيء ، فإنما يدل على ازدهارها فى تلك الفترة ، وهذا يخالف ما ذهب إليه بعض الكتاب الأجانب من تدهورها وقلة أهميتها وقتذاك .

كانت هذه نبذة مركزة لتاريخ المدينة – محور هذه الدراسة – منذ انشائها حتى قيام الحركة الصليبية . وقبل الخوض في تفاصيل استيلاء الصليبيين عليها ، نتوقف قليلا للتعرف على أحوالها قبيل قدوم أولئك القوم إلى الأراضى المقدسة ، مع التركيز بصفة خاصة على فلسطين – حيث تقع المدينة – وما دار بين السلاجقة والفاطميين من صراعات حول هذه المنطقة ، وموقف المدينة من هذا الصراع ، والآثار المترتبة عليه .

ظهر السلاجقة علي مسرح الأحداث فى وقت كانت فيه الخلافة العباسية تعانى من الضعف الشديد . فقد سيطر البويهيون على أمور الحكم ، وأصبح الخلفاء لا حول لهم ولا قوة . وزاد الأمر تعقيدا ظهور ما يعرف بحركة البساسيرى التي استهدفت نشر الدعوة الفاطمية فى بلاد العراق (٢٩) . وفى خضم هذا الاضطراب السياسى وتلك الخلافات المذهبية ، ظهر السلاجقة متطلعين لمد نفوذهم

على العباسيين . وتمكن طغرلبك السلجوقي (١٠٣٧ - ١٠٦٣ م / ٤٢٩ - ٤٥٦ هـ) من استغلال هذه الظروف السابقة التي أمست فيها الخلافة العباسية ودخل بغداد حيث دُعي له من فوق منابرها ، وذلك في أواخر رمضان ٤٤٧ هـ / أواخر نوفمبر ١٠٥٥ م [٣٠] . وتبدأ منذ ذلك الحين سيطرة السلاجقة وتطلعهم إلى مد نفوذهم على بلاد الشام . ولم يكن الفاطميون أحسن حالا من العباسيين ، فقد عانوا من اضطراب أحوالهم سواء في الداخل أو في الخارج . ففي الداخل نزلت الكوارث الاقتصادية بالبلاد نتيجة لانخفاض النيل ، واحتدام الصراع بين كل من النزارية والمستعلية [٣١] . وكان لسوء الأحوال في الداخل أثره على الجيش الفاطمي . فقد ضعفت سيطرته على مدن الشام ، فخرجت أكثرها ورفعت راية العصيان [٣٢] . واستغل السلاجقة هذه الظروف ، وبدأوا في مد سيطرتهم على بلاد الشام ففي ١٠٦٩ م / ٤٦٣ هـ أعلن محمود بن صالح المرداسي صاحب حلب ولاءه للسلطان السلجوقي ألب ارسلان (١٠٦٣ - ١٠٧٢ م / ٤٥٦ - ٤٦٥ هـ) [٣٣] . أما في جنوب بلاد الشام ، فقد تمكن أحد قواد الأتراك ويدعى أتسز التركماني المعروف بالأقسيس من أن يفتح الرملة وبيت المقدس وذلك في عام ٤٦٣ هـ / ١٠٦٩ م [٣٤] . وبعد عدة محاولات تمكن من ضم دمشق في عام ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥ م إلى أملاكه السابقة [٣٥] . ولم يكتف بذلك ، بل حاول أيضا أن يستولي على مصر . فقام في عام ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م بمهاجمتها ، لكن محاولته فشلت ، وقفل عائدا إلى الرملة ومنها إلى دمشق [٣٦] . وبعد ذلك بعامين رد الوزير الفاطمي بدر الجمالي على هجوم أتسز على مصر ، فأرسل جيشا بقيادة نصر الدولة الجيوشي حيث تمكن من اخضاع فلسطين وأعمالها . وتابع الجيش الفاطمي سيره لحصار دمشق . ولم يجد أتسز أمامه إلا أن يستنجد بتاج الدولة تتش السلجوقي . وبالفعل قدم تتش مسرعا لنجدة دمشق ، وعند سماع القائد الفاطمي بأنباء مقدمه ، رفع الحصار وعاد مسرعا إلي مصر . وقام تتش بالقبض علي أتسز وقتله وذلك في ربيع الأول ٤٧٢ هـ / سبتمبر ١٠٧٩ م ، واستولى على دمشق [٣٧] .

تمكن تتش بذلك من السيطرة على الأجزاء الداخلية من بلاد الشام ، وأخذ يسعى لضم مدن الساحل الشامى إلى أملاكه السابقة (٣٨) . وفي استعراضنا لأحداث هذا الصراع الذى دارحول المدن الساحلية بين الفاطميين والسلاجقة سوف نركز على مدن الساحل الفلسطينى ، حيث تقع قيسارية محور هذا الموضوع . والواقع أن المصادر العربية من معاصرة أو متأخرة زمنيا لموضوع البحث لم ترد فيها اشارة صريحة توضح موقف المدينة من هذا الصراع . وهل كانت تابعة للفاطميين أو أن السلاجقة تمكنوا من ضمها إلى أملاكهم فى بلاد الشام ، أم أنها كانت تتمتع بالاستقلال الذاتى ؟

وللاجابة عن هذه التساؤلات السابقة ، سنركز على ما أورده المؤرخ ابن الأثير بهذا الخصوص لعلنا نعثر بين ثنايا السطور على مايلقى ولو بصيصا من الضـوء على هذه القضية . فقد ذكر أن أتسز استولى على الرملة وبيت المقدس « وما يجاورهما من البلاد فيما عدا عسقلان » (٣٩) . وقال فى موضع آخر أن أتسز عندما استولى على دمشق عوض صـاحبها « بقلعة بانياس ومدينة يافا من الساحل » (٤٠) . وعاد بعد ذلك فذكر «أن أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشـام إلى غزة ، ولم يبق بينهم وبين مصـر ولاية أخرى تمنعهم ، ودخول الأقسيس إلى مصر وحصرها فخافوا ... » (٤١) .

ويبدو للوهلة الأولى من هذه الاشارات الثلاث التى أوردها ابن الأثير أن السلاجقة تمكنوا من فرض سيطرتهم على فلسطين وأعمالها بما فيها قيسارية . وسوف نورد كل اشارة على حدة محاولين توضيحها وفهم ماتعنيه . فالاشارة الأولى عن فتح أتسز الرملة وبيت المقدس وما يجاورهما من البلاد فيما عدا عسقلان ، لا تعنى بالضرورة أنه ضم أيضا قيسارية . فكلمة « ما يجاورهما من البلاد » قد تعنى توابع كل من الرملة وبيت المقدس وبعض المناطق الأخرى المجاورة لهما ، ولا تعنى كل كور فلسطين . أما الاشارة الثانية الخاصة بقيام أتسز التركمانى بتعويض صاحب دمشق - زين الدولة انتصار بن يحيى - بقلعة بانياس

ويافا من الساحل عن فقده دمشق عند استيلاء أتسز عليها ، فهى أيضا لاتدل علي أن أتسز وصل إلى قيسارية وضمها إلى أملاكه السابقة [٤٢] . أما الرواية الثالثة لابن الأثير عما حصل عليه السلاجقة من مناطق فى فلسطين ، فقد ذكر أن السلاجقة ملكوا جميع البلاد حتى غزة . والواقع أن هذه الاشارة مبالغ فيها ، فالدولة الفاطمية – علي الرغم مما كانت تعانيه من ضعف وتدهور آنذاك – من الطبيعى ألا تقف موقف المتفرج إذا ماتعرضت عسقلان لأى خطر من جانب السلاجقة . فقد كانت عسقلان بمثابة مركز متقدم لها ، وكانت تحرص دائما على أن تمدها بالامدادات وعلى تقوية دفاعاتها . فاذا وصل السلاجقة إلى غزة التي تقع إلى الجنوب من عسقلان ، فان الفاطميين لن يترددوا فى ردهم [٤٣] .

ويجدر التنبيه إلى أن اشارات ابن الأثير الثلاث السابقة عن محاولات السلاجقة لمد نفوذهم فى جنوب بلاد الشام – علي الرغم من أنها وردت ضمن أحداث سنوات مختلفة – فانها تقتصر علي ماقام به أتسز التركمانى . وإذا سلمنا جدلا بأن السلاجقة تمكنوا من مد نفوذهم على مناطق جنوب الشام بما فيها قيسارية – موضوع البحث – فقد أورد ابن القلانسى اشارة أخرى مفادها أن الفاطميين تمكنوا من استعادة « أعمال فلسطين » [٤٤] ، وذلك فى الحملة الفاطمية التى خرجت بقيادة القائد الفاطمى نصر الدولة الجيوشى فى سنة ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م . كما أن تتش بعد أن استولى على دمشق من أتسز ، لم تشر المصادر العربية إلا إلى قيامه بمنح بيت المقدس فقط إلى قائده ارتق بن أكسب ، مما يعني أن السلاجقة لم يكن بيدهم سوى بيت المقدس . وثمة دليل آخر على أن المدينة ظلت تابعة للفاطميين ، وهو أنهم عندما استردوا جنوب بلاد الشام ، لم تشر المصادر العربية إلا إلى استرداد بيت المقدس فقط [٤٥] .

وتحسم الخلافات السابقة في المصادر العربية حول وضع المدينة أثناء الصراع الفاطمى السلجوقى فى بلاد الشام ، اشارة أوردها أحد المؤرخين اللاتين الذين عاصروا الحملة الصليبية الزولى وشاركوا فيها وهو البرت اكس . وهذه الاشارة توضح بما لايدع مجالا للشك تبعية المدينة للفاطميين . ففى أثناء المفاوضات التى

جرت بين المندوبين عن المدينة وبين الصليبيين عندما كان الصليبيون يحاصرونها قال أمير المدينة - الذى لم يذكر البرت اسمه - عندما عرض عليه الصليبيون تسليم المدينة وخروج أهلها سالمين :

« نخطىء إذا سلمنا أنفسنا ومدينتنا إلى ملك المسيحيين (يعنى بلدوين الأول) ونحن أحرار فى يد ملك مصر ، ولن يكون هناك وقت طويل حتى نتلقى منه ردا بخصوص هذا الأمر » [٤٦] .

ويتضح من خلال ما ذكره أن المدينة كانت تابعة للفاطميين . ولم تكن تبعيتها للفاطميين تبعية مباشرة ، وانما كانت شبه مستقلة . فقد كانت الخلافة الفاطيمية آنذاك تعانى من الضعف والانحلال ، كما كان الخلفاء ألعوبة فى يد وزرائهم لا حول لهم ولا طول والسلطة الفعلية فى قبضة الوزراء . وفى ظل هذه الظروف تمتعت كثير من المدن التابعة لها فى الشام باستقلال شبه ذاتى ، ومن بينها مدينة قيسارية .

وعلى أية حال ، خرجت الحملة الصليبية الأولى من الغرب الأوروبى متجهة إلى الأراضى المقدسة . ومرت فى طريقها على الدولة البيزنطية . وواصل الصليبيون تقدمهم صوب الأراضى المقدسة حيث توجه قسم منهم إلى الرها ، أما الباقون فقد واصلوا طريقهم إلى أنطاكية . وبعد حصار طويل استمر من أكتوبر ١٠٩٧ إلى يونيو ١٠٩٨ م / ذى القعدة ٤٩٠ إلى رجب ٤٩١ هـ ، تمكنوا من الاستيلاء عليها فى ٣ يونيو ١٠٩٨ م / ٢٩ جمادى الآخرة ٤٩١ هـ ، وتأسيس إمارة لاتينية بها [٤٧] . وفى أثناء ذلك ، استغل الفاطميون انشغال السلاجقة بمواجهة الصليبيين عند أنطاكية ، وقاموا باسترداد بيت المقدس من السلاجقة [٤٨] .

يمم الصليبيون بعد ذلك وجههم شطر بيت المقدس . وفى أثناء تقدمهم التزموا الطريق الساحلى ، فمروا على قيسارية حيث قضوا ثلاثة أيام أمامها ،

وذلك فى الفترة من ٢٦ إلى ٢٩ مايو ١٠٩٩ م / ٣ إلى ٦ رجب ٤٩٢ هـ [٤٩] . وخلال إقامتهم لم يحدث صدام بينهم وبين حامية المدينة . فقد كان المسلمون يجهلون هوية هؤلاء القوم من ناحية ، كما أن الصليبيين لم يحاولوا مهاجمتها من ناحية أخـــرى . وقد أنفـــرد المؤرخ ريموند داجيل Raimond d'Agiles برواية دون باقى المصادر اللاتينية الأخرى . وتنحصر هذه الرواية فى أنه أثناء إقامة الصليبيين أمام المدينـــة سقطت حمامة زاجلة بعد أن انقض عليها أحد الصقور . ووجد خطاب معلق فى إحدى رجليها . وتضمن هذا الخطاب تحذيرا من أمير عكا إلى زميله حاكم قيسارية بشأن مرور جنس فظ فى مقاطعته . ووصفهم أمير عكا بأنهم جماعة من الرعاع . وطلب منه إما أن يحاول اخضاعهم لنفوذه أو إلحاق الضرر بهم على الأقل ، كما طلب منه أن يرسل تحذيرا إلى المدن والقلاع الأخرى [٥٠] . والواقع أن انفراد ريموند داجيل بهذه الحادثة دون غيره ، إنما يرجع إلى اهتمامه بايراد مثل هذه الأخبار فى تاريخه . أما ماورد من معلومات فى الخطاب الذى عثر عليه معلقا فى رجل الحمامة ، بشأن أخبار حاكم عكا لزميله حاكم قيسارية عن هذا الجنس الفظ الذى مر فى مقاطعته ، أو طلبه اعتراض طريقه واخبار باقى القلاع والمدن الأخرى بذلك - فليس هناك مبالغة فى هذه المعلومات . وعلى ذلك فان ما أورده ريموند داجيل عن هذه الحادثة صحيح إلى حد كبير على الرغم من انفراده بذكرها .

كان هذا ما حدث أثناء إقامة الصليبيين أمام المدينة . وواصلوا بعد ذلك تقدمهم نحو مدينة بيت المقدس . وبعد حصار استمر فترة طويلة ، تمكنوا من الاستيلاء عليها فى ١٧ يوليو ١٠٩٩ م / ٢٦ شعبان ٤٩٢ هـ ، وأخذوا يعملون سيوفهم فى أهلها دون رحمة أو هوادة [٥١] .

أصبحت المهمة الملقاة على أول حاكم لاتينى لبيت المقدس وهو جـودفرى دى بويون دوق اللورين السفلى ، شاقة وعسيرة . ففى الداخل كان عليه أن يؤمن حدوده سواء مع سلاجقة الشام أو مع الفاطميين . كما كان عليه أيضا تأمين خطوط امداداته مع الغرب الأوروبى ، الذى كان شريان الحياة بالنسبة للصليبيين

فى الشرق . ولن يتأتى له ذلك إلا عن طريق استيلائه على مدن الساحل الفلسطينى . فلم يكن لبيت المقدس سوى ميناء يافا ، الذى كان الأسطول الجنوى قد نجح فى الاستيلاء عليه فى منتصف يونيو ١٠٩٩ م / ٢٤ رجب ٤٩٢ هـ ، وذلك قبل شهر واحد تقريبا من سقوط بيت المقدس . ولذلك حرص جودفرى منذ توليه حكم المدينة على تدعيم اتصاله بالغرب من ناحية ، ومن ناحية أخرى العمل على حرمان الدولة الفاطمية من ميناء يمكن استخدامه كقاعـــدة لمواجهة الصليبيين . ووقع الاختيار على مدينة أرسوف لقربها من يافا . واستمر حصارها منذ نهاية أكتوبر حتى منتصف ديسمبر ١٠٩٩ م / منتصف ذى الحجة ٤٩٢ هـ إلى نهاية محرم ٤٩٣ هـ [٥٢] . وعلى الرغم من طول مدة الحصار ، فان الصليبيين فشلوا فى النهاية فى الاستيلاء عليها . ويرجع ذلك لعدم وجود اسطول يعاون فى حصارها من جهة البحر . كما أن الوزير الأفضل بن بدر الجمالى وزير الخليفة الفاطمى المستعلى قام بارسال المساعدة إلى أرسوف . وعلى الرغم من إرسال هذه النجدة للمسلمين ، فانها تعرضت للهجوم وهى فى طريقها للمدينة ، وقتل ثلاثة من رجالها . وازاء ذلك اضطرت المدينة لدفع الجزية للصليبيين فى مقابل الحصول على السلام [٥٣] .

وبعد فشل جودفرى فى محاولته للاستيلاء على أرسوف ، لجأ إلى الاهتمام بتحصين يافا التى أصبحت المركز الرئيسى لتجمع الأساطيل البحرية الايطالية التى كانت تأتى إلى الشرق ، كما أصبحت ميناء بيت المقدس الرئيسى . ولم تجد المدن الساحلية التى كانت لاتزال تحت السيادة الإسلامية ، أو المستقلة استقلالا شبه ذاتى عن الفاطميين بدا من محاولة الوصول إلى اتفاق مع جودفرى . فخرجت سفارة إسلامية مكونة من مندوبين عن مدن قيسارية وعسقلان وعكا ، والتى كانت لاتزال تحت السيادة الإسلامية ، عارضة على جودفرى تقديم خمسة آلاف بيزنط كجزية له ، بالإضافة إلى عشرة جياد أقوياء ، وذلك نظير عدم قيامه بمهاجمة هذه المدن الأسلامية . ووافق جودفرى على هذا العرض من جانب المدن السابقة ، ومن بينها قيسارية ، حيث التزم بعدم مهاجمتها ، وازدادت العلاقات

السلمية بينه وبينهم[٥٤] . وكانت الهدايا التى أرسلتها هذه المدن لجودفرى عبارة عن أفضل ماتشتهر به كل مدينة منها ، فأرسلت قيسارية القمح الذى كانت تشتهر به[٥٥] .

كان هذا الدور الذى قامت به مدينة قيسارية منذ قدوم الصليبيين إلى الأراضى المقدسة وتولى جودفرى دى بويون حكم بيت المقدس . وقد اتسم هذا الدور بالتزام المدينة الحيطة والحذر فى علاقتها بالصليبيين ، فحذت حذو المدن الأخرى فى تقديمها للهدايا والأموال فى محاولة منها لمهادنة الصليبيين . هذا ، ولم تسعفنا المصادر التى تحت أيدينا ، من عربية أو أجنبية ، بتفاصيل أخرى يمكن أن تلقى المزيد من الضوء على هذا الدور . وتروى المصادر الأجنبية أن جودفرى مر على قيسارية ، وهو فى طريق عودته من إغارة قام بها فيما وراء نهر الأردن بالقرب من طبرية فى مايو ١١٠٠ م / رجب ٤٩٣ هـ . وبعد أن استقبله أمير المدينة[٥٦] ، خرج جودفرى متجها إلى يافا حيث شعر بالمرض . ولم يستمر مرضه طويلا ، إذ توفى فى ١٨ يوليو ١١٠٠ م / ٧ شعبان ٤٩٣ هـ[٥٧] .

كانت بيت المقدس عند وفاة جودفرى دى بويون تشتمل على الرملة واللد وطبرية ونابلس بالإضافة إلى المدينة المقدسة . أما بالنسبة للمدن الساحلية فلم يكن فى يد الصليبيين سوى يافا . ولكن الاستعدادات كانت تتخذ لضم ميناء آخر لبيت المقدس ، وذلك قبيل وفاته بعدة أيام . وكان الاختيار قد وقع على عكا لتكون هدفا للصليبيين . ولكن نبأ الوفاة أدى إلى تغيير مسير الصليبيين . فتم اختيار حيفا ، وذلك لقربها من يافا - حيث كان الأسطول البندقى راسيا - وكذلك بالنسبة للجيش الصليبى الذى كان على وشك التحرك من يافا أيضا . وبالفعل تم استيلاء الصليبيين على حيفا بعد حصار طويل ، وذلك فى أغسطس ١١٠٠ م / شوال ٤٩٣ هـ[٥٨] .

وفى تلك الأثناء ، أرسل لاتين بيت المقدس إلى بلدوين صاحب الرها يخبرونه بوفاة أخيه جودفرى ، ويعرضون عليه عرش بيت المقدس ، وذلك فى

سبتمبر ۱۱۰۰ م / شوال ٤۹۳ هـ . وقبل بلدوين هذا العرض ، وشد الرحال متجها إلى المدينة التي وصلها في ۹ نوفمبر ۱۱۰۰ م / ٤ محرم ٤۹٤ هـ [٥٩] .

أصبح بلدوين الأول أول ملك لبيت المقدس ، ولم يكن بيده من الثغور الساحلية سوى يافا وحيفا . وعندما رأت المدن الساحلية التي كانت لاتزال تحت السيادة الاسلامية وهي قيسارية وعكا وصور تصميم الحاكم الجديد على اتباع سياسة عدائية مع المسلمين ، أسرعت تعرض تجديد الاتفاق السابق عقده مع جودفري . وبالفعل وصل مندوبون عن أمراء هذه المدن الاسلامية ، حيث تم التوصل إلى نفس الاتفاق السابق . وقبل بلدوين هذا العرض لحاجته الشديدة إلى الأموال . وفي مقابل ذلك حصلت هذه المدن على هدنة حتى عيد العنصرة Pentecostes الذي كان يوافق التاسع من يونيو ۱۱۰۱ م / التاسع من شعبان ٤۹٤ هـ [٦٠] .

على أية حال ، تم نقض هذا الاتفاق بعد شهر واحد فقط من عقده . فقد وصل إلى يافا أسطول الجنوية في ١٦ أبريل ۱۱۰۱ م / ١٤ جمادى الأخـــرة ٤۹٤ هـ [٦١] . فأسرع بلدوين الأول لمقابلته وعقد الاتفاق مع قادته . ولم يكن بيده من الموانيء الساحلية سوى يافا وحيفا ، وكان يعمل على مد حدود مملكته وتدعيم اتصالها بالغــرب الأوروبي . وصحب بلدوين قادة الأسطول إلى بيت المقدس ، وقاموا بعد ذلك بزيارة الأردن . وبعد أن أمضوا أسبوعا ، عادوا إلى يافا حيث قام بلدوين بارسال الهدايا إلى قادة الأسطول لمعرفة نواياهم في البقاء أو العودة . وأبدى الجنوية استعدادهم للبقاء ، وتم التوصل إلى الاتفاق التالي بين الجانبين ، وذلك في ٢٥ أبريل ۱۱۰۱ م / ٢٣ جمادى الأخرة ٤۹٤ هـ ، وقد نص على ما يلي :

أولا : يحصل الجنوية على ثلث الغنائم سواء من الأموال أو الأسرى .

ثانيا : أن يحصلوا على شارع أو حي بأكمله في كل مدينـة يتم الاستيلاء عليها بمساعدتهم .

وتمت الموافقة على هذه المعاهدة ، وتأكيدها بحلف الايمان المقدسة عليها [٦٢] .

وفى اليوم التالى لتوقيع الاتفاق ، تحرك الجنوية بأسطولهم تجاه مدينة أرسوف لحصارها . كما اتجه الملك بلدوين بقواته لحصارها برا . وفى هذه المرة ، أدرك الصليبيون أهميتها ، خاصة وأن جودفرى دى بويون قد فشل فى الاستيلاء عليها من قبل ، كما أنها لم تحذ حذو المدن الإسلامية الأخرى فى دفع الجزية للملك الصليبى [٦٣] . ولذلك فقد شدد الصليبيون حصارهم لها . وعندما أدرك الأهالى هزم الصليبيين هذه المرة ، طلبوا بعد ثلاثة أيام من الحصار ، الخروج سالمين مقابل تسليم المدينة . وبالفعل وافق الملك بلدوين على ذلك ، وسمح لسكانها بالخروج منها . وتبقى بها غير القادرين حيث أصبحوا أرقاء . وكان سقوطها فى٢٩ أبريل ١١٠١ م / ٢٧ جمادى الآخرة ٤٩٤ هـ [٦٤] .

وعقب سقوط أرسوف ، اتجه اللاتين والجنوية لحصار قيسرية برا وبحرا . فقد قام الأسطول الجنوى بحصارها من البحر لمنع وصول أية نجدات إليها من الأسطول الفاطمى . هذا ، بينما اتجه الملك الصليبى لحصارها من ناحية البر . وكان بدء حصارها فى ٢ مايو ١١٠١ م / أول رجب ٤٩٤ هـ . وقد أدرك الصليبيون منذ الوهلة الأولى صعوبة الاستيلاء عليها بسبب مناعة أسوارها وحصانتها [٦٥] . ولذلك فقد أمر بلدوين باعداد برج خشبى لاستخدامه فى مهاجمة المدينة . ولم يكتف بذلك ، بل عمل على احكام الحصار حولها . فأمر بازالة الأشجار التى تحيط بها حتى لايستخدمها المسلمون كمائن ضد الصليبيين . كما استمر فى قذف أسوارها بالمنجنيق فى محاولة منه لاضعاف هذه التحصينات ، وبالفعل تمكن الصليبيون من تحطيم التحصينات الأمامية لها [٦٦] .

واستمر حصار المدينة منذ ٢ إلى ١٧ مايو / ١ إلى ١٦ رجب وخلال هذه الفترة ، جرت مفاوضات للصلح بين المدينة والصليبيين . فقد أرسل حاكمها – بعد أخذ موافقة تجارها – مبعوثين يعرضان على الملك والجنوية مبلغا كبيرا من المال

نظير فك الحصار [٦٧] . وجرت محاورة بينهما وبين البطريرك اللاتيني دايمبرت . فقد أشار إلى تحريم الانجيل لسفك الدماء والاستيلاء على الممتلكات . ولكنه رد عليهما بقوله :

« حقيقة أننا لا نسمح بالقتل أو النهب ، كما أننا لا نأمر به أيضا . ولكن هذه المدينة ليست ملكا لكم ، ولكنها ملك للقديس بطرس ويجب أن تبقى له . ولكن أجدادكم طردوه منها بالقسوة . ومن ثم ونحن نمثل نواب القديس بطرس ، فاننا نريد أن نسترد أرضه وبالتالى فاننا لن نسلبكم شيئا أو نسلب أرضكم » [٦٨] .

ورفض الملك الصليبى ومعه الجنوية هذا العرض ، واشترطوا تسليم المدينة مقابل تأمين حياة الأهالى وخروجهم سالمين ، كما حدث في أرسوف من قبل . ولكن حاكم المدينة رفض هذا العرض من قبل الصليبيين ، وأصر على المقاومة ، وأيده في ذلك عدد كبير من سكان المدينة [٦٩] .

ولكن ما هى الأسباب التى أدت إلى اتخاذ حاكم المدينة هذا الموقف ؟ لاشك انه كان يعلم مدى حصانتها ومناعة أسوارها . كذلك لم يكن خافيا عليه عدم احترام الصليبيين ، وخاصة الجنوية ، للعهد . فقد فر إلى قيسارية قبل ذلك أهالى مدينة حيفا ، وأخبروا أهلها بما حدث لمدينتهم مما قوى من عزيمة أهالى قيسارية للدفاع عن مدينتهم والاستماتة فى سبيل ذلك [٧٠] . وقد أشار إلى صمودهم المؤرخون الغربيون أنفسهم . فذكر وليم الصورى أن الصليبيين أخذوا يهاجمون المدينة بكل قوتهم ، والمسلمون يدافعون باستماتة شديدة عنها [٧١] .

فشلت المفاوضات بين الجانبين ، وأصر الصليبيون على ضرورة استلام المدينة . وكان لهذا الفشل أثره على سير القتال . إذ شدد الصليبيون هجماتهم على المدينة ، واستبسل الأهالى فى الزود عنها . وأخيرا عقد الصليبيون مجلسا للتشاور ، تقرر على أثره مهاجمتها فى فجر يوم الجمعة ١٧ مايو ١١٠١ م /

١٦ رجب ٤٩٤ هـ . ولم ينتظر الصليبيون استكمال بناء البرج الخشبي الذى كانوا قد بدأوا العمل فيه ، واستخدموا بدلا منه السلالم فى تسلق أسوار المدينة . وفى نفس اليوم تمكنوا من فتحها عنوة ، حيث دخل الملك وقواته [٧٢] .

وأعقب دخول الصليبيين مدينة قيسارية مذبحة مروعة راح ضحيتها الكثير من أهلها . فقد اقتحموا البيوت بحثا عن كل نفيس ، وأخرجوا الخدم والعبيد الذين كانوا فى هذه الدور . وأجمعت روايات المؤرخين الغربيين أنفسهم على ماحدث بها ، حتى أن أقدام الصليبيين لطخت بدماء القتلى [٧٣] .

وعلق الكاتب الفرنسي رينيه جروسيه R. Grousset على هذه المذابح بقوله إن ما قام به الفرنج ، إنما يمثل عملا له أبعاده السياسية ، وانه اتخذ طابعا هجوميا [٧٤] . والواقع أن ماحدث فى المدينة لايمثل سوى جشع هؤلاء القوم ، وبحثهم عن الثروة مهما كانت الوسيلة . فقد كان للجنوية السهم الأوفر فى هذه المذابح . ولم يكن يعنيهم سوى الكسب والاثراء ، وكان شعارهم دائما هو « نحن جنوية أولا وأخيرا » . وقد أثارت ثروات هذه المدينة جشعهم ، فأخذوا يعيثون فيها فسادا بحثا عن كل مايشبع نهمهم وحبهم للمادة . وواضح أن هذا العمل لايمثل أى طابع سياسى أو هجومى فى أبعاده .

ولم ينج من هذه المذبحة المروعة إلا عدد قليل من السكان أغلبهم من النسوة والأطفال . وقام الجنوية والفرنج بتبادلهم فيما بينهم بالبيع والشراء . وكان من بين الأسرى أمير المدينة وقاضيها . وقد أمر بلدوين بتقييدهما بالسلاسل طمعا فى الحصول على فدية كبيرة نظير إطلاق سراحهما [٧٥] .

أقام بلدوين الأول فى المدينة عقب سقوطها حتى ٢٤ مايو ١١٠١ م / ٢٣ رجب ٤٩٤ هـ [٧٦] ، حيث نظم عددا من الأمور فيها . فتم تجميع الغنائم فى مكان واحد وتقسيمها حسبما اتفق عليه . فحصل الجنوية على ثلث الغنائم ، أما الثلثان الباقيان فقد حصل عليهما الملك الصليبى .وحصل الجنوية ضمن غنائمهم على ما كان يسمى بالإناء المقدس ، وحملوه معهم إلى جنوه حيث وضعوه فى

كنيسة القديس لوران St. Laurent [٧٧] . كذلك اختار بلدوين ومعه الجنوية أحد رجال الدين ، وكان يدعى بلدوين أيضا [٧٨] ، لكى يكون أسقفا على المدينة . وقاموا بتحويل مسجد المدينة إلى كنيسة لاتينية عرفت باسم كنيسة القديس بطرس وخصصت للفرنج ، وأقيمت كنيســة أخرى عرفت باسم كنيسة القديس لوران ، وكانت للجنوية [٧٩] . ولم يكتف بلدوين بسقوط قيسارية المدينة ، وانما خرج أيضا لضم القرى والمناطق المحيطة بها ، خاصة وأن حيفا الواقعة إلى الشمال كانت قد سقطت فى قبضة اللاتين من قبل وأيضا أرسوف جنوبها . ولذلك كان عليه أن يؤمن الطريق الواصل بين هذه المدن ، وإن كانت ستواجهه بعض المشاكل فى المنطقة الواقعة شمال المدينة [٨٠] .

وأضاف بلدوين الأول ، باستيلائه على أرسوف وقيسارية ، مدينتين ساحلتين إلى مملكته ، فضلا عن مدينتى حيفا ويافا الساحلتين . وهكذا استطاع أن يمد سيطرته على هذه المنطقة الساحلية الطويلة الممتدة من حيفا شمالا حتى يافا جنوبا ، وأن يؤمن اتصاله بالغرب الأوروبى . كما حرم الدولة الفاطمية من قواعد هامة لها على ساحل البحر المتوسط ، إلى جانب ماحصل عليه من غنائم .

ويبرزتساؤل هام يفرض نفسه وهو : ما هو موقف الدولة الفاطمية من الاستغاثة التى أرسلتها المدينة ؟ وما هو رد الفعل لدى الفاطميين عندما علموا بسقوطها ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات نعود إلى الوراء قليلا ، وذلك عندما قال حاكم المدينة أثناء المفاوضات التى جرت بين الصليبيين والمدينة ، انه أرسل إلى الفاطميين فى طلب النجــدة ، وانه لن يمر وقت طويل حتى يتلقى ردا على استغاثته . وقد جاء الرد إلى المدينة بأن هناك نجدة على وشك التحرك مما قوى عزم الأهالى على المقاومة . فقد ذكر المؤرخ البرت اكس أن قاضى المدينة - بعد ســقوطها ووقوعه فى الأســر - أخبر الملك بلدوين بأن هناك نجــــدة تتكون من خمسمائة من الفاطميين على وشــك الوصــــول إلى فلســطين [٨١] .

وبالفعل وصلت أنباء تحرك الجيش الفاطمى إلى بلدوين الذى كان آنذاك فى قيسارية . فتحرك بسرعة ، حيث ترك حامية صغيرة بقيادة هاربين دى بورج Harpin de Bourges [٨٢] لحراسة المدينة أثناء غيابه . واتجه إلى الرملة حيث قضى هناك ٢٤ يوما ، من ٢٤ مايو إلى ١٧ يونيه/ ٢٣ رجب إلى ١٧ شعبان . ولكنه عاد أدراجه إلى يافا عندما لم يجد الجيش الفاطمى قد وصل إلى الرملة [٨٣] .

وكان الجيش الفاطمى قد خرج من مصر فى شعبان ٤٩٤ هـ / يونيه ١١٠١ م ، أى بعد سقوط المدينة بأكثر من شهر ، ووصل إلى عسقلان فى أول رمضان / ٣٠ يونيه . وظل بها فترة طويلة حتى ذاعت أنباء وصوله فى المنطقة . وقد أتاح هذا للملك الصليبى أن يقوم بتجميع قواته من مختلف المدن الصليبية [٨٤] . وبالفعل دارت معركة الرملة الأولى فى ٧ سبتمبر ١١٠١ م / ١١ ذى القعدة ٤٩٤ هـ . ولم تكن النتيجة النهائية فى صالح الفاطميين ، إذ تكبدوا الكثير من الخسائر فى الرجال والعتاد ، وكان من بين القتلى قائد الحملة سعد الدولة القواسى . كما أنها لم تسفر عن استعادة قيسارية أو أى من المدن التى سقطت فى قبضة الصليبيين [٨٥] .

ولم يكن رد الفعل ازاء احتلال الفرنج مدينة قيسارية من جانب الدولة الفاطمية وحدها ، وانما أيضا من جانب المسلمين الذين كانوا يقطنون المنطقة الواقعة شمال قيسارية فيما يعرف باسم وادى فلاح [٨٦] . فقد كانت طبيعة هذه المنطقة تسمح باختباء المسلمين فيها لوجود المستنقعات والاشجار الكثيفة فيها . وبالفعل تعرض بلدوين للهجوم من جانب هؤلاء المسلمين وأصيب اصابة خطيرة كادت تودى بحياته وذلك فى يوليو ١١٠٣ م / شوال ٤٩٦ هـ . ونقل بلدوين على أثر هذا إلى يافا ومنها إلى بيت المقدس . وظل بها فترة إلى أن تعافى من اصابته ، فخرج بعد عدة شهور لمهاجمة هذه المنطقة بهدف اخراج المسلمين منها ، وأحرز فى ذلك بعض النجاح [٨٧] .

لم ييأس المسلمون من محاولاتهم لاسترداد المدينة . ففى ٢١ سبتمبر ١١٠٤ م / ٢٨ ذى الحجة ٤٩٧ هـ ، خرج ستون فارسا من عسقلان ، واتجهوا إلى يافا حيث قاموا بمهاجمتها ثم تابعوا مسيرهم حتى بلغوا قيسارية . ولم يكن بها آنذاك سوى فارس واحد ، فخرج ومعه مائتان من المشاة من سكانها لمواجهة الفرسان المسلمين ، ومحاولة استرداد قطعان الماشية التى استولوا عليها والتى كانت تابعة للمدينـــة وترعى أمام أسوارها . ونجح بالفعل فى استرداد هذه القطعان ، ولكن الفرسان المسلمين أعادوا الكرة حيث قاموا بقتل هذا الفارس - الذى لم تشر المصادر إلى اسمه ، وأخذوا الغنائم معهم . وعندما وصلت أنباء هذه الاغارة إلى بلدوين وكان قد وصل إلى يافا ، خرج مسرعا ومعه أربعون فارسا قام بتقسيمهم إلى أربعة أقسام . ووضع كل قسم منهم على الطرق التى توقع عودة هؤلاء الفرسان المسلمين منها . وبالفعل تمكن أن يكمن لهم عبر الطريق المؤدى من قيسارية إلى يافا ، واستطاع أن يهاجمهم ويأسر عشرة من فرسانهم واستولى على العديد من الغنائم [٨٨] .

وبذلك استطاع الصليبيون فرض سيطرتهم على المدينة وما حواها من القرى التابعة لها ، وفشلت محاولات المسلمين لاستردادها . وتثور عدة تساؤلات هامة هى : ما هو وضع المدينة بعد سقوطها فى قبضة الصليبيين ؟ ومتى تم منحها للفارس الفرنسى يوستاش جارنييه Eustace Granier ؟ وأخيراً ما هى حدود هذه الإقطاعية وطبيعة علاقتها بمملكة بيت المقدس ؟

تباينت آراء المؤرخين الحديثيين حول تاريخ منح بلدوين الأول قيسارية كإقطاع ليوستاش جارنييه [٨٩] . فقد ذكر المؤرخ جان ريتشارد ، أن بلدوين منحها للفارس الفرنسى هاربين دى بورج عندما تركه فى المدينة وخرج لمواجهة الفاطميين عند الرملة وذلك عقب سقوطها مباشرة فى قبضة الصليبيين . ولكن اليرت اكس الذى أشار إلى ذلك لم ينص صراحة على هذا المنح ، وكل ماذكره أن الملك الصليبى ترك هاربين هذا من « أجل حراسة الأسوار وبوابة المدينة » [٩٠] ، وظلت المدينة تابعة للملك الصليبى . وقد اختلفت الآراء حول تاريخ حصول

يوستاش جارنييه عليها من الملك بلدوين . فلم يرد فى كتابى فوشيه أوف شارتر والبرت اكس أية إشارة عن ذلك عقب سقوط المدينة فى قبضة الصليبيين . كما أن أول اشارة وردت في المصادر الأجنبية عن يوستاش ، هى تلك التى سجلها البرت اكس عندما أوضح أنه كان ضمن المشتركين في معركة الرملة الثالثة فى عام ١١٠٥ م / ٤٩٨ هـ . وقد أشار إليه دون أن يقرن اسمه بالمدينة ، مما يعنى انه حتى ذلك الوقت لم يكن قد حصل على الإقطاعية بعد (٩١) .

وظهر يوستاش مرة ثانية ، وذلك فى عام ١١٠٨ م / ٥٠١ - ٥٠٢ هـ ، باعتباره أحد الشهود الموقعين على حكم ملكى لبلدوين الأول . وقد ورد اسمه دون أن يرتبط بلقب حاكم قيسارية ، مما يعنى أيضا أنه حتى ذلك التاريخ لم يكن قد حصل على الإقطاعية (٩٢) . وقد وردت أول إشارة عنه وهو يحمل لقب صاحب أو سيد قيسارية فى سبتمبر ١١١٠ م / ربيع أول ٥٠٤ هـ ، وذلك عندما كان يوثق منحا أعطيت لجماعة الفرسان الاسبتارية فى قيسارية (٩٣) . ثم ورد اسمه كسيد لصيدا وقيسارية معا ، وذلك بعد أن سقطت الأولى فى قبضة الصليبيين في ديسمبر ١١١٠ م / جمادى الأولى ٥٠٤ هـ . والجدير بالذكر أن أسرته ظلت تتوارث الإقطاعية حتى استرداد المسلمين لها فى عام ١٢٦٥ م / ٦٦٣ هـ ، وذلك بخلاف ما ذهب إليه بعض المؤرخين فى هذا الشأن (٩٤) .

هكذا تحولت قيسارية وما يحيط بها من قرى إلى إقطاعية صليبية خضعت ليوستاش جارنييه . ويتبقى التساؤل الأخير عن حدود هذه الاتفاقية وعلاقتها بمملكة بيت المقدس . فقد أمتدت في منطقة سهلية ساحلية . ولكن عند حدودها في الشمال مع إقطاعية حيفا يمتد جزء من جبل الكـــرمل الذى يقع أغلبه فى حيفا . وعند وادى فلاح Doustray تبدأ حدود الإقطاعية جهة الشمال (٩٥) . وتمثل هذه المنطقة بسبب طبيعتها الجغرافية حيث توجد المستنقعات نتيجة لتراكم مياه الأمطار بها ، فضلا عن كثافة أشجارها خطرا كان يهدد الصليبيين دائما عندما كانوا يمرون عبر هذا الطريق . ولذلك أصبحت مثار اهتمام الصليبيين أثناء وجودهم فى الأراضى المقدسة (٩٦) . أما فى الجنوب فتمتد حدودها مع نهر الفالق

الذى يعرف فى المصادر الأجنبية باسم Rochetaillie . ويمثل هذا النهر حدا فاصلا بينها وبين إقطاعية أرسوف فى جنوبها [٩٧] . ويحيط بالإقطاعية من جهة الشرق عدد من الإقطاعيات الصليبية الأخرى تبدأ بالقيمون والناصرة ونابلس . أما من جهة الغرب فتطل الإقطاعية على البحر المتوسط . وقد ترك هذا الموقع الجغرافى الفريد أثره عليها ، إذ كانت بمثابة حلقة الوصل بين شمال مملكة بيت المقدس وجنوبها . وسوف تتضح أهمية هذا الدور عندما تصبح هذه المملكة قاصرة على المنطقة الساحلية فقط ، وبالتالى سوف تزداد أهمية إقطاعية قيسارية . أما عن علاقة الإقطاعية بمملكة بيت المقدس فقد كانت من توابع هذه المملكة ، التى أمتدت من بيروت شمالا حتى الداروم جنوبا .

وقد اشتهرت الإقطاعية بأرضها الخصبة ومزروعاتها المتعددة وبساتينها . ويرجع هذا إلى وجود العديد من الأنهار الصغيرة التى تجرى فيها والتى أمدتها بما تحتاجه من المياه العـــذبة . وتبدأ هذه الأنهار من الشمال بنهر الدفلى أو نهر Saluh [٩٨] ، ثم بعد ذلك نهر التمساح أو Krokodilfluss . وينبع هذا النهر من شمال قرية أم الفحم ويتجه غربا حيث يصب فى البحر المتوسط إلى الشمال من قيسارية . وقد أقام الرومان القناطر لحمل مياه هذا النهر إلى المدينة . كما عرف أيضا باسم نهر الزرقا أو الزرقاء [٩٩] . وجنوبا من قيسارية بأربعة كيلومترات ، يصب نهر آخر ، هو نهر المفجـر أو « وادى الخضرة » . كما عرفه الصليبيون باسم « النهر الميت » ..... flumen mortum [١٠٠] . وعلى بعد أحد عشر كيلومترا إلى الجنوب من قيسارية ، يوجـــد نهر عرف فى المصادر العربية باسم « نهر القصب » ، وكذلك « نهر اسكندرونة » . كما ورد فى المصادر الصليبية باسم « نهر الملح » أو fluvius salsus وذلك لأن مياهه كانت تميل إلى الملوحـــة قليلا . وكان هذا النهر يحمل مياه الأمطار من جبـــال نابلس حيث يصب فى البحر المتوسط [١٠١] . وقد قطعت هذه الأنهار السابقة السهل الساحلى الممتد على طول ساحل الإقطاعية . كذلك أمتدت بعض الكثبان الرملية الصغيرة فى هذه المنطقة مما كان له أثره فى امتداد هذه السلسلة من القلاع والأبراج بطول الإقطاعية وعرضها .

وقد بلغ عدد هذه القلاع والأبراج داخل حدود الإقطاعية مايقرب من ٤٥ قلعة وحصنا [١٠٢] ويأتي بعد قيسارية – مركز الإقطاعية – عدد من المدن الهامة هي: دور (الطنطورة) [١٠٣] وقاقون Caco [١٠٤] ، وقلنسوة Calansua [١٠٥] ، بالإضافة إلى قلعة الحجاج أو عثليت [١٠٦] .

وبذلك تكونت إقطاعية قيسارية بحدودها سابقة الذكر ، وأصبحت تابعة لواحد من أهم الشخصيات في الأراضي المقدسة في العصر الصليبي ، وهو يوستاش جارنييه . وقد سعى جاهدا لكي يحرز لإقطاعيته قصب السبق على باقي إقطاعيات المملكة اللاتينية في الأراضي المقدسة . وأتاح لها موقعها الجغرافي والاستراتيجي أن تصبح على قائمة هذه الإقطاعيات الصليبية . وقد قدر لها أن تلعب دورا هاما سوف يتضح عند احتكاكها بجيرانها المسلمين في منطقة الشرق الأدنى الإسلامي ، أو عند مشاركتها مملكة بيت المقدس في معاركها ضد المسلمين . وسوف يضطلع بهذا الدور أما سادتها أو رؤساء أساقفتها . ولم يقتصر هذا الدور على المعارك التي جرت في بلاد الشام ، بل أمتد إلى تلك التي جرت على ضفاف النيل .وسيكون هذا الدور هو موضوع الفصول التالية من الرسالة .

هوامش الفصل الأول

(١) حكم هيـــــرود الكبير في الفترة من ٣٧ إلى ٤ ق.م في منطقة Judea ، وذلك نيابة عن الرومان الذين كانوا قد فرضوا سيطرتهم على هذه المنطقة . وفي عام ٦ م صارت هذه المنطقة تابعة للرومان ، وفرضوا سيطرتهم المباشرة عليها . وبذلك تبدأ صفحة جديدة في تاريخها للمزيد أنظر :

Tarn and Griffith, Helenistic Civilisation, London. 1974, p. 237.

(٢) مدينة فينيقية قديمة ، والاسم يدل على المدينة ذاتها ، وأيضا على البرج اللى كان بها أما ستراتو فهو أحد ثلاثة من الملوك الذين حكموا صيدا في القرن الرابع ق . م وتنسب إليه هذه المدينة . وقد وردت أول إشارة عن هذه المدينة - عندما ذكرها زينون Zenon - وهو موظف مصرى - في عام ٢٥٩ ق.م ، حيث كانت تخدم التجارة فيما بين فينيقية ومصر . وللمزيد من التفاصيل أنظر :

ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، بيروت (بدون تاريخ) ، ص ٦٥ .

O'Connor, J., M., The Holy Land, An Archaeological Guide from Earliest Times to 1700, London, 1980, p. 160.

(٣) ذكر يوسفوس أن بناءها استغرق عشر سنوات ، وقد اكتمل بنـــــاؤها في العام الثامن والعشرين من حكم هيرود ، أى في عام ١٠ - ٩ ق.م ، وعلى هذا فان بدء البناء كان في سنة ٢٠ ق.م . ولكنه ذكر في موضع آخر أن عملية البناء استغرقت ١٢ عاما ، وبذلك فان بدء البناء كان في عام ٢٢ ق.م . أنظر :

Josephus, Jewish Antiquities, book XV-XVII, London, pp. 136, 165 n.d., cf. also ; Pfeiffer, Ch., The Biblical World, A Dictonary of Biblical Archaeology, New York, p. 154.

(٤) ازدهر الميناء خلال العصر الرومانى ، ولفترة من العصر البيزنطى ، وقد وردت اشـــــارات متعددة عن استخدامه للابحار أو النزول أثناء ذلك . ولكن أصابه الاهمال بعد ذلك فانطمر وأصبح غير صالح للاستخدام . ولم يشر الرحالة الذين زاروا المدينة إل وجــود ميناء للمدينة ، على الرغم من المميزات الأخرى التى كانت تتمتع بها . وسوف يحاول الصليبيون في القرن الثالث عشر الميلادى / القرن السابع الهجرى إيحاء هذا الميناء مرة أخرى . عن ذلك أنظر الفصل الثالث من هذا الكتاب . وأيضاً :

Josephus, op. cit., Book, Xv, pp. 163 - 5; cf, also : Benvenisti, M., The Crusaders in the Holy Land. London, 1970, p. 136.

(٥) من أمثلة هذه المدن قيسارية فيليب Ceasarea Philippi الواقعة على بعد ٤٥ ميلا إلى الجنوب الغربي من دمشق ، والتي تعرف أيضا ببانياس . وقد أنشأها فيليب ابن هيرود الكبير ، حيث أسماها قيسارية . غير أنه أضاف إليها اسمه ، وذلك تمييزاً لها عن المدينة التي أنشأها والده . وكذلك مدينة قيصرية الواقعة في آسيا الصغرى ، والتي صارت فيما بعد عاصمة السلاجقة . وسميت هذه المدينة « بقيصرية قبادوقيا » Césaree de Cappadoce . كما كتب في المصادر العربية « قيصرية » . وبالإضافة إلى هاتين المدينتين ، كانت هناك مدن أخرى تعرف بهذا الاسم . مثال ذلك « شيزر » التي كانت تذكر في بعض المصادر الأجنبية باسم « قيسارية الواقعة على العاصي » Cécarée sur L'Oronte . هذا بخلاف المدن الأخرى المنتشرة في أنحاء الامبراطورية الرومانية . وللمزيد أنظر :

ياقوت الحموي : المشترك وضعا والمفترق صقعا ، بغداد (بدون تاريخ) ، ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، معجم البلدان ، بيروت ١٩٧٧ ، جـ ٤ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ .

القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ١٩٦٠ ، ص ٥٥٣ .

اسامة بن منقذ : الاعتبار ، نشر فيليب حتي ، برنستون ١٩٣٠ ، ص ٦٠ وانظر أيضاً :

جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، المجلد الثاني ، بيروت ، ١٩٠١ ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

Muir's Historical Atlas (Ancient and Classical). London, 1976, pp. 15, 20; Chalandon, F., Histoire de le premiére Croisade, Paris, 1925m p. 178., Grousset, R., Histoire des Croisades et du Royaume France de Jérusalem. Paris, 1948, Vol. I. p. XLI.

(٦) العهد الجديد ، أعمال الرسل ، الإصحاح ١٠ ، ١١ ، أنظر أيضاً :

Jerome, The Pilgrimage of the Holy Paula, in P.P.T.S., Vol. I. London, 1887, p. H. ; Theodosius, on the to pography of the Holy land, in P.P.T.S., Vol. II. London, 1893, p. 9.

(٧) هذه المراكز هي : الاسكندرية وبيت المقدس وأنطاكية والقسطنطينية ، بالإضافة إلى قيسارية . أنظر : سعيد عبد الفتاح عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، التاريخ السياسي ، جـ ١ ، ط الخامسة ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٦٦ . وكذلك :

Beyer, G., Das Gebiet der Kreuzfahrer - herschaft Ceasarea in Palastina siedlungs-und territorialgess chichtlich untersucht, in ZDPV, 1936, p. 35.

(٨) شيد هذه المكتبة شخص يدعى بامفيليوس .. Pamphilius (ت ٣٠٩ م) . وقد كشف التنقيب الأثري في المدينة عن وجود عدد من الحجرات أرضيتها من الفسيفساء ، ويعتقد أنها كانت جزءاً من هذه المكتبة . أنظر عن ذلك :

O'Connor, op. cit., pp. 163 - 4.

(٩) قسم البيزنطيون بلاد الشام إلى خمس مقاطعات هي فلسطين الأولى والثانية والثالثة وبلاد العرب وفينيقية . وقد اشتملت كل مقاطعة على عدد من المدن ، كما كانت كل مدينة يتبعها من القرى . وعلى سبيل المثال اشتملت فلسطين الأولى على ٢٥ مدينة وتوابعها . وكانت قيسارية عاصمة هذه المقاطعة . وللمزيد أنظر :

Palestine in the Byzantine period, in Atlas of Israel; Beyer, Das Gebiet Ceasarea, p. 70.

(١٠) اختلفت الروايات حول تاريخ سقوط المدينة . فتذكر بعضها أن ذلك كان في سنة ١٨ هـ/ ٦٣٩ م ، والأخرى في سنة ٢٠ هـ / ٦٤٠ - ٦٤١ م . ولكن البلاذري ذكر أن سقوطها كان في سنة ١٩ هـ / ٦٤٠ م « وذلك الثبت » . أنظر البلاذري : فتوح البلدان ، ليدن ١٨٦٦ م ، ص ١٤٠ ، ١٤١ ، الطبري : تاريخ الطبري ، القاهرة ١٩٧١ ، ط ثالثة ، جـ٣ ، ص ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، جـ ٤ ، ص ١٠٢ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ليدن ١٩٢٠ ، ص ٧٦ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ٢٤١ ، ٤٢٢ ، ابن البطريق : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت ١٩٠٩ م ، ص ٢٠ ، أنظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، الاسكندرية (بدون تاريخ) ، جـ ٢ ، ص ١٦٧ ، ١٦٩ ، فتحي عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ، القاهرة ١٩٦٦ ، الكتاب الأول ، ص ٣٠٤ ، محمد كرد علي : خطط الشام ، ط ثانية ، بيروت ١٩٦٩ ، جـ ١ ، ص ٩٠ .

(١١) البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٤١ .

(١٢) ابن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر ، ورقة ١١٥ .

(١٣) لم يوضح البلاذرى - الذى أورد هذه الحادثة - اسم هذا القائد . أما الجراجمة فقد كانوا يقطنون جبل اللكام الواقع شمال انطاكية . أنظر البلاذرى : المصدر السابق ، ص ١٦٠.

(١٤) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد بيروت ١٩٦٧ ، جـ ٢ ، ص ٧٦ ، أما الطبرى ، وابن الأثير ، وابن العبرى ، فقد أشاروا إلى أن هذه المحاولة من جانب ملك الروم وقعت فى عام ٧٠ هـ / ٦٨٩ م . الطبرى : تاريخ الطبرى ، ط . ٣ ، جـ ٦ ، ص ١٥٠ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، جـ ٣ ، ص ٤٠٠ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، بيروت (بدون تاريخ) ، ص ١١٢ . أنظر أيضا :

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, trans. by J. Hussey, Oxford, 1956.

(١٥) البلاذرى : المصدر السابق ، ص ١٤٣ .

(١٦) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربيـــــة فى عصر الخلفاء الامويين ، ط. سادسة ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ١٧٠ ، ١٧١ ، على محمد فهمى : دور الصناعة والمراكز البحرية فى سورية وأفريقيا وكريت . مقال فى مجلد تاريخ البحرية المصرية ، الاسكندرية ١٩٧٣ ، ص ٣٥٦ - ٣٥٧ .

(١٧) Matthieu d'Edesse, Chronique (962-1136), in Bibiotheque Historique Arménienne par Dulaurier. Paris, 1958, p. 20; cf. also : Vasiliev, A., History of the Byzantine Empire, Madison, 1973, Vol. I, p. 310.

وهذه المدن هى طبرية والناصرة وبيسان وعكا أنظر :

عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى - الامبراطور حنا تزيمسكس وسياسته الشرقية ، الاسكندرية ١٩٦٦ ، ص ١٤٩ - ١٥١ . وقد أورد ترجمة كاملة لهذا الخطاب فى الملحق رقم (١) ، ص ١٦٧ - ١٧١ .

(١٨) عن آراء هؤلاء المؤرخين أنظر : عمر كمال توفيق : نفس المرجع ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

(١٩) يحيى الأنطاكى : صـــلة كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيـــروت ١٩٠٩ م ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ م ،

ص ١٤ . وأشارت المصادر العربية إليه باسم ابن الشمشقيق . أيضا : عمر كمال توفيق : نفس المرجع ص ١٥١ ، السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٦٧ ، ص ٥٣ - ٥٦ .

(٢٠) Benvenisti, op. cit., pp. 135 - 6; Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem. European Colonialism in the Middle Ages. London, 1972, p. 18.; Yonah, A., Abab Rule, in Atlas of Isreal; Beyer, op. cit., p. 49.

(٢١) عمواس : إحدى كور فلسطين وتقع على بعد ستة أميال من الرملة . وكانت القصبة فى القديم ثم انتقلت بعد ذلك إلى اللد . أنظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ١٥٧ .

(٢٢) قسم المسلمون بلاد الشام إلى ست كور أو أجناد وهى : قنسرين وحمص ودمشق والأردن وفلسطين والشراه . وقد أشار ابن خرداذبة والمقدسى البشارى إلى خمس فقط حيث أدمجا فلسطين والشراه فى جند واحد هو جند فلسطين . وكان انتقال العاصمة من عمواس إلى اللد ثم إلى الرملة بعد ذلك يرجع إلى وقوع عمواس على حد الجبل وحاجة المسلمين إلى الآبار . وقد استقرت قصبة كورة أو جند فلسطين فى مدينة الرملة وذلك فى عهد سليمان بن عبد الملك . للمزيد أنظر : ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ليدن ١٣٠٩هـ ، ص ٧٨ - ٧٩ ، المقدسى البشارى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، صورة بالأوفست عن طبعة بريل ، بغداد ١٩٠٦ م ، ص ١٥٤ - ١٥٥ ، ابن حوقل : صورة الأرض بيروت (بدون تاريخ) ، ص ١٥٤ - ١٥٦ ، أنظر أيضا : درويش محفوظ النخيلى : فتح الفاطميين للشام فى مرحلته الأولى من ٣٥٨ - ٣٦٢ هـ : دراسة فى المصادر والمراجع الاسكندرية ١٩٧٩ ، ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٢٣) أنظر ما يلى ص ٩١ ، ١٠٥ من هذا الكتاب .

(٢٤) المقدسى البشارى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ص ١٧٤ .

(٢٥) ناصر خسرو علوى : سفر نامه ، نقله إلى العربية وعلق عليه يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٥ ، ص ١٨ .

أما المن فهو كيل أو ميزان ، والمقصود به هنا الكيل ، ويوازى رطلان . أنظر القاموس المحيط ، ج ٤ ، ط . الخامسة ، القاهرة ١٩١٣ ، ص ٢٧٢ .

(٢٦) Fetellus, Description of Jerusalem and the Holy Land, trans. and annotated by Jame Rose. London, 1892, in P.P.T.S., Vol. V., p. 47.

وعلى الرغم من ذلك ، فقد وقع فيتلوس فى نفس الخطأ الذى وقع فيه بعض الحجاج المسلمين الذين زاروا المدينة وكتبوا انها كانت تسمى دور Dor قبل انشائها .

(٢٧) انظر ص ٨١ من هذا الكتاب .

(٢٨) Benvenist, op. cit., pp. 135 - 6.

(٢٩) للمزيد عن حركة البساسيرى أنظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٨ ، ص ٦٨ ، ٧. ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ ، ص ٨٧ - ٩٠ . وكذلك أنظر : محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ١٥١ ، محمد مرسى الشيخ : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ، الاسكندرية ١٩٧٢ ، ص ٦٢ .

(٣٠) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ط ثانية ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ١٢ ومابعدها ، ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، بيروت ١٩٦٠ ، ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ . وأنظر أيضا : حسن أمين : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، بغداد ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م ، ص ١٢٥ ، حافظ أحمد حمدى : المشرق الاسلامى قبيل الغزو المغولى ، القاهـــرة ١٩٥٠ ، ص ٣٣ .

(٣١) ثار الصـراع عقب موت الخليفة المستنصر على تولية المستعلى وتخطى نزار الابن الأكبر للمستنصر وذلك فى عام ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م . وتمكن الوزير الفاطمى الأفضل بن بدر الجمالى من القضاء على نزار فى عام ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م . وللمزيد عن هذه الفتنة أنظر : ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ٢٧ ، ٣٤ - ٣٧ ، المقريزى : المواعظ والاعتبـــار فى ذكر الخطط والاثار ، بغداد صورة بالاوفست (بدون تاريخ) ، جـ ١ ، ص ٤٢٣ .

(٣٢) أعلنت صـــــــور استقلالها تحت راية قاضيها ابن أبى عقيل وذلك فى سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٦٨ م ، وكذلك طرابلس فى نفس العام وذلك تحت راية القاضى أبى طالب الحسين بن عمار ، وظلت إلى قدوم الصليبيين مستقلة عن الفاطميين إلى أن تمكن الصليبيون من اخضاعها فى عام ١١٠٩ م / ٥٠٣ هـ . للمزيد أنظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ،

ص ١٠٧ ، ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٧ ، ٩٨ . وكذلك السيد عبد العزيز سالم : البحرية الاسلامية في عصر الضعف الفاطمى ، فى تاريخ البحرية المصـرية ، ص ٤٨.

(٣٣) ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، نشر سامى الدهان ، دمشق ١٩٥٤ ، جـ ٢ ، ص ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٠٨ .

(٣٤) أقيمت الدعوة للعباسيين بعد ذلك في بيت المقدس فى عام ٤٦٥- / ١٠٧١ م . للمزيد أنظر أيضا : ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١١٠ ، ١١٨ ، الذهبى : دول الاسـلام ٢ جـ ، فى مجلد ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم ، القاهـرة ١٩٧٤ ، جـ ٢ ، ص ٣ - ٤ . أيضا : السيد عبد العزيز سالم : صيدا فى التاريخ الإسلامى ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٨٣ .

(٣٥) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٢٢ ، أنظر أيضا : عبد المنعم ماجـد ، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر (التاريخ السياسى) القاهرة ١٩٧٧ ، ص ١٩٤ .

(٣٦) كان الوزير الفاطمى بدر الجمالى مشغولا آنذاك بالقضـاء على بعض الثورات فى صعيد مصر ، إلا أنه عاد مسرعا عندما علم بأنباء هجوم أتسز ووصوله إلى ظاهر القاهرة ، وتمكن من استمالة بعض السلاجقة . للمزيد أنظر : محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٥٢ .

(٣٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٢٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٤٢٩ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، ٤ أجزاء فى مجلدين ، المطبعة الحسينية بالقاهرة (بدون تاريخ) ، جـ ٢ ، ص ١٩٣ - ١٩٤ .

(٣٨) ثار الصـــراع بين السلاجقة والفاطميين حول مدن الساحل الشامى . فقد تمكن تتش من اخضاع انطرطوس وبعض الحصون الأخرى فى عام ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م . وكانت بعض المدن الساحلية قد أعلنت عصيانها وخرجت على طاعة الدولة الفاطمية . ولذلك بادر بدر الجمالى بارسال عدة حملات تمكنت من اعادة بعض هذه المدن إلى حظيرة الدولة الفاطمية . وهذه المدن هى صور وصيدا وجبيل وعكا ، وذلك فى عام ٤٨٢ هـ / ١٠٨٩ م . أما أبو المحاسن فقد أشار إلى إخضاع « بعلبك » بدلا من جبيل . وعندما رأى تتش ما قام به بدر الجمالى أرسل إلى السلطان السلجوقى ملكشاه طالبا منه المساعدة للسيطرة على هذه المدن الساحلية ، ومهاجمة مصر بعد ذلك . ولم تسفر الحملة التى قام بها تتش

بمساعدة قسيم الدولة آق سنقر والى حلب وبوازن صاحب الرها وياغى سيان صاحب انطاكية إلا عن اخضاع حمص ، وفشلوا فى اخضاع طرابلس . وعادوا بعد ذلك إلى بلادهم . وللمزيد أنظر : ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٣٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٤٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، القاهـــرة ١٩٣٥ ، ص ١٢٨ .

(٣٩) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١١٠ (حوادث ٤٦٣ هـ) .

(٤٠) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٢٢ (حوادث ٤٦٨ هـ) .

(٤١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٨٦ (حوادث ٤٩١ هـ) .

(٤٢) لم يشرا ابن القلانسى – الذى كان معاصرا لأحداث هذه الفترة – لمسألة تعويض صاحب دمشق بقلعة بانياس ومدينة يافا على الساحل كما ذكر ابن الأثير . ومن الصعب تصديق هذه الرواية من ابن الأثير وذلك لبعد المسافة بين المدينتين ، فاحداهما فى الداخل وهى بانياس ، والثانية على الساحل وهى يافا . أنظر : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٠٨ .

(٤٣) وثمة دليل آخر على عدم وصول السلاجقة إلى غزة ، وهو أن أهالى غزة ثاروا على أتسز وقتلوا جماعة ممن كانوا معه وذلك أثناء عودته من هجومه على مصر . بل أن الرملة أيضا ثارت ضده وقتلوا بعض من كان معه . أنظر : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشـــق ، ص ١١٠ ، ح ٢ ، نقلا عن سبط ابن الجوزى .

(٤٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١١٢ .

(٤٥) ابن العـــديم : زبدة الحلب ، جـ ، ص ٤٦٣ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٨٩ ، أبو الفدا : المختصر ، جـ ٢ ، ص ٢١١ .

(٤٦) Albert d'Aix, Historia Hierosolymitana, in R.H.C. - H. Occ., t. IV. Paris 1899., p. 543.

(٤٧) للمزيد من التفاصيل أنظر : جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين فى الحـــرب الصليبية الأولى ، ط . ثانية ، الاسكندرية ١٩٦٧ ، ص ٢٣٧ ومابعدها .

(٤٨) ابن ميسر : أخبار مصـــــر : نشر هنرى ماسية ، القاهرة ١٩١٩ ، جـ ٢ ، ص ٣٨ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٨٩ ، العليمى : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ٢ جـ فى مجلد واحد ، عمان ١٩٧٣ ، ٣٠٥ .

(٤٩) Guibert Abbatis, Gesta dei per Francos, in R.H.C. - H. Occ., Vol. IV. p. 222. ; Baldvici, Historia Jerosalimitana, in R.H.C. - H. Occ., Vol. IV, p. 95.; Tudebodi, Historia, in R.H.C. - H. Occ., Vol. III, p. 102

(٥٠) Raimond d'Agiles, Historia Francorum, in R.H.C. - H. Occ., Vol. III, p. 291. cf, also : Runciman, The First Crusade, from Antioch to Asclaon, in Setton, Vol. I., Philadelphia, 1958., p. 331. ; Riant, Inventaire critique des letters Historique des croisades, in A.O.L., t. I, Paris, 1881, p. 195.

(٥١) ابن ميسر : أخبار مصـر ، جـ ٢ ، ص ٣٩ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٨٩ ، أبو الفـــدا : المختصر فى أخبـــــار البشر ، جـ ٢ ، ص ٢١١ ، العليمى : الأنس الجليل ، جـ ١ ، ص ٣٠٧ . راجع أيضا : جوزيف نسيم : العـــرب والروم واللاتين ، ص ٢٦٠ - ٢٦٣ .

(٥٢) Hagenmayer, Chronologie de la premiére croisade (1094-1100), in R.O.L. (1900 - 1), PP. 323 - 5 ; Stevenson, The Crusaders in the East. Beirut 1968, p. 39.

(٥٣) Albert d'Aix, p. 513., cf. also : Hagenmayer, Chronologie, p. 334.
والجدير بالذكر أن المؤرخ البرت اكس كان الوحيد من بين المؤرخين اللاتين الذى ذكر إرسال الأفضل بن بدر الجمالى لهذه النجدة إلى أهالى أرسوف .

(٥٤) Albert d'Aix, p. 515. cf. also : Benvenisti, op. cit., pp. 136 - 7 ; Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, trans. from French by Janet Shirley, 2 Vols. Amsterdam, 1979, p. 21.; Hazard, op. cit., p. 80.

(٥٥) أشار فوشيه أوف شـارتر إلى شهرة المدينة بهذا القمح بصفة خاصة حيث كان يصنع منه الخبز الأبيض . أنظر :

Fulcher of Chartres, A History of the Expedition to Jerusalem (1095 - 1127), trans. by Frances Rita Ryan, Knoxville, 1969, p. 131.

(٥٦) لم تشر المصادر العربية أو الأجنبية إلى اسم هذا الأمير . وقد اكتفت المصادر الأجنبية بقولها "ammiraldus" التي تعني كلمة « أمير » فقط دون الإشارة إلى اسمه . انظر :
Albert s'Aix, p. 515.

(٥٧) اتهم متى الرهاوى أمير المدينة - والذى لم يذكر اسمه أيضا - بدس السم لجودفرى عند مروره بقيسارية . وأشار إلى هذا صراحة حيث ذكر أنه ترتب على ذلك وفاة جودفرى ومعه أربعون شخصا . أما البرت اكس ذكر أن المسلمين قدموا الطعام والفواكه لجودفرى ولكنه رفض تناول الطعام واكتفى بثمرة من التفاح . ولم يشرز البرت إلى مسألة دس السم فى الطعام . وذكر انه مرض بعد ذلك في يافا وانتقل إلى بيت المقدس حيث توفى هناك . أما المصادر العربية فقد أشارت إلى أنه قتل نتيجة اصابته بسهم أمام عكا . ولاشك أن هذه رواية خاطئة ، إذ اتجه جودفرى إلى قيسارية ثم إلى يافا ومنها إلى بيت المقدس أنظر : Matthieu d'Edessa, Chrong. p. 229; Albert d;Aix, p. 519.
ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، ابن الأثير ، الكامل : جـ ٨ ، ص ٢٠٤ .

(٥٨) وصـــل الأسطول البندقى المكون من مائتى سفينة إلى يافا ، وتم عقد الاتفاق بينهم وبين جودفرى على أن يقوم البنادقة بمعاونة الصليبيين في الفترة من ٢٤ يونيه حتى ١٥ أغسطس ١١٠٠م/ ١٤ شعبان إلى ٧ شوال ٤٩٣ هـ . واتفق على اعفاء البنادقة من دفع الضرائب والحصول على كنيسة وأرض لاقامة فندق وذلك فى كل مدينة يعاونون الصليبيين فى الاستيلاء عليها ، بالإضافة إلى ثلث الغنائم . وبعد التوصل إلى هذا الاتفاق تقرر مهاجمة عكا . ولكن وفاة جودفرى جعلت الصليبيين يتجهون إلى حيفا حسبما أسلفنا أعلاه . للمزيد من التفاصيل أنظر :
Hagenmayer, Chronologie, pp. 339 - 47; Heyd, Histoire du commerce du Levant, 2 Vols., Amsterdam, 1967, Vol. I., p. 136.
ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشـــق ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق د. محمد حلمى أحمد ، القاهرة ٧١ - ١٩٧٣ ، جـ ٣ ، ص ٢٦ .

(٥٩) عمل بلدوين على استتباب الأمور في امارته قبل اتجاهـــه إلى بيت المقدس . فتنازل لابن عمه بلدوين دي بورج عن الرها ، وخرج بعد ذلك متجها إلى أنطاكية حيث قضى بها ثلاثة أيام . ثم إلى اللاذقية حيث قابل المندوب البابوى موريس وكان على ظهر الأسطول الجنوى الذى كان قد وصل إلي اللاذقية . وذكر كافارو الجنوى أن بلدوين قبل تاج بيت المقدس عندما وعده الجنوية بمساعدته فى الاستيلاء على مدينتين . وقال المؤرخ هايد انهما « أرسوف وقيسارية » . ثم تابع سيره ، فمر على جبلة وطرطوس وعرقة وطرابلس وبيروت وصور وحيفا وقيسارية وأرسوف ويافا إلى أن وصل إلى بيت المقدس .
Matthieu d'Edessa, Chronq. p. 231 ; Fulcher of Chartres, p. 142. cf. also : Heyd, op. cit., Vol. I, p. 136 ; La Monte, Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem (1100 - 1291), Massachusetts, 1970, p. 218, n. 4.

(٦٠) Albert d'Aix, p. 541; cf. also : Röhricht, Regesta Regni Hierosolymitani. Innsbruck, 1893, doc. 48, Idem, Geschichte des Königreichs Jerusalem (1100 - 1291). Innsbruck 1889, pp. 18 - 19

(٦١) خرج هذا الاسطول من جنـــــوه فى أغسطس ١١٠٠ م / شوال ٤٩٣ هـ ، ووصل إلى اللاذقية حوالى ٢٥ من نفس الشهر ، وبعد أن قضى الشتاء فى اللاذقية اتجه إلى يافا . وكان بلدوين قد قابل هذا الأسطول أثناء اتجاهه من الرها إلى بيت المقدس ، وكان يضم أربع سفن كبيرة و ٢٦ أخرى صغيرة . عن ذلك أنظر :
Caffaro, De Liberatione Civitatum Orientis Liber, in R. H. C. - H. Occ., Vol. V, p. 58; Cf. also : Hagenmayer, p. 306; Heyd, op. cit., Vol. I., p. 137.
مصطفى حسن الكنانى : العلاقات بين جنوه والفاطميين فى الشرق الأدنى (١٠٩٥ - ١١٧١م / ٤٨٨ - ٥٦٧ هـ) ، الكتاب الأول ، الاسكندرية ١٩٨١ ، ص ٢٠٢ .

(٦٢) Fulcher of Chartres, pp. 151 - 2; Caffaro, Liberita Civit., p. 62; William of Tyre, History of the Deeds done beyond the Sea, trans. and annotated by E. Babcock and A.C. Kery, New York, 1943, pp. 433 - 4 ; Albert d'Aix, p. 542. cf. also : La Monte, Feudal Monarchy, p. 228, n. 4.

(٦٣) انظر ما سبق ص ٧٢ من هذا الكتاب .

(٦٤) Fulcher of Chartres, pp. 151, 2 ; William of Tyre, pp. 434 - 5 ; Roger of Wendover, Flowers of History, trans. from the Latin by J.A. Giles, London, 1848, Vol. I, p. 455. cf. also : Fink, The Foundation of the Latin States, in Setton, Vol. I, p. 385 ; Röhricht, Geschichte des Königreichs Jerusalem, p. 20.

(٦٥) أشار المؤرخــون اللاتين إلى مناعة أسوارها . فذكر البرت اكس « سورها الضخم الشديد المتانة » ، أما فورشيه دى شارتر فذكر « سورها الشديد المتانة » . كما ذكر ناصر خســـرو قبل ذلك عندما زارها في عام ١٠٦٤ م / ٤٥٧ هـ أن « لها سور قوى » للمزيد أنظر :

Albert d'Aix, p. 455 ; Fulcher of Chartres, p. 153.

وأيضا ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ١٨ ، ١٩ .

(٦٦) Albert d'Aix, p. 544; Fulcher of Chartres, p. 153; William of Tyre, p. 435.

وقد أشار فورشيه أوف شارتر إلى أن بلدوين قد أمر باقامة هذا البرج بارتفاع ٢٠ ذراعا وفى هذا دلالة على ارتفاع أسوار المدينة .

(٦٧) لم تحدد المصــادر العربية أو الأجنبية اسم حاكم المدينة أو المندوبين المسلمين . وقد اكتفت المصادر الأجنبية بالاشارة إلى حاكم المدينة باسم " ammiraldus " كما ورد فى البرت اكس باسم " Miro " التى ربما تعنى « أمير » المدينة ، أنظر : مصطفى حسن الكنانى: العلاقات بين جنوه والفاطميين فى الشرق الأدنى ، الكتاب الثانى ، الاسكندرية ١٩٨١، ص ٢٠٤ .

(٦٨) Caffaro, Librito. Civit., pp. 62 - 3.

(٦٩) ذكرت البرت اكس أن المفاوضات جرت أثناء الثمانية أيام التى قضاها بلدوين الأول فى أرسوف عقب سقوطها . وقد أشار إلى رفض حاكم المدينة ورده على الصليبيين بقــوله « اننا أحرار فى يد ملك مصر ونخطىء إذا قدمنا أنفسنا ومدينتنا إلى ملك المسيحيين (أى بلدوين الأول) ، وانه سوف يتلقى منه ردا بخصوص هذا الشأن » . المزيد أنظر :

Albert d'Aix, p. 540; Caffaro, Librito. Civit., p. 62 - 3.

وأيضا : مصطفى حسن الكنانى : المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

(٧٠) قام الصليبيون بمذبحة مروعة في مدينة حيفا ، وقد فر من تبقى من أهلها ســـواء من المسلمين أو اليهود إلى عكا وقيسارية للمزيد أنظر :

Runciman, A History of the Crusades., 3 Vols. London. 1971, Vol. I, p. 316.

(٧١) William of Tyre, p. 434.

(٧٢) اختلفت آراء المؤرخين القدامى والحديثين حول تحـديد اليوم الذى دخـل فيه الصليبيون المدينة . فقد ذكر فوشيه أوف شارتر أن سقوطها كان يوم الجمعة دون تحديد التاريخ . ولما كان بدء حصارها يوم ٢ مايو ، وكانت مدة الحصار أسبوعين ، فان أقــرب يوم جمعه هو « ١٧ مايو » . أما البرت اكس فقد أشار إلى أن سقوطها كان يوم الجمعة السابق على أحد العنصرة . ولما كان ذلك يوافق ٩ يونيه ، فان يوم الجمعة السابق له يكون ٧ يونيه. وهذا تاريخ متأخر جدا ، كما أنه لايتفق مع التاريخ الهجرى لسقوطها ، إذ يوافق ٩ شعبان بينما أشارت المصادر العربية إلى أن سقوطها كان فى « آخر رجب » ، وليس فى شعبان . ولم تسعفنا هذه المصادر بتحديد اليوم أيضا ، وانما اكتفت بالاشــارة إلى شهر « رجب » فقط . وقد اختلفت المؤرخون الحديثون حول تحديد ذلك اليوم ، هل كان سقوطها فى « ١٧ مايو » أو « ٣١ مايو » . فيرى كل من باير Beyer وروورشرت Röhricht أن ذلك كان يوم « ٣١ مايو » ، بينما يرى رانسيمان وجروسيه وهاجانمير أن تاريخ سقوطها كان « ١٧ مايو » . والواقع أن التاريخ الصحيح هو « ١٧ مايو » وذلك لاتفاقه مع تسلسل الأحداث التى أوردها المؤرخ فوشيه أوف شارتر المعاصر لها . وقد أورد المؤرخ هاجانمير دراسة رائعة حول هذه النقطة حيث قارن بين روايات المؤرخين الغربيين وانتهى إلى أن التاريخ الصحيح لسقوطها هو ١٧ مايو / ١٦ رجب . للمزيد أنظـــــر :

Beyer, op. cit, pp. 3 - 4; Röhricht, Gesehichte des Königreichs Jerusalem, p. 21; Hagenmayer, Chronologie d'Histoire du royaume de Jerusalem : Regne de Baudouin I (1101 - 1118) in R.O.L.t.X, pp. 430-2; Runciman, op. cit., Vol. II. p. 73.

وكذلك أنظر : ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٠٤ ، بامخرمة : قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر ، ورقة ٤٩٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٦٧ .

(٧٣) تحدث فوشيه أوف شارتر - وكان شـاهد عيان - عن الوحشية التي اقترفها الفرنج عقب دخولهم المدينة . فذكر أنه شاهد بعضهم يقوم بحرق جثث المسلمين لاستخراج القطع الذهبية التي ابتلعها هؤلاء القتلى حتى لايستولي عليها الصليبيون . وأضاف أنه شاهد أحد الصليبيين يكسر رقبة أحد القتلى ، وسقط من فمه عددا من القطع الذهبية تراوحت مابين عشر وست عشرة قطعة . واستطرد قائلا أن نساء المدينة أخفين هذه القطع الذهبية في مناطق حساســــة يخجل هو من ذكـرها . وإن دل ذلك على شيء فانما يدل على اللا إنسانية التي اتصف بها الفرنج ، وعلى جشعهم المادى دون مراعاة لحرمة الموتى . كما يدل ذلك أيضا على بسالة الأهالي في الدفاع عن مدينتهم وحرصهم على إلا يستفيد الصليبيون من ثرواتهم . للمزيد أنظر :

Fulcher of Chartres, p. 154; William of tyre, pp. 436 - 7; Albert d'Aix, p. 544.

(٧٤) Grousset, op. cit., Vol. I., p. 224.

(٧٥) ذكر البرت اكس أن أهالى عكا قاموا بدفع ألف بيزنط مقابل إطلاق سراح قاضى المدينة ، أما عن الأمير فلم تشر الروايات إلى مصيره . كما استخدمت النسوة فى ادارة الطواحين الموجودة فى المدينة . للمزيد أنظر :

Albert d'Aix, p. 544; cf. also: Richard, op. cit., Vol. I., p. 132; Benvenisti, op. cit., p,. 137.; Hazard, op. cit., p. 82 - 3.

(٧٦) Hagenmayer, Chronologie, regne de Baudouin I, p. 432.

(٧٧) ذكر كافارو الجنــــوى أن كل جندى جنوى حصل على رطلين من الفلفل و ٤٨ صولديا بواتيفيا . وبحساب عدد سفن الأسطول الجنوى ومتوسط حمولتها ، فان اجمالى عدد الجنود يبلغ ثمانية آلاف جندى تقريبا . وإذا أخذنا هذا العدد ، مع استنزال أعداد من ماتوا أثناء الطريق البحرى ، ومن قتل فى المعارك التي دارت مع المسلمين ، فان اجمالى العدد يكون حوالى خمسة آلاف مقاتل . وبحسب ما حصل عليه الجندى الواحد من الفلفل ، فان اجمالى الكمية يكون ٤٥٣. كيلو جراما . ويمثل هذا ثلث الكمية فقط ، فاذا أضفنا الثلثين الأخرين اليه وهو نصيب الملك الصليبى فان اجمالى كمية الفلفل الموجودة فى المدينة كانت حوالى ١٣٥٩. كيلو جراما . ولاشك أن هذه كمية ضخمة لايمكن أن توجد فى مدينة واحدة ، خاصة إذا عرفنا أن الفلفل كان يسمي آنذاك ذهب

العصر . وينطبق عليها هذا أيضاً على الأموال التى حصلوا عليها . فان اجمالى هذه الأموال يبلغ . . . ر. ٢٤ صولدياً بواتيقياً . فاذا أضفنا نصيب الملك الصليبى فيكون الاجمالى هو . . . ر. ٩٢ صولديا ، وهو مبلغ مبالغ فيه أيضاً . وعلى الرغم من المبالغة الواضحة فى رواية كافارو الجنوى ، والتى سلم بها أغلب المؤرخين الحديثين ، فان هذه الرواية تدل على حدى ثراء المدينة . أما عن الأثر المقدس الذى عثر عليه فى المدينة ، فكان اناء سداسى الشكل ، وظن الجنوية أنه الاناء المقدس الذى كان فى العشاء الأخير حسب معتقدات المسيحيين . وعثر عليه فى مسجد المدينة بعد سقوطها فى يد الصليبيين ، ودفع الجنوية مبلغا كبيرا من المال نظير الحصول عليه . وقد أشار المؤرخ كافارو إلى ذلك . أما فوشيه أوف شارتر ، فعلى الرغم من وجوده أثناء سقوط المدينة فانه لم يشر إلى هذا الإناء . وقد ارتاب وليم الصورى فى وجود مثل هذا الإناء وأشار إلى أن الجنوية « كانوا يظهرونه لوجهاء القوم الذين يمرون بجنوة كأنه أعجوبة من الأعاجيب ويغرونهم على الاعتقاد بأنه من الزمرد الحقيقى كما يوحى بذلك » . للمزيد أنظـــــــر :

Caffaro, Librito. Civit., p. 68; William of Tyre, p. 438; cf. also: Röhricht, Gescgichte des Konigreicns Jerusalem, p. 22; Heyd, op. cit., Vol. I, p. 137; Runciman, op. cit., Vol. II, pp. 73 - 4.

وكذلك أنظر : مصطفى حسن الكنانى : العلاقات بين جنوه والفاطميين ، الكتاب الأول ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٧٨) قدم بلدوين مع جيش جودفرى دى بويون ، وأصبح رئيسا لجماعة القديسة مارى فى بيت المقدس . وكان قد وسم جبهته بعلامة الصليب قبل خروجه إلى الأراضى المقدسة ورافق بلدوين الأول أثناء استيلائه على قيسارية . عن ذلك أنظر :

Guibert de Nogent, Gesta dei per Francos, in R.H.C. - H. Occ. Vol. IV, pp. 183, 251; William of Tyre, p. 438; cf. also: Rey, Les Familles d'Outre-Mer, Paris 1869, p. 756.

(٧٩) Röhricht, Geschichte des Königreichs Jerusalem, p. 22.

(٨٠) أنظر ما يلى ص ٨٧ ، ٨٨ من هذا الكتاب .

(٨١) Albert d'Aix, p. 544.

وقد ذكر البرت أن هذه النجدة كانت على وشك الوصول إلى ميناء Azport ، وربما يقصد به عسقلان ، التي كانت لاتزال تابعة للفاطميين .

(٨٢) من مقاطعة بورجيه في فرنسا ، وقدم مع جيش جودفرى بويون ، حيث شارك في الحملة الصليبية الأولى . ووقع في الأسر مع عشرة فرسان آخرين فيما بين حارم وانطاكية ولكن أطلق سراحه بعد فترة قليلة . أنظر :

Röhricht, Geschichte des Königreichs Jerusalem, p. 23.

(٨٣) Hagenmayer, Chronologie, p. 440.

(٨٤) Ekkehard, Hierosolymitana, in R.H.C. - H. Occ. Vol. III, p. 558.

وقد اشار إلى مشاركة قيسارية ضمن المدن الأخرى في هذه القوات الصليبية التي قام بتجميعها بلدوين الأول .

(٨٥) ابن ميسر : اخبار مصر، جـ ٢ ،ص . ٤ ، ابن القلانسي : يل تاريخ دمشق ، ص . ١٤، وكذلك محمد الشيخ : الجهاد المقدس ، ص . ١٧ .

(٨٦) أنظر الوصف الجغرافي للإقطاعية ص ٩١ من هذا الكتاب .

(٨٧) Albert d'Aix, pp. 602-3; Fulcher of Chartres, pp. 174-5. cf. also : Röhricht, Gesch. des Konigreichs Jerusalem, pp. 43 - 4; Stevenson, op. cit., p. 46.

(٨٨) Albert d'Aix, pp. 608 - 9; cf. also : Stevenson, op. cit., p. 47; Hagenmayer, Chronologie. p. 294; Röhricht, op. cit., p. 48.

وللمزيد أنظر ملحق رقم ١ بآخر الكتاب .

(٨٩) يوستاش جارنييه فارس من هاربيل Harbel أو Herbelles وهى قرية تقع بالقرب من تيروان Thérouanne الواقعة حاليا فى شمال غرب فرنسا . وورد لقبه جارنييه بأكثر من صيغة في المصادر الصليبية . لقد ذكره البرت تحت أسم Granarius و Grener و Graniers . وذكره وليم الصورى باسم Grener . وفى أسر ما وراء البحار للمؤرخ رى ورد باسم Garnier وورد اسمه ضمن الأشعار اللاتينية التى مجدت الشخصيات المشاركة

في المملة الصليبية الأولى من أسقفية تيروان ، وبذلك يكون قد صاحب جيش جودفرى دى بويون . أنظر :

Rey, Les familles d'Outre-Mer (Les Seigneurs de Césarée), pp. 274 - 6; La Monte, Lords of Ceasarea in the period of the Crusades, in Speculum, XXII, Cambridge, 1947, p. 145; King, The Knights Hospitallers in the Holy Land. London, 1931, p. 33.

(٩٠) Albert d'Aix, p. 544; cf. also : Richard, op. cit., Vol. I, p. 52.

(٩١) Albert d'Aix, p. 621 cf. also : Beyer, Das Gebiet Ceasarea, p. 4.

(٩٢) Röhricht, Regesta, doc. 52.

(٩٣) La Monte, Lords of Ceasarea, p. 145; Beyer, op. cit., pp. 4 - 5.

(٩٤) اسامة زكى زيد : صيدا ودورها في الصراع الصليبى الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٨١ ، ص ١٣٤ . وقد ظل أبناء يوستاش جارنييه من الذكور يتوارثون إقطاعية قيسارية ، إلى انتهاء الذكور ، فآلت إلى الاناث وذلك ابتداء من جوليانا Juliana التى ورثتها فى عام ١١٩٣ م / ٥٨٨ هـ .

(٩٥) يتفق هذا الوادى مع نهر قديم كان يعرف باسم نهر الصوريين Fluss der Tyrer أنظر Beyer, op. cit., p. 6.

(٩٦) قام الداوية بانشاء قلعة Destrictum أو دوسترى فى النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلادى / النصف الأول من القرن السادس الهجرى . وقد عُهد إليهم بها لحمايتها . وبالقرب من نفس المكان أيضا قام الداوية بانشاء قلعة أخرى فى هذه المنطقة عرفت باسم قلعة الحجاج أو قلعة عثليت . وللمزيد أنظر ص ١٨٣ من هذا الكتاب .

(٩٧) Geoffrey de Vinsauf, History of the Expedition of Richard Couer de Lion to the Holy Land. London, 1848, p. 232; cf. also : Conder, The Latin Kingdom of Jerusalem. London, 1897, p. 270.

(٩٨) الدفلى : نبات مر ، زهره كالورد الأحمر وينبت بكثرة على أطـراف هذا الوادى ، ولذلك أطلق عليه هذا الاسم . وكان يعرف قديما باسم نهر خرسيوس Chorseus أنظر :
Beyer, op. cit., p. 22.

(٩٩) هناك أساطير كثيرة حول هذا النهر فى الفترة الصليبية . وأشار فوشيه أوف شارتر إلى أن التماسيح الموجودة فى هذا النهر أحضرت من مصر . وأشار امبرواز Ambroise إلى أن التماسيح فتكت باثنين من رجال ريتشارد قلب الأسد ، وذلك أثناء تقدم الحملة الصليبية الثالثة فى عام ١١٩١ م / ٥٨٦ هـ من عكا إلى عسقلان . كما أشار ناصر خسرو عندما مر بهذه المنطقة فى عام ١٠٦٤ م / ٤٥٧ هـ بأنها تسمى « وادى التماسيح » . أنظر :

Fulcher of Chartres, p. 285; Ambroise, The Crusade of Richard Lion Heart. trans. from old french by M. Jerome, with notes and documentation by J. La Monte, New York, 1941, p. 244.

(١٠٠) Beyer, op. cit., pp. 35, 52; Condor, op. cit., pp. 275 - 6.

(١٠١) Geoffrey de Vinsauf, p. 203; Ambroise, p. 245.

وكذلك انظر : أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، القاهرة ١٢٨٧ - ١٢٨٨ هـ ، جـ ٢ ، ص ١٩٠ . ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، ط أولى ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ١٨٠ .

(١٠٢) عن هذه القلاع والحصون والأبراج أنظر خريطة رقم ٣ والملحق رقم ٦ بآخر هذا الكتاب وتعتبر مقالة جوستاف باير أفضل ما كتب فى هذا الموضوع .

(١٠٣) تقع إلى الشمال من قيسارية على الساحل أيضا . وظلت تابعة للصليبيين إلى عام ١١٨٧ م / ٥٨٣ هـ ، عندما استردها صلاح الدين الأيوبى عقب معركة حطين . وأشارت المصادر إلى انها كانت تابعة آنذاك للداوية وعرفت باسم Merla - Templi وبموجب صلح الرملة سنة ١١٩٢ هـ / ٥٨٧ هـ ، عادت هذه المدينة للصليبيين مرة ثانية ، وكانت ذات شهرة واسعة في القرن الثانى ق. م ، ولكن بعد انشاء قيسارية تضاءلت أهميتها . وكثيرا ماخلط الحجاج المسيحيون الذين زاروا الأراضى المقدسة بينها وبين قيسارية . للمزيد عن ذلك انظر :

Fetellus, op. cit., p. 47; cf. also : Beyer, op. cit., pp. 24, 33, 35., Benvenisti, op. cit., 189.

(١٠٤) تقع على الطريق الرئيسى فيما بين نابلس وقيسارية . وظلت تابعة للصليبيين إلى أن استردها صلاح الدين مع باقى المعاقل الصليبية عقب حطين . وعادت أيضا بموجب صلح الرملة للصليبيين . وقد أمتلك الاسبتارية بعض الأراضى والمنازل لها . كما ظهر الداوية بها أيضا عندما هاجمها صلاح الدين الأيوبى فى ١١٨٧م / ٥٨٣ هـ . غير أنه لم يعرف ان كانت اقامتهم بها دائمة أم مؤقتة آنذاك . وقد أشارت المصادر العربية إلى موضعين يحملان هذا الاسم ، أحدهما بالقرب من الرملة ، والآخر من عمل قيسارية من ساحل الشام . وسوف تصبح مركزا هاما عقب استرداد الظاهر بيبرس للاقطاعية من الصليبيين فى عام ١٢٦٥ م / ٦٦٣ هـ ، وذلك بدلا من قيسارية التى خربها وهدم أسوارها . للمزيد أنظر :

Beyer, op. cit., p. 41; Benvenisti, op. cit., pp. 198 - 9.

وأيضاً: ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٢٩٩ .

(١٠٥) وردت فى المصادر الصليبية بصيغ متعددة منها Calansua, Calanchun, Kalenson وغيرها . ولايزال يوجد بها بقايا برج وكنيسة من الفترة الصليبية . أما ياقوت فقد أشار إلى أن قلنسوة حصن قرب الرملة ، بينما المقصود بها قلنسوة التى تقع فى إقطاعية قيسارية . للمزيد أنظر :

Beyer, op. cit., pp. 17, 39, 41.

وكذلك ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٣٩٢ .

(١٠٦) اختلف وضــــع قلعة الحجاج أو عثليت عن باقى هذه المدن ، حيث كانت تابعة لجماعة الفرسان الداوية . وللمزيد أنظر الفصل الرابع من هذا الكتاب ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

الفصل الثاني

فترة الحكم الصليبى الأول لاقطاعية قيسارية فى ظل حكم اسرة يوستاش جارنييه

(١١١٠ - ١١٨٢ م / ٥٠٤ - ٥٧٨ هـ)

- تولى يوستاش جارنييه حكم الإقطاعية (١١١٠ - ١١٢٣ م / ٥٠٤ - ٥١٧ هـ) ، وعلاقاته بالمسلمين .

- مشاركة ايفرمار رئيس أساقفة قيسارية في معركة تل دانيث ضد ايلغازى صاحب ماردين فى عام ١١١٩ م / ٥١٣ هـ .

- وفاة يوستاش جارنييه وتولى ابنه جوتييه الأول حكم قيسارية (١١٢٣ - ١١٤٩ م / ٥١٧ - ٥٤٤ هـ) ، ودوره فى احداث الحملة الصليبية الثانية .

- يوستاش الصغير سيد الإقطاعية (١١٤٩ - ١١٥٤م / ٥٤٤ - ٥٤٩ هـ) ، وأسباب عدم مشاركته فى أحداث المملكة الصليبية ، وظهور بلدوين رئيس أساقفة قيسارية بدلا منه فى احداث استيلاء الصليبيين على عسقلان آخر المعاقل الفاطمية فى عام ١١٥٣ م / ٥٤٨ هـ .

- هيوسيد الإقطاعية (١١٥٤ - ١١٦٨ م / ٥٤٩ - ٥٦٣ هـ) ، ودوره فى الصراع الدائر بين نور الدين محمود وعمورى ملك بيت المقدس للاستيلاء على مصر .

- جاى سيد الاقطاعية (١١٧٤ - ١١٧٦ م / ٥٦٩ - ٥٧٢ هـ) ، ودوره فى أحداث المملكة الصليبية .

تناولنا فى الفصل السابق موضوع استيلاء الفرنج على قيسارية ، وقيام إقطاعية صليبية بها ، وموقعها الجغرافى ، ثم منحها ليوستاش جارنييه ليكون أول حاكم لها . وتتميز فترة حكمه بأهمية خاصة فى تاريخ الإقطاعية ، حيث تمكن من وضع أساسها وتثبيت حدودها مع الإقطاعيات الصليبية الأخرى المجاورة لها . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، أسهمت ثلاثة عوامل فى ابراز دورها فى العلاقات مع المسلمين هى على التوالى : موقعها الجغرافى ، والأسرة التى حكمتها ، وعلاقتها بملوك بيت المقدس اللاتين . وقد سبق أن تحدثنا عن الموقع الجغرافى تفصيلا ونتنقل إلى الحديث عن سادتها الإقطاعيين وعلاقاتهم بملوك بيت المقدس اللاتين على مدى الصفحات التالية .

فالمعروف أن الصليبيين نقلوا النظام الإقطاعى معهم من الغرب الأوروبى وقامـــوا بتطبيقه كاملا فى المملكة الصليبية فى بيت المقدس ، مع ادخال التعديلات التى استلزمتها الظروف الجديدة فتم تقسيمها إلى إقطاعيات رئيسية وأخرى ثانوية [١] . وكانت إقطاعية قيسارية تأتى على قائمة الإقطاعيات الثانوية فى المملكة . وطبقا لما أشارت إليه مجموعة « قوانين بيت المقدس Assises de Jerusalem » ، فقد كان على سيد الإقطاعية تقديم ٢٥ فارسا و٥٠ جنديا فى جيش المملكة [٢] . وعليه أن يكون على رأس فرسانه عند استدعاء الملك الصليبى له فى حالة تعرض المملكة لأى خطر يهددها . وتم تحديد مدة الخدمة بعام كامل ، كان على التابع أداء الخدمة خلاله للملك الصليبى [٣] . ويبدو أن هذا النظام الإقطاعى فى الشرق لم تكن أبعاده قد اتضحت بعد الفترة الأولى من تاريخ المملكة ، لأن الأخطار كانت تحدق بالمملكة من كل جانب آنذاك . ومنذ عام ١١٣٠ م / ٥٢٥ هـ أخذت أسس هذا النظام فى الاستقرار والثبات ، حيث يمثل هذا العام بداية فترة انتقال جديدة فى تاريخ المملكة الصليبية [٤] . ولم يقتصر الأمر على سادة الإقطاعية فى تقديم الخدمات السابقة للملك الصليبى ، بل كان على رئيس أساقفتها هو الآخر المساهمة بتقديم خمسين جنديا ، مضيفا بذلك دورا جديدا فى اسهام الإقطاعية فى العـــلاقات السياسية مع جيرانها

المسلمين [٥] . وفى ظل هذه الأوضاع يمكن تفهم دور إقطاعية قيسارية سواء بالنسبة لعلاقاتها بالمملكة أو بالمسلمين . ويمكن أيضا تفهم دورها على مستوى كل من حاكمها العلماني ورئيس أساقفتها .

وفى ضوء ما تقدم ، فبمجرد حصول يوستاش جارنييه على إقطاعية قيسارية فى سبتمبر ١١١٠ م / ربيع الأول ٥٠٤ هـ ، يبدأ دورها البارز فى العلاقات مع المسلمين . ولايعنى ذلك أن يوستاش لم يسهم فى هذه العلاقات قبل حصوله على الإقطاعية ، وإنما سبق أن شارك فى كثير من المعارك التى قام بها بلدوين الأول ملك بيت المقدس ضد المسلمين . ونتيجة لجهوده تلك حصل على الإقطاعية [٦] وكان أول اسهام له عقب حصوله عليها ، هو المشاركة فى حصار الصليبيين لمدينة صيدا الفاطمية والاستيلاء عليها فى ٤ ديسمبر ١١١٠ م / ٢٠ جمادى الأولى ٥٠٤ هـ [٧] . وعلى الرغم من أنه لم ترد فى المصادرالصليبية طبيعة الدور الذى لعبه يوستاش فى هذا الحصار ، فان حصوله على صيدا عقب سقوطها ، كبارونية له يوضح أنه ساهم بدور فعال فى هذا الحصار . وهكذا جمع فى حوزته صيدا احدى البارونيات الأربع الرئيسية فى المملكة ، بالاضافة إلى قيسارية أهم الإقطاعيات الثانوية . وكان لذلك أثره ، فأصبح الرجل الثانى فى المملكة الصليبية بعد الملك الصليبى بلدوين الأول ، وفضلا عن ذلك حصل على أملاك قيمة فى أريحا كانت تخص زوجته ايما Emma [٨] وكان قد أعطاها لها عمها أرنولف مالكورن بطـريرك بيت المقدس اللاتينى . وهكذا تمكن يوستاش من أن يدعم مكانته فى المملكة الصليبية وأن يتفوق على أقرانه الاقطاعيين الآخـــرين . وأصبحت الأنظار تتجه إليه فى الأحـــداث التى كانت المنطقة مسرحا لها .

وعلى أية حال ، برزت مكانته بصورة واضحة فى ذلك الحصار الذى فرضه الصليبيون على مدينة صور الفاطمية فى ٢٩ نوفمبر ١١١١م /٢٥ جمادى الأولى ٥٠٥ هـ [٩] . فبعد أن يئس واليها عز الملك أنوشتكين الأفضلى من ارسال الأفضل الوزير الفاطمى النجدات له ، راسل طغتكين أتابك دمشق (١١٠٤ –

١١٢٨م/ ٤٩٨ - ٥٢٢ هـ) طالبا منه النجدة . وبالفعل سارع طغتكين وأرسل نجدة مكونة من مائتى فارس ، بخلاف الرجالة ، حيث تمكنت من دخول المدينة . واستمر الصليبيون يحاصرونها طوال فترة الشتاء ، حيث عانى المسلمون الأمرين بسبب برودة الجو وطبيعة المنطقة التى كانوا يعسكرون فيها . وفى أثناء ذلك كانت الامدادات تصل إلى الفرنج من صيدا بالطريق البرى . وعندما علم طغتكين بذلك هاجم هذا الطريق ، فلجأ الصليبيون إلى البحر لجلب المؤن والإمدادات . غير أن طغتكين هاجم مراكب الصليبيين وتمكن من اغراق عدد منها [١٠] .

أدرك الملك الصليبى مدى مناعة أســـوار صور وقوة استحكاماتها الدفاعية ، ولذلك فقد أمر باعداد برجين لاستخدامهما فى مهاجمة الأسوار ومحاولة أحداث فتحة تسمح للصليبيين بالدخول منها إلى المدينة ، أو مهاجمة الجزء العلوى من السور والاستيلاء عليه مما يمكنهم من السيطرة على المدينة . وبالفعل أتم الصليبيون تشييدهما ، وبلغ طول البرج الكبير خمسين ذراعا حيث كان الملك بلدوين نفسه هو المسئول عنه ، أما البرج الصغير فكان يقل ارتفاعه عن البرج الأول بعشرة أذرع فقط . وعهد به الملك الصليبى إلى يوستاش جارنييه سيد قيسارية وصيدا [١١] .وتقدم الصليبيون لمهاجمة المدينة بعد أن نجحوا فى تخريب الإستحكامات الدفاعية الأولى لها ، فدفعوا بالبرج الصغير إلى السور فى محاولة للاستيلاء على الجزء الأعلى منه ، بينما كان آخرون فى أسفل البرج يحاولون نقب السور من أسفل . وعندما رأى المدافعون عن المدينة ذلك ، خرجوا لصد هذا الهجوم . فقاموا بالقاء النفط والحطب والقطران واشعلوا فيها النيران محاولين حرق البرج الصغير . ولم تنجح محاولتهم ، ولكن وقع مالم يكن فى الحسبان ، إذ تحولت الرياح فحملت النيران على البرج الصغير واشتعلت فيه [١٢].

ونتوقف قليلا عند هذه النقطة حيث اتهم البعض يوستاش جارنييه سيد قيسارية وصيدا بالتقصير فى الدفاع عن البرج الصغير مما أدى إلى احتراق وفشل الحصار الصليبى لصور [١٣] . ولكن هذا الرأى لايمت إلى الواقع بصلة ، فقد بذل أقصى ما فى استطاعته للدفاع عن البرج أمام اصرار المسلمين على حرقه ، وكاد

ينجح فى هذا لولا تحول الرياح فجأة . وأكد المؤرخون المسلمون هذه الحقيقة عندما أشاروا إلى احتراق البرج الصغير ، فقد « احترق بعد المحاربة الشديدة عليه والمكافحة العظيمة عنه » (١٤) . وعلى الرغم من ذلك ، فان البرج الثانى - والذى كان الملك الصليبى نفسه هو المسئول عنه - لم يلبث أن احترق هو الآخر وأصبح أثرا بعد عين (١٥) .

وإزاء هذه المقاومة المستميتة من جانب المسلمين واحتراق البرجين اللذين كان يعتمد عليهما الصليبيون ، أدرك الملك الصليبى استحالة الإستيلاء على المدينة . يضاف إلى ذلك عامل آخر ساهم فى فشل الحصار الصليبى ، وهو أن طغتكين أتابك دمشق أخذ يهاجم حصون الصليبيين في منطقة السواد ليشغلهم عن حصار صور أو على الأقل ليخفف من ضغطهم عليها . وفضلا عما سبق فقد كان موسم جنى الغلات قد أوشك على الاقتراب ، فخشى بلدوين أن يستولى طغتكين على غلات الفرنج ، فآثر الانسحاب فى ١٠ شوال ٥٠٥ هـ / ١٠ أبريل ١١١٢ م (١٦) .

ومن هنا يتضح الدور الذى ساهم به يوستاش جارنييه أثناء حصار الصليبيين لمدينة صور الإسلامية ، واستخدامه صيدا كقاعدة لجلب الامدادات إلى الصليبيين . ولم يكن لهذا الفشل فى حصارها تأثير كبير على الصليبيين أو يوستاش جارنييه نفسه . وهذا بخلاف ما ذهب إليه البعض من أن عدم ظهوره فى أحداث المملكة التي تلت ذلك ، انما يرجع إلى فشله فى عملية حصار صور (١٧) . والواقع أن عام ١١١٢ م / ٥٠٥ هـ انما يمثل نهاية مرحلة محاولات الصليبيين لضم باقى المدن الساحلية الفاطمية ، والتي لم يكن قد تبقى منها سوى صور وعسقلان . وبدأت سياسة المملكة الصليبية منذ ذلك العام وحتى نهاية حكم بلدوين الأول ، وفى عهد بلدوين الثانى تأخذ وجهة مغايرة . ففى شمال بلاد الشام كانت امارتا الرها وانطاكية تتعرضان للهجوم من جانب مودود أمير الموصل وآق سنقر البرسقى من بعده ، مما اضطر بلدوين الأول للخروج لنجدتهما (١٨) . ولعل تفسير عدم ظهور يوستاش جارنييه فى الأحداث التى جرت فى شمال بلاد

الشام ، هو أنها لم تكن تهدد المملكة الصليبية نفسها تهديدا مباشرا ، وعلى ذلك فان الملك الصليبى لم يستطع أن يلزمه بالمشاركة فى هذه الأحداث . ويدعم هذا الرأى أن قوانين المملكة لم تكن تلزم السيد الاقطاعى بالخروج إلا فى حالة تعرض المملكة الصليبية ذاتها لخطر خارجى . ومن حق الإقطاعى عدم المشاركة فى الأحداث التي تحقق للملك منفعة شخصية (١٩) .

ومهما يكن من أمر ، فقد ظهر يوستاش جارنييه فى هذه الفترة فى أحداث داخلية تتعلق بإقطاعية قيسارية . ففى عام ١١١٥ م / ٥٠٨ - ٥٠٩ هـ قام بمنح احدى القلاع فى إقطاعيته لدير القديسة مارى يوسفات S. Mariae Josaphat الذى كان مقره الرئيسى فى بيت المقدس وحملت القلعة نفس الاسم . كذلك منح جماعة دينية أخرى نصف قلعة ، حملت أيضا اسم هذه الجماعة وهى قلعة الضريح المقدس S. Sepulchri (٢٠) . وعلى الرغم من أن يوستاش جارنييه لم يظهر - كما أوضحنا - فى أحداث شمال بلاد الشام ، حيث اتجهت سياسة المملكة الصليبية فى عهد بلدوين الثاني هذه الوجهة لمساعدة كل من الرها وأنطاكية ، فان شخصية أخرى من قيسارية تكفلت بالقيام بهذا الدور ، تلك هى شخصية ايفرمار Evermar رئيس أساقفة قيسارية (٢١) .

وتفصيل ذلك أن روجر أمير أنطاكية (١١١٢ - ١١١٩ م / ٥٠٦ - ٥١٣ هـ) أرسل فى طلب المساعدة من الملك الصليبى بلدوين الثاني عندما هدده ايلغازى صاحب ماردين (٤٩٨ - ٥١٦ هـ / ١١٠٤ - ١١٢٢ م) . وبالفعل أرسل بلدوين موافقته على الخروج لمساعدته وأرسل إلى بونز أمير طرابلس بهذا الخصوص . وخرج الملك ومعه بونز وجريموند بطريرك بيت المقدس وايفرمار رئيس أســـاقفة قيسارية ، والذي كان يحمل الصليب المقدس ، لنجدة روجر أمير أنطاكية (٢٢) . وقبل أن تصل هذه النجدة الصليبية إلى روجر ، استطاع ايلغازى أن يباغته منزلاً به هزيمة ساحقة عند البلاط ، وذلك في ٢٨ يونيه ١١١٩ م / ١٧ ربيع أول ٥١٣ هـ . وقد بلغ من شـــدة المعـــركة وكثرة من قتـــل فيها من الصليبيين أن المصـــادر الصليبية أطلقت عليها معـــركة ســاحة الدم

Ager Sangninus . بل أن مؤرخا مثل فوشيه أوف شارتر عندما أشار إليها ، قال : « أننى لا أريد أن أثقل على تاريخنا باضافة هذه الأخبار السيئة التى تعرض لها روجر » [٢٣] .

تحرك بلدوين ومعه قواته متجها إلى أنطاكية حيث وصل بعد أن نزلت هذه الكارثة بالصليبيين . وفى أثناء تقدمه علم ايلغازى بذلك ، فأرسل بعض السرايا لاعتراض طريقه . ولكن الملك الصليبى تحاشى الدخول فى اشتباك مباشر معهم ، وأسرع متجها إلى أنطاكية . وأخذ بلدوين الثانى يعمل على تنظيم الأمور داخل أنطاكية قبل أن يخرج لمواجهة ايلغازى . فجمع الأموال التى تركها قتلى ساحة الدم وكذلك أموال روجر حاكم أنطاكية [٢٤] . وتمكن روجر من تنظيم الإمارة ، وأرسل يستدعى القوات الصليبية من الرها ومن باقى المعاقل الصليبية الموجودة فى المناطق المحيطة . وبعد أن أتم بلدوين الاستعداد ، خرج ومعه هذه القوات الصليبية لمواجهة ايلغازى . وفى ذلك الوقت كان طغتكين أتابك دمشق قد وصل بناء على طلب ايلغازى لمساعدته . واتجها لمحاصرة الأثارب والاستيلاء عليها ، وذلك فى أغسطس ١١١٩ م / أواخر ربيع الآخر ٥١٣ هـ . وأمام هجمات المسلمين القوية على الحصن ، استسلمت حاميته ، وسمح لها ايلغازى بالخروج متجهة إلى أنطاكية . ثم اتجه بعد ذلك لحصار زردنا ، وتمكن من الاستيلاء عليها ، وذلك فى ١٣ أغسطس ١١١٩ م / ٣ جمادى الأولى ٥١٣ هـ [٢٥] .

ووصلت أنباء سقوط هذه المعاقل الصليبية إلى الملك بلدوين ، الذى كان يعسكر بقواته فى ذلك الوقت عند تل دانيث . وأدرك بلدوين أن الهدف التالى لايلغازى هو الاتجاه إلى تل دانيث للاستيلاء عليها . وأخذ يعد قواته لمواجهة أى احتمال مفاجىء من قوات ايلغازى . فقام بتقسيمها إلى ميمنة ووضع عليها بونز أمير طرابلس ، وميسرة وبها بقية الفرســان . أما الملك الصليبى فقد كان فى القلب ، وبالاضافة إلى ذلك وضع قوات من المشاة أمام الجيش الصليبى لاعاقة تقدم ايلغازى ورجاله . وتقدمت قوات ايلغازى فى ١٤ أغسطس ١١١٩ م / ٤ جمادى الأولى ٥١٣ هـ ، فهاجمت مشاة الفرنج الذين كانوا فى مقدمة الجيش

الصليبى . ولم يصمد المشاة أمام هجمات ايلغازي ، وفروا إلى حصن هاب وتبعهم ايلغازى وأنزل بهم الهزيمة . وانكشف بقية الجيش الصليبى بعد هزيمة المقدمة ، ولكن الملك الصليبى صمد ومعه بونز وايفرمار رئيس أساقفة قيسارية في ميدان المعركة . وكان الأخير يحمل الصليب المقدس بكلتا يديه وهو يرتدى رداء الكهنوت الخاص به . وعندما رأى الهزيمة المبكرة التى تعرض لها الصليبيون في الميدان ، تقدم الصفوف على الرغم من اصابته ، وأخذ يصيح بصوت مرتفع متوعدا المسلمين ، ومثيرا حماسة الفرنج [٢٦] . وكان لموقف رئيس الأساقفة أثره في ميدان القتال ، فصمد الصليبيون أمام هجمات ايلغازى . واستطاع بلدوين أن ينزل الهزيمة ببعض القوات الإسلامية التى كانت في ساحة المعركة أثناء ملاحقة ايلغازى لمشاة الفرنج عند حصن هاب . كذلك تمكن من أسر عدد من القوات الإسلامية . وهكذا ، فان هذا الإشتباك لم يسفر عن أى انتصار لأى من الجانبين ، بل تبادلا النصر والهزيمة مما يدل على اعتدال كفتى الميزان فى الصراع بينهما . وعاد ايلغازى ومعه قواته إلى حلب ، بينما بقى بلدوين وقواته في ميدان المعركة لمدة يومين بعد هذا الاشتباك (١٥ - ١٦ أغسطس / ٥ - ٦ جمادى الآخرة) قفل بعدها عائدا إلى أنطاكية [٢٧] . ثم قام بعد ذلك بارسال الصليب المقدس إلى بيت المقدس فى حراسة ايفرمار رئيس أساقفة قيسارية ومعه فرقة من الحرس الملكى . وعند وصوله استقبله سكان المدينة بحفاوة بالغة [٢٨] . ولعله يتضح مما سبق أن ايفرمار رئيس الأساقفة قد لعب دورا هاما فى هذا الاشتباك عند تل دانيث ، وتمكن من اثارة الصليبيين بحماسته وصموده في ميدان القتال على الرغم مما أصابه في المعركة ، وظل محتفظا بالصليب المقدس دون أن تلحقه أية اصابة .

وبعد مرور عدة سنوات عاد يوستاش جارنييه للظهور على مسرح الأحداث فى مملكة بيت المقدس في المؤتمر الذى انعقد في نابلس فى ٢٣ يناير ١١٢٠ م / ١٩ شوال ٥١٣ هـ . وكما ذكرنا من قبل ، فان عدم ظهوره في الفترة السابقة ، ربما يرجع إلى أنه لم تكن هناك أخطار مباشرة تهدد مملكة بيت المقدس وقتها ، وكانت السياسة التي اتبعها الملك بلدوين الثانى هى الدفاع عن كل من الرها

وأنطاكية ازاء الهجمات المستمرة من جانب المسلمين على هاتين الإمارتين . وهكذا ، فلم يكن باستطاعة الملك الصليبي الزام السادة الإقطاعيين في مملكته بالمشاركة في هذه السياسة خارج نطاق بيت المقدس . كما أن قوانين المملكة لم تكن تحقق دائما رغبات الملك الصليبي . على أية حال ، فان ظهور يوستاش جارنييه في مؤتمر نابلس يوضح مدى أهمية إقطاعية قيسارية في توجيه سياسة المملكة الصليبية في تلك الفترة . وقد أورد المؤرخ الصليبي وليم الصوري قائمة بأسماء الذين حضروا المؤتمر . وبنظرة مدققة لهذه القائمة ، يتضح مدى أهميتها . ففي ترتيب رجال الدين الذين حضروا هذا المؤتمر ، جاء ايفرمار رئيس أساقفة قيسارية بعد جريموند بطريرك بيت المقدس والملك الصليبي بلدوين الثاني . أما بالنسبة للرجال العلمانيين الذين حضروا المؤتمر ، فقد ورد يوستاش جارنييه سيد قيسارية وصيدا بعد باينز Payens الكندسطبل الملكي مباشرة [٢٩] . وأن دل هذا على شيء ، فإنما يدل على مكانة الإقطاعية وسيدها ورئيس أساقفتها بين بقية إقطاعيات المملكة الصليبية .

ومرة أخرى تظهر قيسارية مع قوات مملكة بيت المقدس في مواجهة طغتكين أتابك دمشق . فقد أراد طغتكين أن يستغل فرصة انشغال الملك الصليبي مابين أنطاكية وبيت المقدس ، فقام بمهاجمة منطقة طبرية وخربها . وكان بلدوين في ذلك الوقت في بيت المقدس ، فأمر باستدعاء رجال المدن الواقعة فيما بين عكا ويافا ، ومن بينها قيسارية بطبيعة الحال . وخرج ومعه هذه القوات في ٥ يوليو ١١٢١م/ ١٧ ربيع الآخر ٥١٥ هـ ، وعبر نهر الأردن لكي يهاجم طغتكين ولكن الأخير عنـدما علم بوصوله أسرع عائدا إلى دمشق متجنبا الدخول في اشتباك معه . ولم يرغب الملك الصليبي في أن يفوت هذه الفرصة ، فاتجه لحصار قلعة جرش Jarash التابعة لطغتكين وضرب الحصار حولها [٣٠] . وأذعنت حاميتها التي كانت تبلغ حوالي أربعين جنديا للصليبيين مقابل السماح لها بالخروج . وتمكن بلدوين من الاستيلاء على القلعة ، وتقرر بعد أن أخذ آراء من معه ضرورة تخريبها لتعذر تزويدها بما تحتاجه من مؤن وامدادات لو بقيت في حوزته . ثم قفل بعد ذلك عائدا إلى بيت المقدس [٣١] .

وظهرت مكانة يوستاش جارنييه سيد قيسارية وصيدا أثناء أسر الملك الصليبي بلدوين الثاني ، وذلك في ١٨ أبريل ١١٢٣م/ ١٩ صفر ٥١٧ م [٣٢] . وعندما وصلت هذه الأنباء إلى بيت المقدس ، ساد شعور عام بالحزن في المملكة الصليبية وأدرك الصليبيون مدى مايحيط بهم من أخطار نتيجة لذلك .كما أن هذه الاخبار لم تلبث أن وصلت إلى طغتكين أتابك دمشق وآق سنقر البرسقي صاحب حلب . فأرسلا إلى المأمون (٥١٥ - ٥١٩ هـ / ١١٢١ - ١١٢٥ م) وزير الخليفة الفاطمي الآمر (٤٩٠ - ٥٢٤ هـ / ١١٠٢ - ١١٣٠ م) يطلبان منه أن ينتهز هذه الفرصة المواتية ليهاجم الصليبيين بأسطوله وجيشه [٣٣] . ووصلت أنباء الاستعدادات الفاطمية إلى بيت المقدس ، فقام البطريرك جريموند بالدعوة لعقد اجتماع في عكا حضره رجال الدين ونبلاء المملكة لاختيار من ينوب عن الملك الصليبي الأسير . وبعد تداول مختلف الآراء ، تمت موافقة الجميع على اختيار يوستاش جارنييه سيد قيسارية وصيدا لكي يحل محل الملك الصليبي ، وذلك لأنه « رجل حكيم بالإضافة إلى خبرته في النواحي العسكرية وثروته الواسعة من أملاكه في قيسارية وصيدا وتوابعها » . ووافق الجميع على أن يعهد إليه بمسئوليات ادارة المملكة حتى يتم اطلاق سراح الملك بلدوين الثاني ، وأقسموا على إطاعة أوامره [٣٤] .

وفي تلك الأثناء تقدم الجيش الفاطمي إلى عسقلان بقيادة حسام الملك البرجمي ، وكانت الأوامر إلى القائد الفاطمي بأن « يلزم الثغر (عسقلان) ويلقى الفرنج عليه ولا يتعداه » [٣٥] . ولكن حسام الملك لم يتلزم بذلك ، وخرج إلى يافا محاولا الإستيلاء عليها . وظل يحاصرها خمسة أيام في الفترة من ٢٣ إلى ٢٨ مايو ١١٢٣ م / ٢٥ إلى ٣٠ ربيع الأول ٥١٧ هـ [٣٦] . وكاد أن ينجح في الاستيلاء على المدينة الصليبية بعد أن تمكن من نقب سورها . ولكن حامية المدينة استماتت في الدفاع عنها ، وفي نفس الوقت وصلت أنباء تقدم الصليبيين من قيسارية . وعندما علم القائد الفاطمي بذلك أسرع بالعودة صوب عسقلان . وكان يوستاش جارنييه قد جمع مايقرب من ثمانية آلاف من المقاتلين الصليبيين

عند قاقون .. Caco [٣٧] الواقعة فى اقطاعيته ، وكانت قوات قيسارية ضمن قوات المملكة الصليبية ، التي ضمت أيضا قوات من عكا وبيت المقدس . وبعد أن تجمعت كل هذه القوات عند قاقون اتجهت لانقاذ يافا من حصار الفاطميين . غير أن هؤلاء الأخيرين ما أن علموا بقدومهم حتى أسرعوا بفك الحصار . واستطاع يوستاش جارنييه أن يلحق بهم عند يبنى [٣٨] ، حيث اشتبك معهم فى ٢٩ مايو ١١٢٣ م / ٢ ربيع الآخر ٥١٧ هـ . يوستاش مستعدا للقتال ، إذ تقدم متخذا تشكيلا قتاليا وتمكن من انزال الهزيمة بالفاطميين « وقتل الراجل بأسره » [٣٩] ، أما من تبقى على قيد الحياة فقد لاذ بالفرار .

أما الأسطول الفاطمى فلم يكن أسعد حظا من الجيش البرى . إذ كان قد وصل إلى عكا حوالى أواخر مايو ١١٢٣ م / أوائل ربيع الثانى ٥١٧ هـ أسطول للبنادقة بقيادة دوق البندقية دومينيك ميخائيل ، وما أن علم بأنباء حصار الأسطول الفاطمى ، فأغرقوا جزءا منه واستولوا على عدد آخر وكان من بين القتلى قائد الأسطول الفاطمى نفسه ، وذلك نتيجة لغرق سفينته [٤٠] .

كانت هذه الهزيمة إضافة إلى سلسلة الهزائم التى سبق أن منيت بها الدولة الفاطمية على أيدى الصليبيين . وكان بوسع الفاطميين احراز النصر ، وذلك باعتراف المؤرخين الصليبيين أنفسهم . فقد كانت الحامية الصليبية فى يافا عندما حاصرها الفاطميون قليلة العدد ، حتى أن النساء الصليبيات شاركن فى الدفاع عن المدينة . ويضاف إلى ذلك ، عدم التزام حسام الملك قائد الجيش الفاطمى بالأوامر الصادرة إليه . فكان عليه أن يلاقى الفرنج عند عسقلان ، ولايدخل فى اشتباك مباشر معهم . ولكنه لم يلتزم بهذه الأوامر وخرج إلى يافا ، فكانت الكارثة التى لحقت به عند يبنى . يضاف إلى ذلك ، أن كلا من طغتكين وآقسنقر لم يقدما له المساعدات « فتخاذل عنه ملوك الشرق » [٤١] . ولازم سوء الحظ الأسطول الفاطمى ، بوصول الأسطول البندقى الضخم إلى الأراضى المقدسة . واستطاعته أن يباغت الأسطول الفاطمى منزلا به الهزيمة . وهكذا قدر لهذه المحاولة الفاطمية أن تفشل نتيجة لسوء التخطيط ، وعدم الالتزام بالأوامر ، وسوء الحظ .

أما عن دور يوستاش جارنييه سيد قيسارية وصيدا ونائب الملك الصليبي ، فقد تمكن من اثبات جدارته في قيادة الصليبيين واستغلال ما لديه من امكانيات . إذ قام بتجميع القوات الصليبية عند قاقون الواقعة على الطريق المؤدي إلى يافا . ومما لاشك فيه أن إقطاعية قيسارية قامت بامداد هذه القوات بما تحتاجه من المؤن . وهو دور يضاف إلى ماسبق أن قامت به في العلاقات السياسية مع المسلمين والتي لاتزال حتى هذه اللحظة تتسم بالعداء في أغلبها .

ولكن يوستاش جارنييه لم يهنأ طويلا بمنصب نائب الملك الصليبي ، إذ توفى في ١٥ يونيه ١١٢٣ م / ١٥ ربيع الآخر ٥١٧ هـ [٤٢] . وإذا أردنا تقييم الدور الذي لعبته إقطاعية قيسارية أثناء حكمه لها الذي أمتد حوالي ثلاثة عشر عاما ، يمكن القول أن دورها في احداث المملكة الصليبية لم يكن يقل بأي حال من الأحوال عما قامت به مدن وبارونيات المملكة الرئيسية . وكان وجود يوستاش جارنييه على رأس الإقطاعية اضافة هامة أخرى لأهمية الإقطاعية بين باقي الإقطاعيات الصليبية ، فقد بلغت اقامة هذا الرجل في الأراضي المقدسة مايزيد على ربع قرن ، منذ قدومه مع الحملة الصليبية الأولى وحتى وفاته عام ١١٢٣م/ ٥١٧ هـ . ولاشك أن هذا كله ترك أثره على هذا الرجل وأتاح له خبرة واسعة بأمور وأحوال المملكة الصليبية وجيرانها المسلمين .

تولى جوتييه جارنييه حكم إقطاعية قيسارية خلفا لوالده يوستاش . وظهر للمرة الأولى في الوثائق الصليبية وهو يحمل لقب « سيد قيسارية » Galterius dominus Caesareae في مارس ١١٢٨م/ ربيع الأول ٥٢٢ هـ . وظهر قبل ذلك مع أخيه يوستاش سيد صيدا وأمهما ايما Emma في عام ١١٢٣م/ ٥١٧ هـ . ويرى جون لامونت أن جوتييه حصل على الإقطاعية عقب وفاة أبيه ، من الناحية النظرية على الأقل في عام ١١٢٣ م / ٥١٧ هـ [٤٣] . وجمع جوتييه قيسارية وصيدا ، بعد وفاة أخيه يوستاش في عام ١١٣١ م / ٥٢٥ هـ . فقد تولى أمر الوصاية على جيرارد الذي خلف أباه يوستاش في صيدا . وظهر وهو يحمل لقب « سيد قيسارية وصيدا » Cesareae et Sydoniae dominus [٤٤].

وظل جوتييه وصيا على جيرارد سيد صيدا حتى عام ١١٣٥م/ ٥٣٠-٥٣١ هـ ، عندما ظهر فى احدى الوثائق التى ترجع إلى هذا العام موقعا باسم سيد قيسارية فقط [٤٥].

وفى عام ١١٣٢ م / ٥٢٧ هـ اضطربت الأوضاع الداخلية في مملكة بيت المقدس ، وذلك للمرة الأولى منذ تأسيسها . إذ كان لجوتييه جارنييه سيد قيسارية دور كبير ضد هيوكونت يافا وزوج أمه ايما [٤٦] . وترجع أسباب سوء العلاقة بين الرجلين إلى ما أشيع عن علاقة هيو بالملكة ميلسند Melissende زوجة فولك أوف انجو ملك بيت المقدس (١١٣١ - ١١٤٣م/٥٢٦ - ٥٣٨ هـ) مما جعل البعض ينظر إلى ايما بازدراء . ولذا فقد دفع الملك فولك بجوتييه لاتهام هيوكونت يافا بأنه يدبر مؤامرة لاغتيال الملك فى اجتماع عام لبارونات ونبلاء المملكة . ولكنه نفى الاتهام الذى وجه إليه ، فتقرر عقد مبارزة بينهما حسب التقاليد المتبعة فى مثل هذه الحالات ، وحددت المحكمة العليا فى بيت المقدس يوما لذلك . ولكن هيو لم يحضر فى اليوم المحدد للنزال ، ويبدو أنه شعر بأن هناك مؤامرة تدبر ضده فى الخفاء ، خاصة إذا علمنا أنه كان مشهورا بجرأته وغطرسته وعدم انصياعه لأوامر الملك . وكانت النتيجة أن أدين لعدم حضوره ، فتمادى فى عناده ، وترك يافا متجها إلى عسقلان طالبا مساعدة حاميتها الفاطمية ضد الملك الصليبى . وهنا يجب أن نذكر أن الخلافات التى ثارت بين الصليبيين فى الأراضى المقدســة عقب تأسيس مملكتهم واماراتهم بها بسنوات قلائل ، فى الوقت الذى بدأت فيه بوادر اليقظة الاسلامية بهدف توحيد منطقة الشرق الأدنى للوقوف فى وجه الدخلاء - كان لكل هذا أثره فى التجاء بعض القوى الصليبية إلى المسلمين للاستعانة بهم ضد بني جنسهم من اللاتين . على أية حال ، رحب العسقلانيون بذلك ، وخرجت مجموعة من الفرسان المسلمين فى صحبة هيو وأمتدت اغارتهم ضد الصليبيين حتى أرسوف . وأضحت خيانة هيو صريحة ، ولذلك تخلى رجاله عنه ، وتركوا يافا حيث انضموا إلى الملك الصليبى فولك . واتجه الملك مسرعا إلى يافا لمحاصرتها . وفى نفس الوقت تدخل وليم أوف

مسنيس William of Messines بطـريرك بيت المقدس فى أمر الصلح بين الرجلين . وبالفعل استطاع أن يتوصل إلى اتفاق بينهما ، تقرر على أثره أن يغادر هيو المملكة لمدة ثلاث سنوات . وبعد انقضاء هذه المدة يمكن أن يصرح له الملك بالعودة ثانية . أما الديون التى كانت على هيو ، فتقرر أن يتم تسديدها من ايرادات إقطاعيته فى يافا (٤٧) .

استغل الدماشقة فرصة هذا الاضطراب الذى وقع فى داخل المملكة الصليبية لأول مرة منذ انشائها ، وأغاروا على بانياس التابعة للفرنج فى غرة صفر٥٢٧ هـ/ ١٢ ديسمبر ١١٣٢ م ، واستطاعوا أن يستردوها فى الرابع من صفر ٥٢٧ هـ / ١٥ ديسمبر ١١٣٢ م . وعاد شمس الملوك اسماعيل إلى دمشق بعد أن نجح فى توجيه هذه الضربة للصليبيين . وكانت انباء اغارة الدماشقة على بانياس قد وصلت إلى فولك ، فحاول الخروج لانقاذ المدنية . غير أنه علم بسقوطها وقتل العديد من الصليبيين ، بالإضافة لوقوع من تبقى أسرى فى يد المسلمين . وأدرك فولك عدم جدوى خروجه إلى بانياس ، فتوقف عن ذلك (٤٨) .

يتضح مما سبق أن دور اقطاعية قيسارية فى الاحداث التى كانت منطقة الشرق الأدنى مسرحا لها كان يتوقف على مدى علاقة سيدها بملك بيت المقدس ، وعلى الظروف والأوضاع السائدة فى المنطقة سـواء بالنسبة للمسلمين أو الصليبيين . وعلى الرغم من أن جوتييه جارنييه قد وقف هذا الموقف المعادى لهيوكونت يافا ، فقد يبدو للوهلة الأولى أنه على علاقة طيبة بالملك الصليبى فولك ولكن على العكس من ذلك ، فلم يشهد جوتييه على أى من وثائق أو أحكام هذا الملك إلا مرة واحدة فقط . وكان ذلك فى وثيقة مؤرخة بعام ١١٣٨م / ٥٣٢ - ٥٣٣ هـ (٤٩) . كما أنه لم يكن المقربين للملك بلدوين الثالث (١١٤٣- ١١٦٢ م / ٥٣٨ - ٥٥٨ هـ) فلم يشهد أيضا إلا على حكم واحد فقط لهذا الملك وذلك فى عام ١١٤٧ م / ٥٤٢ هـ (٥٠) .

ولم يكن ذلك يعنى أن جوتييه سيد قيسارية قد أحجم عن المشاركة فى

سياسة المملكة الصليبية أو الدفاع عنها ضد أى خطر تتعرض له . فقد ظهر ومعه بلدوين رئيس أساقفتها فى المؤتمر اللذى انعقد في عكا فى ٢٤ يونيو ١١٤٨م/ ٤ صفر ٥٤٣ هـ بهدف مناقشة الوجهة التى ستتجه إليها الحملة الصليبية الثانية بعد أن أختلفت الآراء حول توجيهها لاسترداد الرها أو استعادة بعرين كما كان يرغب ريموند أمير طرابلس [٥١] . وليس من أهداف هذا البحث استعراض ماحدث للحملة الصليبية الثانية فى كل من أنطاكية وطرابلس ، ومحاولات أميرى هاتين الامارتين الاستفادة من الحملة ، فهذا خارج عن نطاقه . وانما اللذى يعنينا هو مناقشة ماحدث فى المؤتمر الذي انعقد فى عكا ، وبحضور كل القوى الصليبية فى المملكة من رجال الدين والعلمانيين ، بالاضافة إلى لويس السابع الملك الفرنسى ورجاله وكونراد الثالث الامبراطور الألمانى ومن معه . وقد تمكن لاتين بيت المقدس من اقناع المؤتمر بتوجيه الحملة إلى دمشق للاستيلاء عليها واقامة إمارة لاتينية بها تضاف إلى أملاك الصليبيين السابقة . والواقع أن هذا القرار الذى جانبه التوفيق ، يوضح موقف هؤلاء الذين استطابوا الحياة في الشرق وأصبح كل همهم هو توسيع رقعة المملكة ، فضلا عن الحصول علي الكسب المادى العاجل دون مراعاة لهؤلاء الذين قدموا من الغرب لنصرتهم والذين كانت تملأهم الغيرة والحماسة للقتال ، بينما هم كانت قد فترت حماستهم للحرب والنزال [٥٢] . ويرجع الخطأ فى قرار مهاجمة دمشق إلى أن معين الدين أنُر الحاكم الفعلى لدمشق ، كان هو الشخص الوحيد الذى تجاسر علي الوقوف أمام نور الدين محمود . وكذلك فان مهاجمة الحملة الصليبية الثانية لدمشق ، أدت إلى سقوطها بطريق غير مباشر فى يد نور الدين محمــــود بعد ذلك ، مما سيكون له أبعــاده الخطيرة فى تاريخ الصليبيين فى المنطقة [٥٣] .

وبالرغم من ذلك ، فقد تم حشد كل فرسان المملكة ومشاتها للتوجه إلى دمشق يتقدمهم فولشر بطريرك بيت المقدس ، الذى كان يحمل الصليب المقدس . وتم تقسيم القوات الصليبية إلى ثلاثة أقسام ، حيث كان بلدوين الثالث معه باروناته ونبلاؤه فى المقدمة وكانت مهمتهم تمهيد الطريق أمام بقية قوات الحملة .

أما القلب فقد كان يتألف من لويس السابع وقواته ،وكان عليهم تقديم المساعدة لمقدمة الجيش الصليبي . وكان الامبراطور الألماني كونراد الثالث في المؤخرة حيث عهد إليه بحماية الجيش من أي هجوم قد يقع من الخلف . وكانت الخطة التي تم الاتفاق عليها هي أن يحكم الصليبيون حصارهم حول دمشق وذلك بعد تخريب الحدائق والحقول المحيطة بها أولا . ثم تتقدم القوات الصليبية للاستيلاء على المدينة نفسها بعد ذلك . وتوجه الصليبيون في ٦ ربيع الأول ٥٤٣ هـ / ٢٦ يوليو ١١٤٨ م لحصار دمشق . وأخذوا يهاجمون المدينة من الجهة الغربية التي أسماها المؤرخون المسلمون « الميدان الأخضر » . وكان ملك بيت المقدس ونبلاؤه يحاصرون المدينة من الجهة الشرقية . وأمام استماتة المسلمين في الدفاع عن هذه الجهة من المدينة عند الميدان الأخضر ، ونصيحة بلدوين الثالث لكل من كونراد ولويس بسحب قواتهما إلى الجهة الشرقية ، اتجه العاهلان إلى هذا الموقع الجديد. ولم تكن خطوة موفقة من جانب الصليبيين نظرا لعدم توافر الأقوات أو المياه عند هذا الموقع . وكان معين الدين أنر يستخدم سياسة الترهيب والترغيب مع الصليبيين ، وذلك أنه كان قد أرسل في طلب المساعدة من سيف الدين غازي صاحب الموصل ، ونور الدين محمود صاحب حلب ، عندما رأى كثرة الفرنج ، وخشي أن تسقط دمشق في أيديهم ، وبالفعل وصلا إلى حمص وأرسلا يطلبان منه دخول دمشق حتى يساعداه في مواجهة الفرنج ، « فان انهزمت دخلت أنا وعسكري البلد ، واحتمينا به وأن ظفرنا فالبلد لكم لاينازعكم فيه أحد »[٥٤] . ولكن أنر كان يعلم جيداً نية سيف الدين ونور الدين محمود ، ولذا فقد أخذ يماطلهماانتظارا لما تسفر عنه الأحداث . وأرسل يخوف الإفرنج من وصولهما وحصولهما على دمشق ، لأنه « لن يبقى لكم معه مقام بالشام »[٥٥] . وفي نفس الوقت لجأ إلى لاتين بيت المقدس يعرض عليهم تسليم بانياس في مقابل فك حصارهم عن دمشق ، « فرأى معين الدين من المصلحة بقاء دمشق ببانياس »[٥٦] . ولاشك أن أنر كانت تهمه مصالحه في المقام الأول ولذلك لم يكن لديه أي مانع من الاتصال بالجانبين الصليبي والإسلامي في نفس الوقت للفوز بما يمكن الفوز به على حسابهما . وازاء هذا العرض المغري وافق افرنج الساحل على ذلك

حيث تمكنوا من إقناع الامبراطور الألمانى والملك الفرنسى بالانسحاب (٥٧) . وإذا أمعنا النظر فى أحداث الحملة الصليبية الثانية نجد أن عوامل فشلها قد سبقتها فاختيار دمشق هدفا للحملة كان قرارا خاطئا . هذا ، بالإضافة إلى عدم كفاية المؤن ونقص أدوات الحصار اللازمة للاستيلاء على هذه المدينة الداخلية الحصينة . يضاف إلى ذلك ، عدم ملاءمة الجو فى هذا الشهر من السنة للقتال بالنسبة لفرنج خاصة القادمين من الغرب . وأخيرا فان لاتين بيت المقدس لم يخلصوا فى القتال عندما لوح أنهم أثر باعطائهم بانياس . وكان هذا العامل الأخير دافعا لاتهام المؤرخين اللاتين والسريان مثل وليم الصورى وميخائيل السريانى لإفرنج بيت المقدس بقبولهم رشوة قدرها مائتى الف دينار ، واتضح بعد ذلك انها مزورة حسب روايتهما (٥٨) . وعلى الرغم من أن المصادر الغربية المعاصرة لموضوع البحث والمتأخرة عنه زمنيا لم تتحدث بالتفصيل عن دور جوتييه سيد الاقطاعية وبلدوين رئيس أساقفتها أثناء حصار دمشق ، فان اشارة المؤرخ الصليبى وليم الصورى الخاصة بأن كل قوى المملكة قد تم حشدها سواء من الفرسان أو المشاه توضح بجلاء اشتراكهما الفعلى فى الحملة (٥٩) .

على أية حال ، كان آخر ظهور لجوتييه سيد قيسارية فى الوثائق الصليبية فى عام ١١٤٩ م / ٥٤٤ هـ . فقد ظهر ومعه ابنه يوستاش راهب جماعة القديس لعازر (٦٠) ، حيث شهدا على حكم لجون صاحب بيسان ويبدوا أن بيسان كانت خاضعة له فى ذلك الوقت (٦١) . وعثر على خاتم جوتييه على وثيقتين قام بختمهما بخاتمه . وكان هذا الخاتم عبارة عن نقش له يمتطى جـواده وكتب أسفله « ختم جوتييه جارنييه » Sigullum Galterii Granerii ، وعلى الوجه الآخر رسم لقلعة مربعة كتب أسفلها « مدينة قيسارية » Cesarea Civitas (٦٢) .

ترك جوتييه اثنين من الأبناء هما : يوستاش وهيو . ويبدو أن يوستاش راهب القديس لعازر (١١٤٩ - ١١٥٤ م / ٥٤٤ - ٥٤٩ هـ) كان هو الابن الأكبر لجوتييه ، فقد سبق أن ظهر مع والده فى حكم جون صاحب بيسان . ويبدو أن يوستاش قد أصيب بمرض الجذام فى سن مبكرة ، فانضـــم إلى جماعة القديس

لعازر التى كان أعضاؤها مصابين بهذا المرض . ولذلك فقد تولى أخوه هيو الحكم فى الاقطاعية بدلا منه ، وكان أول ظهور له فى الوثائق الصليبية فى عام ١١٥٤م/ ٥٤٩ هـ (٦٣) .

وعلى الرغم من أن يوستاش سيد الإقطاعيــة كان مصابا بهذا المرض الخطير ، الذى منعه عن المشاركة فى حادث له أهميته الكبيرة فى تاريخ الصليبيين فى الشرق الأدنى ، وهو استيلاء الفرنج على مدينة عسقلان الفاطمية آخر المعاقل التى ظلت تقاوم الصليبيين أكثر من نصف قرن . وأبت إقطاعية قيسارية إلا أن تشارك فى الاستيلاء على عسقلان وذلك فى عام ١١٥٣ م / ٥٤٨ هـ . وكانت الدولة الفاطمية فى تلك الفترة تعانى من الاضطراب الشديد فى أمورها الداخلية .فقد قتل الوزير الفاطمى العادل بن السلار فى المحرم ٥٤٨ هـ/ أبريل ١١٥٣ م (٦٤) . وبينما تجرى هذه الأحداث الداخلية فى مصر ، كان الصليبيون يحاصرون عسقلان منذ يناير ١١٥٣ م / شوال ٥٤٧ هـ . وتقدم أسطول صليبى مكون من خمس عشرة سفينة بقيادة جيرارد سيد صيدا لكى يحاصرها من جهة البحــر وأرسلت حامية عسقلان فى طلب المساعدة من الفاطميين . ولم تصل سوي المساعدة البحرية التى كان الوزير الفاطمى العادل بن السلار قد أعدها قبل اغتياله . وبالفعل لم يتمكن جيرارد من مواجهة الاسطول الفاطمى ، وفر هاربا عند رؤيته له ، وتمكن الفاطميون من الظفر بعدة مراكب من الفرنج . غير أن الصليبيين استمروا فى حصارهم لعسقلان من جهة البر ، على الرغم من فرار الأسطول الصليبى . وكان بوسع نور الدين محمود ومجير الدين صاحب دمشق أن ينجدا عسقلان بعد أن أرسلت فى طلب المساعدة منهما . وخرج القائدان من حلب فى ٢٣ محرم ٥٤٨ هـ / ٢٣ أبريل ١١٥٣ م لانقاذ المدينة ، وعند بانياس اختلفا حول مهاجمة بانياس أو التقدم إلى عسقلان . ونتيجة لذلك عادا فى ربيع الأول ٥٤٨ هـ / مايو ١١٥٣ م دون أن يساعدا عروس الشام البائســـــة (٦٥) .

ولم ييأس الملك بلدوين الثالث من حصاره لعسقلان ، وكان معه بلدوين رئيس أساقفة قيسارية بالاضافة إلى بقية قوات الصليبيين (٦٦) . وبذل الفرنج

محاولات مستميتة للاستيلاء عليها . وكادت هذه المحاولات أن تفشل لولا وقوع الخلاف بين أهل عسقلان . فقد أدعت كل طائفة انها أحرزت النصر على الصليبيين ، وذلك عندما نجحوا فى رد الهجوم الصليبى الأول على المدينة . وتطور الخـــلاف إلى حرب أهلية بين الأهالى ، فاستغل الصليبيون الفرصة وتمكنوا من دخول عســقلان فى ١٩ أغسطس ١١٥٣ م / ٢٦ جمادى الأولى ٥٤٨ هـ (٦٧) . وبذلك يكون قد تم للصليبيين الاستيلاء على كل الساحل الفلسطينى من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال . وعلى الرغم من أن المؤرخ الصليبى وليم الصورى يرى أن الاستيلاء على عسقلان قد عوض فشل الحملة الصليبية الثانية ، فان ذلك سوف يؤدى إلى أن يوجه الصليبيون سياستهم إلى محاولتهم هدفها الاستيلاء على الدولة الفاطمية ، مما سيعود فى النهاية بالطامة الكبرى على المملكة اللاتينية نفسها (٦٨) .

وبخلاف سادة الإقطاعية السابقين ، كان هيو سيدها الجديد (١١٥٤-١١٦٨م / ٥٤٩ - ٥٦٣ هـ) قد توثقت علاقته بالبلاط فى بيت المقدس ، وبرز بين نبلاء المملكة الآخرين مساهما بدور هام فى سياسة المملكة الصليبية . ويؤيد ذلك أنه شهد تسعة أحكام للملك بلدوين الثالث ، ونفس العدد للملك عمورى ، وحكما واحدا فقط للملكة ميلسند (٦٩) . ووصفه وليم الصورى بأنه « على الرغم من صغر سنه فانه كان حكيما ويتميز بفطنة تفوق عمره » (٧٠) . وساهم هيو بدور فعال فى تنفيذ سياسة الملك الصليبى عمورى (١١٦٢ - ١١٧٤م/ ٥٧٠ هـ) . فقد بدأ الصراع حول مصر بينه وبين نور الدين محمود ، خاصة بعد أن تمكن الأخير من ضم دمشق إلى أملاكه فى عام ١١٥٤ م / ٥٤٩ هـ (٧١) . وساهمت عدة عوامل فى توجيه السياسة الصليبية هذه الوجهة الجديدة ، منها أن عمورى كان شابا تدفعه حمية الشباب بخلاف طموحه فى توسيع رقعة المملكة الصليبية . كذلك ، كان لوجوده كونتا ليافا وعسقلان أثره على الاهتمام بمصر ، ومعرفته بسوء الأحوال فيها فى تلك الفترة (٧٢) .

فقد اضطربت أحوال الدولة الفاطمية اضطرابا شديدا . وكان على العرش

آنذاك الخليفة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين (٥٥٥ - ٥٦٧ هـ / ١١٦٠-١١٧١م) ، وكان « مراهقا قارب البلوغ » [٧٣] . أما الوزير آنذاك فقد كان طلائع بن رزيك الذى استبد بشؤن الدولة دون الخليفة ، فأخذ العاضد يدبر له مؤامرة انتهت بقتله في سبتمبر ١١٦١ م / رمضان ٥٥٦ هـ . وتولى الوزارة من بعده ابنه العادل بن طلائع . غير أن الأمور لم تقف عند هذا الحد ، إذ لم تمض سوى خمسة أشهر على تولية الوزارة حتى خرج عليه شاور بن مجير السعدى حاكم قوص واستولى على الوزارة وذلك فى صفر ٥٥٨ هـ / يناير ١١٦٣ م . وسرعان ما بدأ الصراع بين كل من شاور وأبى الأشبال ضرغام بن عامر ، وكان من نتائجه بداية الصراع المرير بين نور الدين محمود وعموري حول ملك مصر . فكل منهما يسعى إلى ضمها إليه قبل أن يستأثر بها خصمه . فلو استولى عليها الصليبيون لأحاطوا بنور الدين من الشمال والغرب والجنوب فضلا عن معاقلهم في الحوض الشرقى للبحر المتوسط ، وبذلك يفوتون عليه فرصة استكمال توحيد الجبهة الإسلامية فى المنطقة التى تشكل خطرا جسيما عليهم وعلى جهودهم . ولو امتلكها نور الدين لاستكمل بذلك تكتيل الجبهة الاسلامية فى المشرق ولأطبق على الفرنج من الشمال والجنوب مع العمل على تضييق الخناق عليهم إلي أن يتم له طردهم [٧٤] .

على أية حال ، انتهت المحاولة الأولى من عمورى للتدخل في مصر بالفشل بعد أن أرغمه ضرغام علي العودة وذلك فى أواخر ١١٦٣ م / ٥٥٨ هـ/ وتجدد الصراع مرة أخرى فى عام ١١٦٤ م / ٥٥٩ هـ حول مصر . وكان شاور قد لجأ إلى نور الدين محمود طالبا منه المعاونة لكى يعود إلى الوزارة بعد أن تمكن ضرغام من طرده منها . وبعد تردد ، وأمام ماعرضه عليه شاور من أن يأخذ من مصر مايشاء ، بالإضافة إلى ثلث دخلها ، قبل نور الدين محمود أن يرسل أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب . وفى نفس الوقت ، لجأ ضرغام إلى الجانب الآخر ، ونقصد به الملك عمورى . ورحب عمورى بذلك خاصة عندما عرض عليه أن تكون مصر تابعة له . وانتهت هذه المحاولة بعودة شيركوه

بعد أن تعهد شاور بدفع ثلاثين ألف دينار له . أما الملك عمورى فقد كان ضغط نور الدين على الصليبيين فى بلاد الشام له أثره فى سرعة عودته إلى الشام . وكانت هذه هى سياسة المسلمين بصفة عامة تجاه الفرنج فى عصر الحروب الصليبية كي يشغلوهم عما هم مقبلون عليه (٧٥) .

لم يكن ذلك يعنى أن الصراع بين نور الدين وعمورى قد توقف عند هذا الحد . إذ أخذ كل منهما يعد العدة لمحاولة الاستيلاء على مصر . وبالفعل تجدد هذا الصراع مرة أخرى وذلك فى عام ١١٦٧م / ٥٦٢ هـ . وكان سبب مسير شيركوه فى هذه المرة هو أنه « لايزال يتحدث بها ويقصدها ، وكان عنده من الحرص على ذلك كثير » (٧٦) ، ولكن المؤرخ ابن الجوزى ينفرد برأى آخر فى سبب مسير شيركوه هذه المرة إلى مصر ، وهو أن الخليفة العاضد أرسل إلى نور الدين يستنجد به ضد شاور (٧٧) . وعلم شاوربذلك ، فأرسل هو الآخر يطلب من الصليبى عمورى انجاده . وعرض عليه تجديد الاتفاقيات القديمة ، وتقديم مبلغ قدره أربعمائة قطعة من الذهب يسدد نصفها فورا ، والباقى بعد تنفيذ الاتفاق . كما وعد شاور بتقديم مبلغ ضخم للملك وباروناته . وفي مقابل ذلك تعهد الملك بأن « يضمن من جانبه ، وبصدق واخلاص ، ودون أية نية سيئة ، بألا يغـــادر مصر حتى يقضى على جيش شيركوه تماما ، أو أن يطرده من داخل الحـــدود (الفاطمية) » (٧٨) . وتمت الموافقة على عقد هذا الاتفاق وذلك بأن مد الملك الصليبى يده اليمنى لممثل شاور للتصديق على الاتفاق . أما عمورى فقد قام بارسال سفارة مكونة من هيو سيد قيسارية وجوفرى فولشر فارس الداوية للحصول على تصديق الخليفة الفاطمى العاضد على الاتفاق . واستطاع هيو بما لديه من قوة الاقناع وفطنته التى تفوق عمره أن يقنع الخليفة بالتصديق علي المعاهدة . وقام الخليفة الفاطمى بمصافحة هيو وأقسم على تنفيذ المعاهدة قائلا له « بكل اخلاص ، ودون أية نية للغدر » (٧٩) . ولم يكن بوسع الخليفة الفاطمى إلا أن يوافق على هذه المعاهدة ، فلم يكن له حول ولا قوة أمام شاور وزيره القوى . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان هذه المعاهدة توضح بجلاء استعداد الدولة

الفاطمية الشيعية ، والتى كانت تعانى من الاضطراب الشديد سواء فى أمورها الداخلية أو الخارجية ، للتحالف مع الصليبيين أمام ذلك الخطر السنى الذى كان يتهددها . وكان الفواطم يدركون تماما أن نور الدين شيركوه لن يفوتا هذه الفرصة للقضاء على دولتهم لكى يحلوا محلها في مصر بما فى هذا القطر من امكانيات بشرية واقتصادية ، فضلا عن موقعه الاستراتيجى الهام .

ولم يقتصر دور هيو فى هذه الحملة على اتمام الاتفاق فقط مع الفاطميين ، وانما لعب أيضا دوراً هاماً فيها . ورد فى الوثائق الصليبية أنه قام ببيع بعض القلاع فى إقطاعيته فى عام ١١٦٦م / ٥٦١ هـ لجماعة الفرسان الاسبتارية مقابل ألفى بيزنط . وباع قلعة زخرى هى خربة الدفوس Fessia لجماعة الضريح المقدس مقابل أربعمائة بيزنط (٨٠) . ويبدو أنه قام ببيع هذه القلاع لحاجته للأموال للمشاركة فى الحملة .

خـرج شيركوه وصلاح الدين يوسف إلى مصر فى منتصف ربيع الأول ٥٦٢ هـ / أوائل يناير ١١٦٧م (٨١) . وتقدم عمورى فى محاولة لاعتراض شيركوه قبل أن يجتاز المنطقة المجاورة لغزة متجها إلى مصر . غير أن الملك الصليبى وصل متأخرا ووجد أن شيركوه قد نجح فى اختراق المنطقة والاتجاه إلى مصر ، فعاد عمورى إلى عسقلان ريثما يتم له تجميع بقية قواته للحاق بشيركوه فى مصر . وعندما أتم الملك تنظيم قواته ، غادر عسقلان فى ٣٠ يناير ١١٦٧م/ ٦ ربيع الآخر ٥٦٢ هـ وكان شيركوه قد عبر النيل إلى البر الغربى حيث عسكر أمام الجيزة لمدة تزيد على الخمسين يوما . ووصل عمورى وقواته حيث انضموا إلى قوات الفاطميين بقيادة شاور ، وعبروا خلف قوات شيركوه وتراجع شيركوه إلى الجنوب حتى وصل إلى موقع يعرف بالبابين جنوب المنيا (٨٢) . ودارت المعركة بين الجانبين فى ١٨ مارس / ٢٥ جمادى الأولى . وعندما رأى شيركوه كثرة أعداد الفاطميين والصليبيين ، استشار رجاله فأشار عليه البعض بعبور النيل والعودة إلى الشام ، ولكن مملوكا يقال له شرف الدين برغش عارض ذلك وأشار عليه بالصمود وأيده في ذلك صلاح الدين . وكثرت الأصوات الموافقة

على ذلك الرأى . وقام شيركوه بتقسيم قواته ، فوضع صلاح الدين فى القلب ، وذلك لعلمه بأن الفرنج اعتادوا أن يهاجموا القلب . ووقف هو فى الميمنه ومعه شجعان أمرائه ، وتم الاتفاق على أن يتظاهر صلاح الدين بالارتداد عند هجوم الفرنج عليه . وعندما ينشغل الصليبيون بجمع الغنائم ، يقوم صلاح الدين بمهاجمتهم مرة أخرى ، وينقض عليهم شيركوه ومن معه من شجعانه (٨٣) .

وبالفعل حدث ما توقع شيركوه ، فحمل الفرنج علي القلب محاولين توجيه ضربة قوية إليه ، وارتد صلاح الدين حسب الخطة الموضوعة . واعتقد الفرنج أنهم أحرزوا النصر ، فانشغلوا بنهب أثقال شيركوه التى كانت فى الخلف . وكان هيو سيد قيسارية ومعه رجاله ضمن هذه القوات التى قامت بمهاجمة صلاح الدين . ولكن رجال هيو تخلوا عنه فيما يبدو لجمع الغنيمة غير أن صلاح الدين عاد مرة أخرى وقام بمهاجمة الصليبيين فوقع هيو أسيرا ومعه عدد كبير من رجاله ، بخلاف من سقط قتيلا (٨٤) . ولكن هذه المعركة لم تحسم الصراع بين الطرفين ، وقام شيركوه بجمع قواته متجها إلي الاسكندرية وذلك فى أواخر جمـــادى الأولى ٥٦٢ هـ / أواخر مارس ١١٦٧ م (٨٥) .أما عمورى فقد قام هو الآخر بلم شمل قواته التى كانت قد تفرقت فى أنحاء المنطقة ومعهم قوات شاور ، وتقدموا ناحية القاهرة . وهناك قام الملك الصليبى بحصر قواته فوجد أن مائة فارس قد فقدوا فى هذه المعركة ، بينما كانت خسائر شيركوه قد بلغت ألفا وخمسمائة (٨٦) .

توجه شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين الى الاسكندرية حيث سلمها لهما أهلها وذلك لميلهم إلى مذهب السنة وكراهيتهم لمذهب الفاطميين (٨٧) . وعاد شيركوه إلى الصعيد تاركا ابن أخيه فى الاسكندرية ، وذلك لكى يحصل علي الأموال اللازمة من هناك ويعود إليه مرة أخرى . وعلم الصليبيون وشاور بذلك ، فاتجهوا لحصار الاسكندرية . وظل الحصار لمدة تزيد على ثلاثة أشهر (رجب - رمضان / مايو - يوليو) . وأخذ صلاح الدين يعانى من ذلك داخل المدينة ، وأرسل إلى عمه شيركوه طالبا منه المساعدة فى فك الحصار عنه . وبلغت أنباء الحصار إلى شيركوه ، فاتجه مسرعا إلي القاهرة لكى يضغط علي شاور

والصليبيين وذلك فى شوال ٥٦٢ هـ / يوليو ١١٦٧ م . ويبدو أن النجدة التى وصلت إلى الصليبيين عند الإسكندرية وعلى رأسها فردريك أسقف صور ، قد حملت أنباء إغارات نور الدين محمود على المعاقل . والقلاع الصليبية فى بلاد الشام [٨٨] . فأبدى الملك الصليبى استعداده للدخول فى مفاوضات الصلح كما أن شيركوه قد أدرك من جانبه هو الآخر مدى ما يعانيه ابن أخيه صلاح الدين فى الاسكندرية ، فأبدى هو الآخر استعداده للصلح . وتختلف المصادر العربية والصليبية حول من بدأ فى طلب الصلح . فبينما يذكر وليم الصورى أن شيركوه طلب من هيو سيد قيسارية ، الذى كان أسيرا لديه منذ موقعة البابين السابقة ، أن يقوم بدور الوسيط فى مفاوضات الصلح لأنه على حد قوله « أمير عظيم ذو مرتبة عظيمة ، وتتمتع بتأثير بالغ بين شعبك ، وإذا ما أتيحت لى فرصة الاختيار ، فاننى لا أفضل أن أبوح بسر من أسرارى أو أضع ثقتى فى أى من البارونات ... » بعد هذا الثناء طلب منه أن يكون وسيط السلام مع عمورى ملك بيت المقدس ، بما يتمتع به من حظوة لدى الملك الصليبى . وعرض شيركوه اطلاق سراح الأسرى الصليبيين فى مقابل رفع الحصار عن الإسكندرية واطلاق سراح من بها من المسلمين . وكذلك أبدى استعداده للرحيل عندما يتلقى ضمانات من الملك الصليبى بأنه لن يعانى من مضايقات من الصليبيين أثناء رحيله [٨٩] . ويستكمل هيو روايته للمؤرخ الصليبى وليم الصورى بأنه رفض أن يقوم بهذا الدور فى بادىء الأمر حتى لايعتقد البعض أنه يسعى لاتمام عقد هذه الاتفاقية من أجل مصلحته الشخصية واطلاق سراحه . واقترح علي شيركوه أن يوفد أرنولف صاحب تل باشر للقيام بهذه المهمة لدى الملك الصليبى وبالفعل قام أرنولف بمقابلة عموري ، وأمام مجلس البارونات عرضت هذه المقترحات بحضور شاور الوزير الفاطمي ، وتمت الموافقة عليها . وهنا يظهر هيو سيد قيسارية في هذه المرحلة النهائية من المفاوضات لكى يقوم بوضع اللمسات الأخيرة على المعاهدة [٩٠] .

أما رواية المصادر العربية عن مفاوضات الصلح فقد اختلفت بعض الشيء

عما رواه وليم الصوري . فذكرت هذه المصادر أن شاور هو الذى طلب من شيركوه ، وعرض شروط الصلح السابقة التي أوردها وليم الصوري - مع اختلاف يسير . وانفرد المؤرخ ابن أيبك بذكر أن العاضد طلب اطلاق سراح هيو صاحب قيسارية المأسور ومن معه ، ورفع الحصار عن القاهرة في مقابل فك الحصار عن الاسكندرية وخروج صلاح الدين منها . كما تم الاتفاق على تعويض شيركوه بمبلغ خمسين ألف دينار ، وألا يقيم الفرنج في البلاد ، ولا يتملكوا منها قرية واحدة (٩١) .

وبالفعل دخل شاور وعمورى الإسكندرية فى منتصف شوال ٥٦٢ هـ / أوائل أغسطس ١١٦٧ م ثم اتجه شيركوه ابن أخيه صلاح الدين عائدين إلى الشام حيث وصلا دمشق فى ١٢ ذى القعدة ٥٦٢ هـ / ٣٠ أغسطس ١١٦٧ م (٩٢) . وأما الملك الصليبى عمـــــورى فقد عاد إلى عسقلان فى ٢١ أغسطس / ٣ ذى القعدة ، وذلك بعد أن اتفق مع شاور على أن يكون لهم بالقاهرة شحنة وأن تكون أبوابها بأيدى فرسانهم وذلك حتى يمتنع نور الدين عن انفاذ عساكر إليها مرة أخرى (٩٣) .

وبنظرة فاحصة إلى هذه الحملة التى قام بها الملك الصليبى عمورى ضد مصر ، يتضح بجلاء الدور الهام الذى أسهم به هيو سيد قيسارية . فقد استعد استعدادا خاصا للمشاركة فيها ، عندما قام ببيع بعض قلاعه نظير الحصول على الأموال اللازمة التى تمكنه من تجهيز فرسانه وجنوده . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى استطاع أن يتم مع الخليفة الفاطمى العاضد الاتفاق الى وفّر النفقات اللازمة للحملة ، سواء بالنسبة للجيش الصليبى أو بالنسبة للملك وباروناته . وهذا جانب جديد من جوانب اسهام الإقطاعية فى العلاقات السياسية مع المسلمين ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل شارك هيو بقواته في الحملة نفسها ، وانتهى الأمر بوقوعه أسيرا فى موقعة البابين . وأخيرا ، اسهم فى اتمام عملية الصلح مع شيركوه عندما قام بوضع اللمسات النهائية معه في اتفاقية الصلح التى انتهت باطلاق سراحه وعودته إلى إقطاعيته فى بلاد الشام .

وعقب عودته إلى قيسارية لم يظهر هيو في الوثائق الصليبية إلا فى مايو ١١٦٨ م / شعبان ٥٦٣ هـ ، وكانت هذه آخر مرة يظهر فيها هيو حيث شعد على حكم للملك عمورى [٩٤] . وعقب هذا العام وحتى عام ١١٧٤ م / ٥٦٩ هـ لم ترد أية اشارة فى الوثائق الصليبية عمن كان سيدا للإقطاعية في تلك الفترة [٩٥] .

ولعل جاى سيد الإقطاعية (١١٧٤ - ١١٧٦ م / ٥٦٩ - ٥٧٢ هـ) ابن هيو، لم يكن قد بلغ سن الرشد بعد ، ولذلك لم يظهر في الوثائق الصليبية فى هذه الفترة السابقة (١١٦٨ - ١١٧٤م / ٥٦٣ - ٥٦٩ هـ) . لكن ذلك لايعنى أن الإقطاعية توقفت خلال تلك الفترة عن المساهمة فى أحداث المملكة الصليبية . فقد ظهر هرنيسيوس .... Hernesius رئيس أساقفتها لكي يقوم بهذا الدور . وظهر هذا واضحا عندما اختاره الملك عمورى لكى يكون على رأس السفارة المرسلة للغـــرب الأوروبى لتوضيح مدى خطورة الأوضـاع التى آلت إليها أحوال الصليبيين في المنطقة ، ومدى الأخطار التى تحيط بهم بعد نجاح شيركوه وصلاح الدين فى توطيد أقدامهما فى مصر منذ عام ١١٦٩ م / ٥٦٤ هـ . وباجماع آراء الصليبيين ، تم اختيار هرنيسيوس ومعه وليم أسقف عكا للقيـام بهذه المهمة ، « وكانا رجلين ذوى رجاحة في العقل وقوة فى الاقنـاع » . وبالفعل أبحـــرا بعد أن حملا معهما رســائل إلى ملوك أوروبا ونبلائها المشهورين . ولكن بعد ثلاثة أيام من ابحارهما هبت عاصفة قوية على السفينة التى تقلهما ، فحطمتها ولجا الرجلان بأعجوبة [٩٦] . ولم يطل العمر بهرنيسيوس بعد فشل هذه البعثة التي كان قد خرج على رأسها ، إذ مات في عام ١١٧٣ م / ٥٦٨ - ٥٦٩ هـ [٩٧] .

وكانت أول اشارة ترد فى الوثائق الصليبية عن جاى سيد الإقطاعية فى عام ١١٧٤ م / ٥٦٩ - ٥٧٠ هـ ، حيث شهد على حكم للملك عمورى موقعا باسـم « سيد قيسارية » Caesareae dominus ثم عاد وظهر مرة ثانية فى عام ١١٧٦م/ ٥٧٢ هـ مع مجموعة بارونات المملكة الصليبية [٩٨] .

وعلى الرغم من عدم وجود اشارات صريحة إلى الدور الذى قام به جاى فى

تلك الفترة ، فاننا لانستطيع أن تتصور أن يحجم عن المشاركة في احداثها ، خاصة وأن ميزان القوى قد بدأ فى لتحول لصالح المسلمين ، وأخذت بوادر نهاية المملكة الصليبية فى بيت القدس تظهر فى الأفق ، ولم يكن ذلك خافيا على الصليبيين أنفسهم . ولهذا فانه من الطبيعى ألا يتخلف أحد عن المشاركة في الدفاع عن المملكة ، ولاسيما سيد قيسارية .

أما عن الفترة من عام ١١٧٦ إلى ١١٨٢ م / ٥٧٢ - ٥٧٧ هـ ، فلم ترد في الوثائق الصليبية اشارة صريحة عمن تولى الإقطاعية خلالها . ومن المرجح أن جاى سيد بيروت قد تولى الحكم خلالها لأنه تزوج من جوليانا شقيقة جوتييه الثانى - والتي ستتولى حكم الإقطاعية فيما بعد . وظهر جوتييه الثانى سيد قيسارية (١١٨٢ - ١١٨٩ م / ٥٧٨ - ٥٨٥ هـ) لأول مرة وهو يحمل لقب « سيد قيسارية » فى عام ١١٨٢ م / ٥٧٨ هـ ، وذلك عندما قام ببيع قلعة كركو Galilaea الواقعة فى إقطاعيته لجماعة الفرسان الاسبتارية مقابل خمسة آلاف بيزنط [٩٩] .ويبدو انه اضطر إلى ذلك نظرا للظروف التي كانت تمر بها المملكة الصليبية فى تلك الفترة ، وبصفة خاصة تهديد صلاح الدين الايوبى للصليبيين ، مما اضطره لبيع هذه القلعة للحصول على المال اللازم للمشاركة فى الدفاع عن المملكة الصليبية وعن اقطاعيته أيضا [١٠٠] .

وإذا حاولنا تقويم الدور الذى أسهمت به إقطاعية قيسارية خلال هذه الفترة من الحكم الصليبى لها . فاننا نستطيع القول بأنها شاركت مشاركة فعالة فى العلاقات السياسية بين الصليبيين والمسلمين سواء أكانت هذه العلاقات عدائية أم سليمة . ولم يقتصر هذا الدور على سادتها ، وانما امتد أيضا إلى رؤساء أساقفتها . ويجب ألا يغرب عن البال أن هذا الدور كان يتوقف إلى حد بعيد على طبيعة العلاقات بين سادتها وبين ملوك بيت المقدس وثمة حقيقة أخرى وهى أن هذا الدور لايجوز أن نفصله عن موازين القوى فى الصراع بين المسلمين والصليبيين بعامة . فقد شاركت مملكة بيت المقدس في

هجماتها ضد المسلمين سواء فى الشمال عند أنطاكية والرها أو فى الجنوب فى الصراع على أمتلاك مصر . كذلك قام هيو سيد الإقطاعية بالمهمة الدبلوماسية التي كلف بها لاتمام الاتفاق مع الخليفة الفاطمى العاضد آخر الخلفاء الفاطميين . وثمة ملاحظة جديرة بالاهتمام وهى أن الإقطاعية لم تتعرض لهجوم المسلمين عليها إلا مرة واحدة فقط وذلك فى عام ١١٠٤ م / ٤٩٨ هـ . وظلت على هذا الحال إلى أن تمكن صلاح الدين من استردادها عقب موقعة حطين عام ١١٨٧م / ٥٨٣ هـ حيث ظلت فى حوزة المسلمين أربع سنوات .

هوامش الفصل الثانى

(١) كانت مدن بيت المقدس وعكا ونابلس تابعة للملك الصليبى ، أما الإقطاعيـــات الأربع الرئيسية فهى : يافا - عسقلان ، إمارة الجليل ، بارونية صيدا ، بارونية ما وراء نهر الأردن . ويبلغ عدد الإقطاعيات الثانوية « اثنتى عشرة إقطاعية ، كانت قيسارية على رأسها . وهناك نوع آخر من الإقطاعيات ، هى الإقطاعيات النقدية . وتتمثل فى الحصول على إيراد مدينة أو ميناء فى مقابل إداء الخدمات للملك الصليبى . مثال ذلك ما حصل عليه جيرارد أحد الفرسان من البيت الملكى من ايرادات يافا . أنظر :

Jacques de Vitry, The History of Jerusalem. London, 1896, p. 26; cf. also : Mayer, H.E., the Crusaders, trans. by Gillingham. London, 1972, p. 156; Benvensiti, op. cit., p. 13; Runciman, op. cit., Vol. II, pp. 296 - 7; Conder, op. cit., p. 162.

(٢) Jean d'Iblien, Assises de Jérusalem, Paris 1841, Vol. I, pp. 422, 26; cf. also : Richard, op. cit., Vol. I, p. 126.

(٣) كانت هذه المدة محددة بأربعين يوما فى الغرب الأوروبى . وكان على التابع أن يكون على رأس قواته عند استدعاء الملك الصليبى له حتى لو لم يكن الملك موجودا فى المعركة . أنظر عن ذلك :

LaMonte, Feudal Monarchy, pp. 140 - 41; Richard, op. cit., p. 126.

(٤) Mayer, op. cit., p. 156.

وراجع أيضا : يوشع براور : عالم الصليبيين ، ترجمة وتقديم وتعقيب د. قاسم عبده قاسم ود. محمد خليفة حسن ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(٥) Jean d'Iblien, Assises de Jérusalem, Vol. I, p. 427; cf. also : La Monte, Lords of Caesarea, pp. 145 - 6.

والجدير بالذكر أن تنظيم الكنيسة فى المملكة الصليبية كان على النحو التالى : بطريرك بيت المقدس ويتبعه رؤساء أساقفة قيسارية وصور والناصرة والكرك . ثم تسعة أساقفة على باقى مدن المملكة عن ذلك أنظر :

Roger of Wendover, Flowers, Vol. I, pp. 441 - 42; cf. also : Paul, L., Les Monuments des croisés, dans le royaume de Jerusalem. Paris 1925, Vol. I, p. 13.

(٦) وردت أول اشارة عن اشتراك يوستاش جارنييه فى معركة ضد المسلمين فى عام ١١٠٥ م/ ٤٩٨ هـ وذلك عندما صاحب الملك بلدوين الأول فى معركة الرملة الثالثة . وظهر مرة ثانية فى حصار الصليبيين لمدينة طرابلس التي كانت تابعة لبني عمار فى ذلك الوقت . ونجاح الصليبيين فى الاستيلاء عليها فى ١٢ يوليو ١١٠٩م / ١١ ذى الحجة ٥٠٢ هـ . وقبل شهر من حصوله على الإقطاعية - أى فى أغسطس ١١١٠ م / صفر ٥٠٤ هـ ، ظهر فى رد الهجوم الذى قامت به حامية عسقلان الفاطمية على مدينة بيت المقدس . للمزيد عن ذلك أنظر :

Albert d'Aix, p. 612, 676; Fulcher of Chartres, pp. 182 - 3; cf. also : Röhricht, Geschichte des Königreichs Jerusalem, pp. 89, 90; Stevenson, op. cit., p. 57; Runciman, op. cit., Vol. II, pp. 68.

وأنظر أيضا : مصطفى الكناني : المرجع السابق ، الكتاب الأول ، ص ٢٣٠ - ٢٣٢ .

(٧) اسامة زيد : صيدا ، ص ٩١ - ٩٩ .

(٨) تسمى أيضا ايميلوت Emelote أو هرميلين Hermeline ولم تحدد المصادر الصليبية تاريخ هذا الزواج . ومما لاشك فيه أنه تم قبل عام ١١٠٨م / ٥٠٢ هـ ، لأن جوتييه الأول خلف والده في حكم الإقطاعية عام ١١٢٣ م / ٥١٧ هـ دون وصاية أحد عليه مما يعنى أن عمره آنذاك كان لايقل عن ١٦ عاما ، وعن ذلك أنظر :

La Monte, Feudal Monarchy, pp. 212, 13; Rey, Les Familles d'Outre-Mer, pp. 275, 4; Runciman, op. cit., Vol. II, p. 85.

(٩) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٧٨ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٦٣ ، ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، ق ١ ، جـ ٨ ، حيدآباد - الهند ، ١٩٥٤ ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

(١٠) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٧٨ ، العينى : عقد الجمان جـ ١٧ ، ورقة ٥٥١ ، بامخرمة : قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر ، جـ ٤ ، ورقة ٥٤ .

(١١) Albert d'Aix, p. 682; Anna Comnena, The Alexiad, trans-from the Greek; by E.R.A., Stewer. London, 1979, pp. 442 - 3.

وقد اختلفت المصادر العربية فى تحديد عدد هذه الابراج ، فذكر ابن القلانسى وابن الجوزى انهما اثنان ، بينما يذكر ابن الأثير أن عددها كان ثلاثة أبراج ، ولم يحدد

المقريزى عددها . وللمزيد أنظـــر : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٧٨ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٦٣ ، ابن الجـــوزى : مرآة الزمـــان ، جـ ٨ ، ص ٢٣٩ ، المقريزى: أتعاظ الحنفا ، جـ ٣ ، ص ٤٨ ، ٤٩ . والجدير بالذكر أن المقريزى ذكر أن هذا البرج كان موضوعا على شىء يسمى اسقلوس وهو عبارة عن فخذين ملقيين على الأرض يتحرك فوقهما البرج الذى كان أشبه ببلد يزحف .

(١٢) ابن القلانسى : نفس المصدر ، ص ١٧٨ ، ابن الجوزى ، نفس المصدر ، ص ٣٩ .

(١٣) اسامة زيد : صيدا ، ص ١٢١ .

(١٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشـــــق ، ص ١٧٩ ، ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ق ١ ، جـ ٨ ، ص ٣٩ .

(١٥) ذكرت المصادر العربية أن أحد شيوخ طرابلس - لم تحـــدد أسمه - تعهد بحرق هذا البرج الكبير . فأخذ يجمع سلال العنب والقفاف ويملؤها بمواد تساعد على الاشتعال ، وأمر بالقائها على البرج . كذلك ، أخذ المسلمون يلقون بالزيت المغلى على البرج لاشعال النار فيه . وأمر بالقاء قدور مملوءة بالعذرة التى تنبعث منها الرائحة الكريهة على من فى البرج لكى يشغلهم عن اطفاء النيران التى اشتعلت فيه . وقد أدى هذا فى النهاية إلى احتراق البرج الكبير ، وعن ذلك أنظر :
ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٨١ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ٣ ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

(١٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٨١ ، ابن الأثير: الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٦٤، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٨١ . أنظر أيضا :
Anna, The Alexiad, p. 443; cf. also:Röhricht, Geschichte des Königreichs Jerusalem, pp. 92 - 3; Stevenson, op. cit., pp. 61 - 2.

(١٧) اسامة زيد : صيدا ، ص ١٢١ .

(١٨) محمد مرسى الشيخ : الجهاد المقدس ، ص ٢١١ وما بعدها .

(١٩) La Monte, Feudal Monarchy, pp. 145 - 6.
وراجع أيضا : اسامة زيد : صيدا ، ص ١٠٦ .

(٢٠) Beyer, op. cit., pp. 30, 33.

(٢١) تولى قبل ذلك منصب بطرياركية بيت المقدس فى الفترة من عام ١١٠٢ إلى ١١٠٨ م ، ثم سحبت منه البطريركية . وجرى بعد ذلك تعويضه برئاسة أساقفة قيسارية إلى أن توفى فى عام ١١٢٣ م . للمزيد عنه أنظر :

Rey, Les Archevesques de Césarée, p. 756; Richard, op. cit., Vol. I, p. 102.

(٢٢) Fulcher of Chartres, p. 227; cf. also : Stevenson, op. cit., p. 104; Runciman, op. cit., Vol. II, p. 148.

(٢٣) Fulcher of Chartres, p. 228; Matthieu d'Edesse, Chrong., pp. 299 - 300; Galterii Cancellarii, Bella Antiocena, in R. H. C. H. - Occ. Vol. V, pp. 107 - 114.

وأيضا : ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٩٠ - ١٩١ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ ، ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ق ١ ، جـ ٨ ، ص ٧٩ ، أبو الفـــدا : المختصر ، جـ ٢ ، ص ٢٣١ ، ابن منقذ : الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ، برنستون ، الولايات المتحدة الامريكية ، ١٩٣٠ ، ص ٤٠ .

(٢٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٩١ .

(٢٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٩١ ، ١٩٢ . وعن هذه المواقع أنظـــر خريطة رقـــم ٤ .

(٢٦) Galterii Cancellarii, p. 122.

(٢٧) ذكر والتر المستشار ووليم الصورى أن خسائر الصليبيين فى هذا الاشتباك تراوحت مابين خمسمائة وسبعمائة من المشاة ومائة من الفرسان ، وقدر قتلى الأتراك مابين ألفين وثلاثة آلاف . وللمزيد أنظر :

Galterii Cancellarii, pp. 121 - 22; Matthieu d'Edesse, p. 300; William of Tyre, Vol. I., pp. 534 - 4; Fulcher of Chartres, pp. 228 - 9.

وأيضا : ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٩٤ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٠٢ .

(٢٨) Fulcher of Chartres, p. 230; William of Tyre, Vol. I., p. 535.

(٢٩) William of Tyre, Vol. I, p. 536; cf. also : Röhricht, Geschichte des Königreichs Jerusalem, p. 146.

أما الكندسطبل الملكى Constable فقد كان يمثل أهم منصب فى المملكة بعد الملك مباشرة . إذ كان يشغل منصب نائب الملك ، على الرغم من أن هذه النيابة كانت من حق مستشار الملك Seneschal من الناحية النظرية . وكان عليه تنظيم الجيش فى المعركة واختيار قادة الفرق ، وكانت فرقته ضعف الفرق الأخرى عددا . هذا بخلاف المهام الأخرى الموكولة إليه . وسوف نرى أن يوستاش جارنيه سيتولى هذا المنصب أثناء فترة أسر الملك بلدوين الثانى . أنظر عن ذلك :

La Monte, Feudal Monarchy, pp. 117 - 19; Richard, op. cit., Vol. I, p. 77; Runciman, op. cit., Vol. II, p. 303.

(٣٠) تقع جرش على بعد عشرين ميلا شرق الأردن ، وثلاثة وعشرين ميلا شمال عمـــان ، وكان طفتكين أتابك دمشــق ، قد أعاد بناءها وتحصينها قبل الهجوم الصليبى عليها بعام واحد فقط وعن ذلك أنظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ ، أيضـــا :

Fulcher of Chartres, p. 234, n. 2.

(٣١) Fulcher of Charters, p. 234; William of Tyre, Vol. I, p. 535; cf. also : Nicholson, The Growth of the Latin States, in Setton, Vol. I, p. 417.

راجع أيضا : ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٨ ، ص ٣٠٤ . غير أنه أشار إلى انها جرت فى جمادى الاولى ٥١٥ هـ / ١٨ يوليو - ١٧ أغسطس ١١٢١ م ، دون أن يحدد اليوم ولامكان الاشتباك . انظر أيضا : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٥٠٩ ، أسامة زيد : صيدا ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشــق ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٣١٢ ، ابن الجـــوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ١ ، ص ١١١ ، ١١٢ ، وأنظر أيضا :

Matthieu d'Edesse, Chronq., p. 307; Roger of Wendover, Flowers, Vol. I, p. 474.

(٣٣) ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ٦٣ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ٣ ، ص ٩٩ .
وذكر المقريزى أن على بن حامد الحاجب كان على رأس السفارة المرسلة إلى الوزير الفاطمى المأمون .

(٣٤) William of tyre, Vol. I, p, 541; Fulcher of Chartres, p. 239 - 40; cf. also: La Monte, Feudal Monarchy, p. 9; Duggan, The Story of the Crusedes, London, 1963, p. 96.

(٣٥) المقريزى : أتعاظ الحنفا ، جـ ٣ ، ص ١٠٠ .

(٣٦) أما ابن ميسر فقد ذكر أن حصار يافا ظل ستة أيام ، ولعبت نساء الصليبيين دورا هاما فى الدفاع عن يافا حيث كن يقمن بنقل الماء للرجال المدافعين ومداواة الجرحى . وللمزيد أنظـــــر :

Fulcher of Chartres, pp. 240 - 1 .

وأنظر أيضا : ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ ٢ ، ٦٣ .

(٣٧) أنظر ما سبق ص ٩٣ من هذا الكتاب ، وخريطة رقم ٣ .

(٣٨) يُبْنَى موقع بالقـــــرب من الرملة ، وأطلق عليها الصليبيون اسم Ibelin أو Ibenium وذكرها المقريزى تبنى وصحتها يبنى . أنظر عن ذلك : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٤٢٨ ، اتعاظ الحنفا ، جـ ٣ ، ص ١٠٠ . وقد حققها محقق الكتاب على انها تبنى .

(٣٩) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ٣ ، ص ١٠٠ . وبالغ فوشيه أوف شارتر ووليم الصورى فى فى تقدير أعداد قتلى المسلمين ، فذكر أن جملة قتلاهم بلغت سبعة آلاف وهذا عدد مبالغ فيه دون شـــك خاصـــة إذا علمنا أن عـــدد الجيش الصليبى كان يبلغ ثمانية آلاف فقط .

Fulcher of Chartres, p. 240; William of Tyre, Vol. I, p. 542. cf. also : Runciman, op. cit., Vol. II, p. 166.

(٤٠) خرج هذا الاسطول من البندقية فى ٨ أغسطس ١١٢٢ م / ٢ جمادى الآخـــرة ٥١٦ هـ متجها إلى الشرق ، وذلك بناء على الاستغاثة التي أرسلها بلدوين الثانى وجريموند بطريرك بيت المقدس إلى جمهورية البندقية بعد كارثة ساحة الدم . وبالفعل اتجه البنادقة

بأسطولهم الضخم إلى الشرق ، وحاولوا فى أثناء طريقهم الاستيلاء على مدينة كورفو Corfu التابعة للدولة البيزنطية . وفى أثناء ذلك وصلت سفينة من فلسطين أخبرت البنادقة بأسر بلدوين الثانى . وأسرع الدوج متجها إلى عكا حيث سمع بأنباء حصار الفاطميين ليافا . ولكنه أن وجد أن الأسطول الفاطمى قد ترك حصار يافا واتجه إلى عسقلان حيث وقع الاشتباك السابق . وكان جملة ماحصل عليه البنادقة أربعة شوانى وعددا آخر من السفن . عن ذلك أنظر : ابن ميسر : اخبار مصر ، جـ ٢ ، ٦٣ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٠٩ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٣١٤ ، وكذلك :

Fulcher of Chartres, p. 238 - 9; William of Tyre, Vol. I, p. 542; cf. also : Röhricht, Geschichte des Königreichs Jerusalem, p. 164, n. 3.

(٤١) ابن ميسر : اخبار مصر ، جـ ٢ ، ٦٣ .

(٤٢) Rey, Les Familles d'Outre-Mer, p. 274; La Monte, Lords of Caesarea, p. 145; Runciman, op. cit., Vol. II, p. 166; Stevenson, op. cit., p. 114.

(٤٣) Röhricht, Regesta, doc. 121; La Monte, Lords of Caesarea, p. 146.

وقد اختلفت الآراء حول يوستاش ، فذكر البعض أنه هو نفسه جيرارد سيد صيدا الذى ظهر بعد ذلك . غير أن يوستاش ظهر فى عام ١١٢٦ م / ٥٢٠ هـ وهو يحمل لقب سيد صيدا . ثم ظهر جوتيبه فى عام ١١٣١ م / ٥٢٥ هـ وهو يحمل لقب سيد قيسارية وصيدا مما يعني أنه كان وصيا على شخص آخر . ويرى جون لامونت أن يوستاش وجيرارد شخصان وليس شخصا واحدا كما اقترح البعض . وجعل جيرارد ابنا ليوستاش الثانى . أنظر :

La Monte, Lords of Caesrea, pp. 146 - 7; Rey, Les Familles, p. 275; Runciman, op. cit., Vol. II, p. 191, n. 7.

(٤٤) Röhricht, Regesta, doc. 139; La Monte, Lords of Caesarea, p. 148.

(٤٥) Röhricht, Regesta, doc. 139.

(٤٦) تزوج هيوكونت يافا من ايمـا أرملة يوستاش جارنييه فى ٨ أبريل ١١٢٤ م ، كما يثبت من احدى الوثائق التى صدرت فى نفس اليوم . وحصل هيو على الهبة التى سبق أن

منحتها ايا لزوجها الأول فى أريحا . أنظر عن ذلك :

Rey, Les Familles, p. 275; Röhricht, Regesta, doc. 104; La Monte, Lord of Caesarea, p. 147.

(٤٧) أورد وليم الصورى هذه القصـــة كاملة كما وقعت . وقد اختلفت آراء المؤرخين الحديثين حول العام الذى وقعت فيه هذه الأحداث الداخلية . فقد ذكر البعض أنها جرت فى عام ١١٣١ م / ٥٢٦ هـ ، بينما ذكر آخرون عام ١١٣٢ م / ٥٢٧ هـ . والأرجح هو عام ١١٣٢ م / ٥٢٧ هـ . ويؤيد ذلك أن المصادر العربية أشارت إلى أن هذه الخلافات بين الصليبيين وقعت فى المحرم ٥٢٧ هـ وهو يقابل ١٢ نوفمبر - ١١ ديسمبر ١١٣٢ م . للمزيد عن ذلك أنظر : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢٥١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٠٤ . وأيضـــاً :

William of Tyre, Vol. II, pp. 71 - 74; cf. also : Richard, op. cit., Vol. I, p. 95; Trecce, H., op. cit., p. 121; Conder, op. cit., pp. 97 - 8.

(٤٨) ذكر وليم الصـــــورى أن بانياس سقطت فى يد تجلمش Tegelmeluch (تاج الملوك بورى) والرواية هنا فى غير موضعها إذ أن تاج الملوك بورى قد توفى فى ٦ يونيو ١١٣٢م/ ٢٠ رجب ٥٢٦ هـ . بينما كان شمس الملوك اسماعيل هو الذى هاجم بانياس . للمزيد عن ذلك أنظـــر : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، الذهبى : دول الاسلام ، جـ ٢ ، ص ٤٨ . وأيضا :

William of Tyre, Vol. II, p. cf. also : Röhricht, Geschichte des Konigreichs Jerusalem, p. 201.

(٤٩) Röhricht, Regesta, doc. 44.

(٥٠) Röhricht, Regesta, doc. 63.

(٥١) تقع بعسرين بين حمص وساحل البحر المتوسط ، ويذكر ياقوت الحموى أن العامة تنطقها هكذا ، وهو خطأ وصحتها بارين . عن ذلك أنظـــر : ياقوى الحموى : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٤٥٢ .

(٥٢) حسن حبشى : نور الدين محمود والصليبيون ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٥٦ .

(٥٣) Duggan, op. cit., pp. 117 - 118; La Monte, Feudal Monarchy p. 251.

والواقع أن نجاح نور الدين فى الاستيلاء على دمشق ، سوف يدفعه بعد ذلك - كما سنرى - لمحاولة ضم مصر أيضا بعد أن رأى ضعف خلافتها الفاطمية الشيعية وما أصابها من انهيار . وسوف ينجح فى هذا ، مما سيجعل الصليبيون يقعون بين حجرى الرحى .

(٥٤) ابن واصـــل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٠ ، جـ ١ ، ص ١١٢ .

(٥٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٠ .

(٥٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٨٨-٨٩ ، ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ١ ، ص ١٩٨ .

(٥٧) Stevenson, op. cit., p. 162; Duggan, op. cit., p. 118; Richard, op. cit., Vol. I, p. 38 - 9.

(٥٨) Nikita, E., Nur ed Din, Damas 1967, t. II., pp. 422; Stevenson, op.cit., p. 161, n. 3; Röhricht, Geschichte des Königreichs Jerusalem, p. 240.

(٥٩) Williamof Tyre, Vol. II, pp. 184 - 6.

(٦٠) يرجع أصـــل هذه الجماعة إلى أحد مستشفيات الجذام فى بيت المقدس ، الذى تحول إلى جماعة رهبانية بعد قيام الحروب الصليبية مباشرة على نمط جماعة الاسبتارية ، وعرفت باسم جماعة القديس لعازر . وكانت ترمى إلى اعانة المرضى . ثم انضم إليها كثير من الرهبان المحاربين بين المسلمين فى سورية . للمزيد عنها أنظر : جوزيف نسيم ، العدوان الصليبى على بلاد الشام ، هزيمة لويس التاسع فى الأراضى المقدسة الاسكندرية ١٩٧١ ، ص ١٩٨ ، ح ١ .

(٦١) Röhricht, Regesta, doc. 256.

(٦٢) La Monte, Lords of Caesarea, pp. 148 - 9, n. 21.

(٦٣) La Monte, Lords of Caesarea, p. 149; Röhricht, Regesta, doc. 293, 299.

(٦٤) قتل على يد مقدمه ركن الدين عباس بن أبى الفتوح وذلك في السادس من المحـــرم ٥٤٨ هـ / ٦ أبريل ١١٥٣ م . للمزيد عن ذلك أنظر : ابن منقذ : الاعتبار ، ص ١٨ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشـــق ، ص ٣٢٠ ، ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ق ١ ، جـ ٨ ، ص ٢١٤ .

(٦٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٢١ ، ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ق ١ ، جـ ٨ ص ٢١٥ ، أنظر أيضا : اسامة زيد : صيدا ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٦٥٥ .

(٦٦) ربما يكون بلدوين رئيس أساقفة قيسارية على رأس فرسان وجنود قيســـارية الذين كان على سيد الإقطاعية أن يقدمهم عند استدعاء الملك الصليبى له ، وذلك نظرا لمرض يوستاش سيد الإقطاعية . وكان على رئيس الأساقفة حسبما أشارت « مجموعة قوانين بيت المقدس » أن يصحب معه خمسين جنديا . أنظر ما سبق ص ٩٧ من هذا الكتاب .

(٦٧) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٢١ ، ابن الجوزى : مرآة الزمان : ق ١ ، جـ ٨ ص ٢١٤ ، ٢١٥ . وأيضا :

Röhricht, Geschichte des Königreichs Jeursalem, pp. 273 - 4; Runciman, op. cit., Vol. II, pp. 339 - 40; Stevenson, op. cit., p. 171, n. 3.

(٦٨) William of Tyre, Vol. II, p. 184.

(٦٩) Röhricht, Regeste, docs. 299, 307, 325, 344, 354, 366.

وهى الأحكام الخاصة بالملك بلدوين الثالث ، أما أحكام عمورى فهى فى الوثائق التى تحمل أرقام 300, 397, 400, 412, 413, 416, 422a, 449.

(٧٠) William of Tyre, Vol. II, p. 319.

(٧١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشـــق ، ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٣٨ ، ابن واصل : مفرج الكرب ، جـ ١ ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

(٧٢) King, The Knights Hospitallers in the Holy Land. London, 193, p. 87;' Stevenson, op. cit., p. 185.

(٧٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٨٤ .

(٧٤) للمزيد عن أحـــوال الدولة الفاطمية في تلك الفترة أنظر : ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ ، أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، جـ ١ ، ص ١٢٤ ، المقريزي : الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ - ٣٥٨ . أنظر أيضا : محمد حمدي المناوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، القاهرة ١٩٧ ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٧٥) تمكن نور الدين من استعادة حارم وبانياس في عام ١١٦٤ م / ٥٥٩ هـ . للمزيـد عن ذلك أنظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ، ص ١٤٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٣٢٤ ، وأيضا سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٦٨٥.

(٧٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٩٤ .

(٧٧) مرآة الزمان : جـ ٨ ، ق ١ ، ص ٢٦٨ ، ابن شداد : النوادر السلطانية ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٣٧ .

(٧٨) William of Tyre, Vol. II, pp. 317 - 20. cf. also : Schlumberger, G., Campanages du roi Amaury I de Jerusalem en Egypte au XII siécle, Paris 1906, pp. 117 - 119.

(٧٩) William of Tyre, Vol. II, p. 419; cf. also : Baldwin, W., The Latin States under Baldwin III, and Amalric I, in Setton, Vol. I, pp. 552 - 3.

(٨٠) اشترى الاسبتارية قلعة عين حديدون Hadedun ، وحصلوا على قلعة أخـــرى هي خربة الملات Turris Salinarum دون مقابل . وعن مواقع هذه القلاع أنظر خريطة رقم ٣ . أيضا :

Röhricht, Regesta, doc. 425, 426; Beyer, Das Gebiet Caesarea, pp. 33, 36

(٨١) كان ابن الأثير هو المؤرخ الوحيد الذي أشار إلى أن مسير شيركوه حدث في ربيع الاخـر ٥٦٢ هـ / ٢٥ يناير - ٢٣ فبراير ١١٦٧ م . بينما ذكرت باقي المصادر الإسلامية أن

ذلك تم فى منتصف ربيع الأول / أوائل يناير ، وهذا هو الصحيح . أنظر : ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٩٤-٩٥ ، أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ، ص ١٤٤ ، ابن شداد : النوادر ، ص ٣٧ .

(٨٢) قرية تقع جنـــوب المنيا على بعد عشرة أميال من المنيا أو Lamonia كما ذكرها وليم الصورى . ولذلك فان هذه المعركة تعرف أحيانا باسم معركة المنيا . أنظر :
William of Tyre, Vol. II, p. 331. cf. also : Schlumberger, Campagnies du roi Amaury, pp. 136 - 140.

(٨٣) اتفقت غالبية المصادر العربية على تنظيم جيش شيركوه على هذا الوضع فيما عدا المؤرخ ابن الجوزى الذى ذكر أن صلاح الدين كان فى الميمنة والأكراد فى الميسرة وشيركوه فى القلب . عن ذلك أنظر : ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ق ١ ، جـ ٨ ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ . وأنظر أيضا : العينى : عقد الجمان ، جـ ٢١ ، لوحة ٣٩٥ - ٣٩٩ .

(٨٤) لم يحدد المؤرخ وليم الصورى عدد رجال هيو المصاحبين له . غير أننا نستطيع القـــول بأنهم لا يقلون عن خمسة وعشرين فارسا وخمسين جنديا حسبما كان مكلفا بتقديمه فى جيش المملكة ، كما ذكـــرت « مجموعة قوانين بيت المقدس » . وأنظر أيضا : ماسبق ص ٩٧ من هذا الكتاب .

(٨٥) أشارت المصادر العربية إلى أن جملة الأســـرى بلغت سبعين فارسا ، بينما أشار البعض الآخر الى انهم بلغوا مائة وسبعين فارسا ، بخلاف القتلى . وقد انفرد المؤرخ ابن أيبك بين هؤلاء المؤرخين بالاشارة إلى أن هيو سيد قيسارية كان من جملة الأسرى . ولكنه أشار إلى هذه المعركة ضمن حوادث عام ٥٥٩ هـ / ١١٦٣ - ١١٦٤ م . أنظر : ابن أيبك : كنز الدرر وجامع الغـــرر ، جـ ٧ ، ورقة ٣٠ ، ٣١ ، وكذلك البندارى : سنا البرق الشامى ، تحقيق د. فتحية النبراوى ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ٢٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ، ص ١٤٩ .

(٨٦) William of Tyre, Vol. II, pp. 333 - 4; cf-also : Schlum-berger, op. cit., p. 142; Duggan, op. cit., pp. 131 - 2, Richard, op. cit., Vol. I, pp. 47-8; Runciman, op. cit., Vol. II, pp. 372 - 76.

(٨٧) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ، ص ١٥١ .

(٨٨) أبحرت هذه القوة من ميناء صـــــور حيث وصلت إلى الاسكندرية بعد عدة أيام ، وكان فردريك أسقف صور على رأسها . أما نور الدين فقد قام بمهاجمة عدة قلاع فى بلاد الشام لكى يضغط على الصليبيين فى مصر وهى السياسة التى سار عليها المسلمون دائما عندما تتعرض مصر لأى خطر من جانب الصليبيين . فهاجم نور الدين المنيطرة الواقعة على بعد ٢٠ ميلا جنوب طرابلس ، وكذلك قلاع عرقة وصافيتا والعريمة ، بالإضـــافة إلى قلعة هونين الواقعة بالقرب من بانياس ، وذلك فى عام ٥٦٢ هـ / ١١٦٧م . وللمزيد عن ذلك أنظر :

ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٩٤ ، ٩٥ ، ابن العـــديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٣٢٤ ، أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ، ص ١٤٦ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٣٤٩ . أيضا أنظر :

Stevenson, op. cit., pp. 192 - 3; Schlumberger, op. cit., p. 159.

(٨٩) William of Tyre, Vol. II, pp. 337 - 40.

(٩٠) William of Tyre, Vol. II, pp. 340 - 1, Jacques de vitry, The History of Jerusalem, p. 25; cf. also : Schlumberger, op. cit., pp. 160 - 62.

(٩١) البنداري : سنا البرق الشامى ، ص ٢٠ ، ٢١ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٩٥ ، ٩٦ ، أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ، ص ١٤٣ ، ابن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ ٧ ، ورقة ٣١ . أما المؤرخ المقريزى فقد ذكر أن شيركوه عاد إلى الشام وترك أمر الصلح لصلاح الدين ، مخالفا بذلك ما أوردته المصادر العربية الأخرى . أنظر : المقريزى: اتعاظ الحنفا ، جـ ٣ ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٩٢) ابن واصـــــل : مفرج الكروب ، جـ ١ ، ص ١٥٢ ، أبو شـــامة : الروضتين ، جـ ١ ، ص ١٤٥ .

(٩٣) الشحنة فرقة كالشرطة تقوم بالمراقبة والحراسة ، وعليها رئيس الشحنة . أنظر : الذهبى : دول الاسلام ، جـ ٢ ، ص ٧٦ ، ح ١ . وأيضا أنظر عن هذه الأحداث :

William of Tyre, Vol. II, p. 343; cf. also ; Baldwin, The Latin States under Baldwin III and Amalric I, in Settomn, Vol. I, pp. 552 - 3.

(٩٤) Röhricht, Regesta, doc. 449; La Monte, Lords of Caesarea, p. 150.

(٩٥) ورد اسم شخص يسمى املريك أوف قيسارية فى الوثائق الصليبية . فقد ظهر فى وثيقة مؤرخة فى فبراير ١١٧٤ م / رجب ٥٦٩ هـ . ثم ظهر مرة ثانية فى وثيقة أخرى بتاريخ أبريل ١١٧٤ م / رمضان ٥٦٩ هـ . ويبدو أنه كان أحد فرسان البيت الملكى ، ولم توضح الوثائق عما إذا كان وصيا على قيسارية في تلك الفترة أم لا . عن ذلك أنظر :

Röhricht, Regesta, docs. 512 - 514.

(٩٦) William of Tyre, Vol. II, p. 360; cf. also : Röhricht, Geschichte des Königreichs Jerusalem, p. 344; Stevenson, op. cit., pp. 199 - 200.

وتم اختيار سفارة أخرى برئاسة فردريك رئيس أساقفة صور ويوحنا رئيس أساقفة بانياس ووصلت هذه السفارة إلى روما فى يوليو ١١٦٩ م ، وبلغت باريس فى سبتمبر من نفس العام ولكنها فشلت في تحقيق الغرض المطلوب منها وهو اثارة الغرب بهدف ارسال حملة صليبية جديدة . أنظر :

William of Tyre, Vol. II, p. 361.

(٩٧) William of Tyre, Vol. II, p. 412, cf. also : Rey, Les Familles, p. 757.

(٩٨) Röhricht, Regesta, doc. 517.

(٩٩) Röhricht, Regesta, doc. 617, 619; La Monte, Lords of Caesarea, pp. 151 - 2; Beyer, op. cit., pp. 33 - 36.

(١٠٠) سوف نتناول بالتفصيل دور جوتييه الثانى فى الفصل الثالث من هذا الكتاب .

الفصل الثالث

الفترة الإنتقالية
إقطاعية قيسارية بين المسلمين والصليبيين
(١١٨٢ - ١٢١٣م/ ٥٧٨ - ٦١٠ هـ)

- جوتييه الثانى سيد قيسارية (١١٨٢ - ١١٨٧م/٥٧٨ - ٥٨٣هـ)، ودوره فى أحداث المملكة الصليبية.

- استرداد صلاح الدين الأيوبى لقيسارية وتوابعها (١١٨٧ - ١١٩١م / ٥٨٣ - ٥٨٧ هـ) ، والنتائج المترتبة على ذلك ، بينما ظل جوتييه يحمل لقبه كسيد اسمى على قيسارية خلال هذه الفترة.

- نجاح ريتشارد قلب الأسد فى استرداد قيسارية فى أغسطس ١١٩١م / شعبان ٥٨٧ هـ ، ومنح الإقطاعية إلى جودفرى لوزنيان.

- لجوء جوليانا وريثة الإقطاعية إلى صلاح الدين الأيوبى، ونجاحها فى استرداد اقطاعياتها فى عام ١١٩٢م/ ٥٨٨هـ.

- حصول ايماردى لايرون زوج جوليانا على لقب سيد قيسارية (١١٩٣ - ١٢١٣م/ ٥٨٩ - ٦١٠هـ)، ودوره فى أحداث المملكة الصليبية الاسمية.

اتسمت هذه المرحلة الجديدة في تاريخ الإقطاعية بحدوث تغييرات كثيرة فيها. إذ تمكن المسلمون من استردادها بعد أن ظلت مايزيد على ثلاثة أرباع القرن فى قبضة المسلمين وفى خلال هذه السنوات الأربع التى أصبحت فيها تابعة للمسلمين، قام صلاح الدين الأيوبى بتخريب تحصينات المدينة كيلا يستفيد منها الصليبيون إذا ما تمكنوا من استردادها مرة أخرى . وبعد عودتها للصليبيين أصبحت حدودها تتاخم حدود المسلمين فى بلاد الشام مما جعلها معرضة بصفة مستمرة لهجماتهم، حتى لقد اضطر الصليبيون لتحصينها عدة مرات خلال القرن الثالث عشر الميلادى/ القرن السابع الهجرى. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل ازدادت أهميتها بعد استعادتهم لها، وذلك عندما أصبحت مملكة بيت المقدس الإسمية قاصرة على الإقطاعيات الساحلية. فقد كانت إقطاعية قيسارية بمثابة همزة الوصل بين شمال المملكة الصليبية وجنوبها ولعل هذا سر أهتمام الصليبيين المستمر بها خلال هذه الفترة.

على أيه حال، ظهر جوتييه الثاني (١١٨٢ ـ ١١٨٧م / ٥٧٨ ـ ٥٨٣ هـ) سيد الإقطاعية لأول مرة فى الوثائق الصليبية فى عام ١١٨٢م / ٥٧٨هـ، وذلك عندما قام ببيع قلعة كركر Galilaea الواقعة فى إقطاعيته لجماعة الفرسان الاسبتارية[١]. وبعد شهر واحد فقط من ظهوره فى هذه الوثائق، انعقد في ديسمبر ١١٨٢م/ شعبان ٥٧٨هـ مجلس للحرب فى إقطاعيته لمواجهة هجمات صلاح الدين على المدن الصليبية[٢]. وخرج الملك الصليبى بلدوين الرابع وبصحبته جيش المملكة ، ومن بينهم جوتييه الثانى سيد قيسارية، وأغاروا على حوران التابعة للمسلمين، وواصلوا تقدمهم حتى بلغوا درايا التى تبعد ستة كليومترات فقط عن دمشق[٣] وكان صلاح الدين مشغولا آنذاك بمحاربة الزنكيين فى شمال الشام، ولذا لم يتمكن من الرد على هجمات الصليبيين. ثم انه كان يفضل ألا يدخل مع الفرنج فى معركة حاسمة إلا بعد الإنتهاء من توحيد المشرق الإسلامى، اللهم إلا إذا دعته الضرورة للإشتباك معهم.

ولكن الظروف اضطرته للاشتباك مع الصليبيين بعد أن بلغته أنباء هجومهم على حوران ومواصلة تقدمهم في اتجاه دمشق. حينئذ أسرع بالعودة إلى هناك، وذلك في مايو ١١٨٣م / صفر ٥٧٩هـ ، لمواجهتهم. ثم خرج في سبتمبر ١١٨٣م / جمادى الأول ٥٧٩هـ متجها إلى بيسان. ولم تتمكن الحامية الصليبية الموجودة بها من الصمود أمام هجمات صلاح الدين عليها، ففرت تاركة وراءها الغلال والأمتعة الموجودة بها. ثم تقدم إلى عين جالوت، ومن هناك أرسل بعض سراياه لكي تهاجم الصليبيين. وقد تمكنت إحداها، وكانت بقيادة عز الدين جرديك، من الاشتباك مع قوات باورنية ماوراء نهر الأردن، التي كانت قادمة للإنضمام إلى قوات الصليبيين، وألحقت بها الهزيمة وأسرت مايقرب من مائة صليبي ولاذ الباقون بالفرار(٤).

أما الصليبيون فقد ازدادت أحوالهم الداخلية سوءا في ذلك الوقت، اذ اشتدت حدة المرض على الملك الصليبي بلدوين الرابع، وكان لابد من اختيار من ينوب عنه في قيادة الجيش وادارة المملكة. ووقع الاختيار على جاي دي لوزنيان لكي يكون نائبا له. وكان اختيار هذا الرجل من جانب بلدوين الرابع اختيارا غير موفق. إذ لم يكن على مستوى المسئولية، كما كان غير قادر ومتهوراً على حد قول المؤرخ وليم الصوري(٥). وعلى الرغم من ذلك، فقد خرج الجيش الصليبي وعلى رأسه جاي لوزنيان، ويصحبته أمراء وبارونات المملكة، ومن بينهم جوتييه الثاني سيد قيسارية(٦). وتقدم الصليبيون الى صفورية ومنها إلى الفولة حيث عسكروا هناك، وذلك في أوائل أكتوبر ١١٨٣م/١٢ جمادى الآخر ٥٧٩هـ . ووصل صلاح الدين ، وأخذ يناوشهم كي يخرجوا للاشتباك معه. ولكنهم ظلوا في معسكرهم لمدة ثمانية أيام (١ إلى ٨ أكتوبر / ١٢ إلى ١٩ جمادي الآخرة دون أن يخرجوا لقتاله وهنا قرر صلاح الدين الاكتفاء بالاغارة على المناطق المجاورة، وعاد إلى دمشق فوصلها في منتصف أكتوبر ١١٨٣م/٢٦ جمادى الآخرة ٥٧٩ هـ(٧).

والتساؤل الذى يطرح نفسه هنا هو : ما هى الأسباب التي أدت الى اتخاذ الصليبيين هذا الموقف ؟ حلل وليم الصورى هذه الأسباب قائلا أنه بعد أن عاد الصليبيون إلى بيت المقدس ثارت التساؤلات فيما بينهم بهذا الخصوص. فذكر البعض بأن ذلك يرجع إلى أن صلاح الدين كان قد اتخذ مواقعه في منطقة حصينة يصعب بل يستحيل على الصليبيين الاقتراب منها، وأشار البعض الآخر إلى أنه وضع قواته على شكل دائرة كانت تحيط بالصليبيين من كل جانب، فكان من الصعب عليهم الإشتباك معه، لأن ذلك معناه فناؤهم كما قال البعض أن قوات المسلمين كانت تتفوق عليهم عددا وعدة، ولذا لم يدخلوا فى أشتباك معها. ولكن هذه الأسباب السابقة لم تكن إلا حججا تعللوا بها. فالسبب الحقيقى هو الخلافات الداخلية في المعسكر الصليبى. إذ وقف باورنات وأمراء المملكة، ومن بينهم جوتييه الثانى سيد قيسارية، موقفا معاديا من جاى لوزنيان نائب الملك الصليبي وقائد الجيش. فقد كان فى نظرهم رجلا دخيلا عليهم، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل أنه سلب هذا المنصب من بلدوين إبلين سيد الرملة وأحد أمراء المملكة الصليبية . وكان بلدوين مرشحا للزواج من سيبلا ووريثة عرش المملكة لولا الظروف التى مر بها[٨]. وثمة سبب آخر دفع جوتييه الثاني سيد قيسارية إلى اتخاذ هذا الموقف المعادي من جاى لوزنيان، وهو أن بلدوين سيد الرملة تزوج من إيزابيلا أم جوتييه الثانى[٩]. ولذلك رأى أمراء وبارونات المملكة الصليبية عدم التعاون مع جاى، لأنه في حالة إحرازهم أى نصر على صلاح الدين فإن هذا النصر سوف ينسب إليه دونهم[١٠]. وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على المدى الذى وصلت إليه الخلافات والصراعات الداخلية، مما سيلحق بالصليبيين أبلغ الضرر بعد سنوات قلائل فى موقعة حطين وما تلاها من أحداث. هذا، بالإضافة إلى فقدانهم بيت المقدس فى الوقت الذى كان يستدعى منهم الوقوف صفا واحدا ونبذ خلافاتهم الداخلية جانبا. وغير خاف أن هذاه الخلافات أسهمت، الى جانب عوامل أخرى عديدة، فى تقويض الوجود اللاتينى فى الأراضى المقدسة، وفى نفس الوقت كان صلاح الدين يقوم بتدعيم الجبهة الإسلامية للمواجهة الحاسمة مع الصليبيين، واسترداد المدن والمعاقل الإسلامية التى استولوا عليها.

وعلى الرغم من ذلك، فان الخلافات الداخلية في المملكة الصليبية ازدادت حدة وعمقا، عندما سعى جاي لوزنيان نائب الملك الصليبي والوصى على المملكة للحصول على لقب الملك. فقد رفض إعطاء بلدوين الرابع مدينة صور بدلا من بيت المقدس عندما طلب منه الملك الصليبي ذلك(١١). ولذلك عقد بلدوين مجلسا للبارونات حضره ريموند الثالث أمير طرابلس، وبوهمند أمير أنطاكية، وبلدوين ابلين الذى لم ينس مطلقا موقف جاى السابق منه، كما حضره رينالد سيد صيدا، وجوتييه الثانى سيد قيسارية. وتم الإتفاق فى هذا المجلس على عزل جاى لوزنيان، وأن يكون بلدوين الخامس ملكا ويتولى ريموند الثالث أمير طرابلس الوصاية عليه لحين بلوغه سن الرشد وكان ذلك في نوفمبر ١١٨٣م/ شعبان ٥٧٩(١٢) هـ وتم أيضا إطلاق سيبلا من جاى، كما عزله بلدوين من اقطاعية يافا ـ عسقلان . وقد أدرك ريموند حاجة المملكة لفترة من الهدوء تستعيد فيها قوتها وتتناسى خلافاتها الداخلية. ولذلك عقد هدنة مع صلاح الدين لمدة أربع سنوات (١١٨٥ ـ ١١٨٩م / ٥٨٠ ـ ٥٨٤هـ(١٣).

ولكن الصراع الداخلى لم يلبث أن تفجر مرة أخرى وذلك فى أغسطس ١١٨٦م/جمادى الأول ٥٨٢هـ ، عندما توفى الملك الطفل بلدوين الخامس. وكان الصراع هذه المرة بين ريموند الوصى على الملك الصليبى وجوسلين دى كورتناى المستشار الملكى. وانقسم الصليبيون إلى فريقين كل منهما يؤيد أحد المتصارعين. وانضم جوتييه الثانى سيد قيسارية الى ريموند لعدائهما المشترك لجاى لوزنيان. ولكن البطريرك اللاتينى هرقل تمكن من تتويج سيبلا وترك لها حرية اختيار زوج لها. ووسط دهشة الحاضرين قامت بوضع التاج فوق رأس زوجها السابق جاى لوزنيان. ولم يجد الثانى مفرا من أداء يمين الولاء لعدوه الملك الصليبى جاى وزوجته سيبلا ملكة بيت المقدس(١٤).. ولاشك أن هذه الخلافات الفرنج كانت نذيرا بما سيحل بعد أشهر قليلة في موقعة حطين، «فاختلفت كلمتهم وتفرق شملهم وكان ذلك من أعظم الأسباب الموجبة لفتح بلادهم واستنفاذ البيت المقدس منهم(١٥).

وفى أثناء ذلك كان صلاح الدين قد نجح في استكمال توحيد الجبهة الإسلامية، وتقدم بقواته إلى حطين حيث دارت المعركة الحاسمة مع الصليبيين فى الثالث من يوليو ١١٨٧م/٢٤ ربيع الآخرة ٥٨٣هـ . وثمة تساؤل وهو : هل اشترك جوتييه الثانى سيد قيسارية فى هذه المعركة أم لا؟ فى حقيقة الأمر يصعب الإجابة على مثل هذا التساؤل ، خاصة وأن المصادر الصليبية، من معاصرة وغير معاصرة، لم تشر صراحة إلى وجوده ضمن قوات مملكة بيت المقدس. كما أن المصادر الإسلامية لم تشر إليه ضمن الصليبيين الذين أسروا فى هذه المعركة[١٦]. ومن المرجح أنه كان ضمن قوات ريموند الثالث أمير طرابلس نظرا لمشاعر العداء التى كان يكنها لجاى لوزنيان ملك بيت المقدس. وقد أدرك ريموند أن الصليبيين هالكون لامحالة، فحمل حملة شديدة على صفوف المسلمين. وعندئذ قام تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين بفتح فتحة هرب منها ريمند متجها بقواته الى صور.

ويرجح هذا الرأى أن جوتييه الثاني ظهر ضمن القادة الصليبيين الذين تجمعوا أمام صور بعد معركة حطين بأيام قلائل لتنظيم أمر الدفاع عنها[١٧]. وهذه كلها مجرد احتمالات ليس هناك مايؤيدها بشكل قاطع.

اعتقد الصليبيون أن الخطوة التالية لصلاح الدين الأيوبى بعد حطين، هى التوجه لفتح بيت المقدس. ولكنه أدرك بثاقب خطورة ترك المدن والمعاقل الصليبية الساحلية التى يمكن أن تستخدم كنقاط انطلاق لمواجهته من الخلف إذا اتجه إلى بيت المقدس دون أن يسترد هذه المدن. كما أدرك مدى أهميتها بالنسبة للصليبيين أنفسهم، إذ كانت بمثابة الشريان الرئيسى الذى يمدهم بالحياة بما توفره لهم من إمدادات مستمرة من الغرب الأوروبى، ومنها يمكنهم الإبحار رأسا إلى بلادهم إذا دعت الضرورة. وكانت قيسارية واحدة من هذه الاقطاعيات الساحلية التى أدرك صلاح الدين خطورتها عليه. فعقب استرداد عكا فى ٨ يوليو ١١٨٧م/٢٩ ربيع الآخر ٥٨٣هـ، وجد صلاح الدين اثنين من الأمراء هما بدر الدين دلروم الياروقى أمير عسكر حلب وغرس الدين قليج ومعهما جماعة أخرى من الأمراء إلى

قيسارية لفتحها. وتمكن الأميران من استردادها «فملكوها ونهبوها وأسروا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها»[١٨]. ويبدو أن جوتييه الثاني سيد الإقطاعية لم يكن موجودا بها عندما هاجمها المسلمون، إذ كان قد اتجه مع ريموند الثالث أمير طرابلس إلى صور.

وأعقب استرداد المسلمين لقيسارية تساقط توابعها الواحدة تلوا الأخرى، فسقطت قلنسوة وقاقون التى كان رئيس جماعة الداوية مقيما بها قبيل معركة حطين، وأيضا مرل أو الطنطورة التى كانت تابعة لنفس الجماعة وكانت تعرف باسم "Marle Templi" [١٩]. وقد أدرك المؤرخون المسلمون وجود هذه التوابع، فذكر العماد الأصفهانى أنه « كان لكل واحد من البلاد التى ذكرناها أعمال وقرى ومزارع وأماكن ومواضع قد جاس المسلمون خلالها واسترعوا ثمارها وغلالها[٢٠]. ويدل هذا بصورة غير مباشرة على سقوط جميع توابع قيسارية دون استثناء في قبضة المسلمين.

واذا تساءلنا عما أحدثه صلاح الدين في قيسارية عندما استردها من الصليبيين على مدى السنوات الأربع التى ظلت تابعة له (١١٨٧ .١١٩١م / ٥٨٣ ـ ٥٨٧هـ)، فلن نجد الإجابة التى تشفى الغليل. فقد ركزت المصادر الاسلامية بصفة عامة فى ذلك الوقت علي جهاد صلاح الدين ضد الصليبيين واسترداد بقية المعاقل والمدن منهم دون أن تزودنا بصورة واضحة عن أحوال هذه المدن التى تم استردادها. غير أنه يمكن استخلاص بعض المعلومات المتناثرة هنا وهناك بين ثنايا السطور في المصادر العربية والاستعانة بها في إلقاء بعض الضوء على أحوال قيسارية وقتذاك. فقد انتقل اليها سكان مسلمون بدلا من سكانها الصليبيين الذين تعرضوا للقتل أو الأسر، كما سمح لعدد كبير منهم بالتوجه إلى صور، فقد سمح صلاح الدين لأهل المدن الصليبية بمغادرتها . وكان «كلما فتح مدينة أعطى أهلها الأمان، فساروا كلهم إلى صور وكثر الجمع بها »[٢١]. أما عن موضوع انتقال السكان المسلمين إلى قيسارية، فيتضح من الاشارة التى وردت بعد ذلك، وجاء فيها أن صلاح الدين قام بتخريب قيسارية وبعض المدن الأخرى

عقب استيلاء الصليبيين على عكا مرة ثانية فى عام ١١٩١م / ٥٨٧هـ ، نقل سكانها من المسلمين إلى بيروت(٢٢).

وهكذا ظلت قيسارية وتوابعها ملكا للمسلمين لمدة أربع سنوات، لم يحدث بها من التغيير سوى انتقال سكان جدد إليها، فضلا عن تعرضها للتخريب وهدم جزء من سورها الضخم وبعض أبراجها حتى تخلص من شر اعتداءات الفرنج عليها وطمعهم فيها. وكانت هذه هى السياسة العامة للمسلمين عندما كانت مدنهم تتعرض لحملات صليبية متتالية، وكان صلاح الدين هو أول من اسنّ هذه السياسة. ويرجح الكاتب الألمانى جوستاف باير أن صلاح الدين منح قيسارية وتوابعها لأمرائه، كما فعل السلطان المملوكى الظاهر بيبرس عندما استردها نهائيا فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادي/ النصف الثانى من القرن السابع الهجرى(٢٣).

وعلى الرغم من سقوط إقطاعيته، فقد ظل جوتبيه الثانى يحمل لقب «سيد قيسارية»، ولكنه كان لقب اسميا، وأمام الهزائم المتلاحقة التى حلت بالصليبيين، فقد تجمع من بقى منهم قبالة مدينة صور. ووصل كونراد أوف مونتفرات قادما من القسطنطينية فى ١٤ يوليو ١١٨٧م/٥ جماد أول ٥٨٣هـ(٢٤). ولم يقتصر الأمر على وجود جوتبيه الثانى أمام صوره بل كان موناخوس Mohachus رئيس أساقفة قيسارية هو الآخر ضمن القوات الصليبية التى تجمعت هناك لتنظيم أمر الدفاع عنها(٢٥).

وبالفعل نجح كونراد فى توحيد الصليبيين الذين تجمعوا فى صور تحت قيادته، وأقسم له الجميع يمين الولاء، وعقد أيضا اتفاقا مع الجنوية والبيازنة الذين كانوا قد وصلوا هناك، ومنحهم العديد من الإمتيازات التى جعلتهم على قدم المساواة مع البنادقة فى المدينة، لكى يشتركوا معهم فى المعارك المتوقعة. ولم يكتف كونراد بذلك، بل أخذ يقوى تحصينات المدينة وحفر الخنادق حولها، «فصارت المدينة كالجزيرة فى وسط الماء لايمكن الوصول إليها والا الدنو منها(٢٦)». وقد أثمرت

أعمال التحصين وتقوية دفاعات المدينة، واتضح ذلك عندما قام صلاح الدين بحصارها الذى استمر من ٢٥ نوفمبر ١١٨٧ إلى أوائل يناير ١١٨٨م/٢١ رمضان إلى ٢٩ شوال ٥٨٣هـ [٢٧] ولعله يستبين مما سبق أن كلا من جوتييه الثانى سيد القيسارية الإسمى ومونا خوس رئيس أساقفتها قد قاما بدور هام فى عملية تنظيم الدفاع عن صور، أملا فى صمود الصليبيين واستعادة إقطاعيته التى فقدها. فقد كان هو صاحب المصلحة الأولى فى ذلك.

وعلى الرغم من نجاح كونراد فى الدفاع عن صور، فإن الخلافات الداخلية سرعان ماظهرت مرة أخرى. إذ ثار الخلاف هذه المرة بين جاى الملك الإسمى لبيت المقدس وبين كونراد، فقد جاى إلى صور بعد أن أطلق صلاح الدين سراحه واشترط عليه ألا يشهر فى وجهه سيفا أبدا[٢٨]. وطلب جاى من كونراد أن يفتح أبواب المدينة له لكى ينضم إلى الصليبيين الذين أطلق سراحهم بعد حطين، وأولئك الذين سمح لهم بالتوجه الى صور بعد أن تساقطت معاقلهم ومدنهم، إلىَ عكا فى محاولة لاستردادها. وبدأ حصار الصليبيين لعكا فى أواخر أغسطس ١١٨٩م/ أواخر رجب ٥٨٥هـ[٢٩] . أما عن دور جوتييه الثانى سيد قيسارية الإسمى خلال هذه الفترة، فالمعروفة أنه ظل مقيما في صور حيث انضم إلى كونراد أوف مونتفرات وأصبح أحد الموالين له. ويشهد على ذلك توقيعه على العديد من الأحكام التى أصدرها كونراد فى الفترة من أكتوبر ١١٨٧م إلى مايو ١١٨٨م/ شعبان ٥٨٣ إلى ربيع الأول ٥٨٤هـ [٣٠]. أما موناخوس رئيس اساقفة قيسارية فيبدو انه توجه مع احدى السفارات الصليبية التى اخذت تتوالى على الغرب الأوروبى وقتها طالبة إنقاذ الصليبيين وغزو بيت المقدس. وهذا دور آخر يضاف إلى ماسبق أن قام به رئيس أساقفتها، فلم يتوقف دوره عند الدفاع عما تبقى من الكيان الصليبى فى الأراضى المقدسة فحسب، بل عمل أيضا على استعادة أسقفيته التى فقدها. ومن هنا تتكشف أهمية قيسارية بالنسبة لكلا الطرفين المتصارعين فوق رقعة الشرق الأدنى.

وفى ظل هذه الظروف التى عانى منها الصليبيون في الأراضى المقدسة، سواء

من ناحية تساقط مدن وقلاع المملكة الواحدة تلو الأخرى فى يد المسلمين ، أو الخلافات الداخلية التى كانت تهدد ماتبقي من هذا الكيان المتداعى، علي الرغم من زيجات المصاهرة العديدة لحرك الغرب الأوروبى. وفي صيف عام ١١٨٧م/ ٥٨٣هـ اتجه جوسياس Josias رئيس أساقفة صور على رأس سفارة من قبل كونراد أوف موتتفرات لكى يشرح للغرب أحوال الصليبيين وما حدث فى حطين. ووصل جوسياس إلى روما حيث قابل البابا جريجورى الثامن (أكتوبر ـ ديسمبر ١١٨٧م)، وبعث الأخير برسائل إلى هنرى الثانى ملك انجلترا، وفيليب أوغسطس ملك فرنسا، وفردريك بربروسا الإمبراطور الألمانى يطلب منهم المشاركة فى الحملة الصليبية الثالثة المزمع القيام بها إلى الأراضى المقدسة[٣١]. ولكن البابا جريجورى توفى بعد شهرين من اعتلائه الكرسى البابوى. وعندما تولى البابا كليمنت الثالث (١١٨٧ ـ ١١٩١م)، أرسل الى فردريك بربروسا للمشاركة فى هذه الحملة[٣٢].

وبالفعل استجاب الإمبراطور الألمانى لدعوة البابا ، وتحرك فى مايو ١١٨٩م/ ربيع أول ٥٨٥هـ متجها الى بلاد الشام، ووصلت أنباء تحركه الى صلاح الدين، وكان لها رد فعل تمثل فى شعور عام باليأس بين المسلمين وعبر المؤرخ ابن الأثير عن هذه الحالة بقوله «لما وصلت الأخبار بوصول ملك الألمان أيقنا أنه ليس لنا بالشام مقام»[٣٣]. ولكن حدث رد فعل آخر يتطلب منا وقفة قصيرة لمناقشته. فقد روت أغلب المصادر الإسلامية أن صلاح الدين أمر بتخريب قيسارية بالاضافة الى يافا وأرسوف وصيدا وجبيل، وقام بنقل سكانها الى بيروت[٣٤]. أما المصادر الأجنبية فقد ذكرت أنه أمر بتخريب أسوار اللاذقية وجبيل وطرطوس وبيروت ولم يبق فيها سوى قلاعها وأبراجها فقط.

والخلاف بين ماوراء المؤرخون العرب والمؤرخون اللاتين يدور حول قيسارية محور هذا البحث. اذ أكد الأولون أن صلاح الدين خربها، بينما لم يشر اليها الآخرون[٣٥]. ولعل ما أوردته المصادر اللاتينية أقرب إلى الصواب والمنطق. فليس من المعقول أن يأمر صلاح الدين بتخريب المدن الواقعة فى جنوب الشام،

بينما لم تكن الحملة الألمانية قد وصلت إلى شمال بلاد الشام بعد. ثم أنه من الطبيعي أن يبدأ بالمدن الواقعة في الشمال مثل اللاذقية وجبيل وطرطوس، وهي المدن التي ستكون عرضة لهجوم الحملة لوقوعها في طريق تقدمها. أما عن رواية المصادر الاسلامية الخاصة بتخريب قيسارية والمدن الأخرى الواقعة في جنوب بلاد الشام، فيبدو أنه قد التبس الأمر عليهم لان تخريب هذه المدن لم يتم الا بعد سقوط عكا في يد الصليبيين، وذلك في يوليو ١١٩١م/جماد الآخر ٥٧٨هـ.

وفي غمرة هذه الأحداث، كان موناخوس رئيس أساقفة قيسارية الإسمي قد اتجه إلى الغرب الأوروبي طالبا المساعدة لإنقاذ الصليبيين والإستيلاء على بيت المقدس مرة أخرى. وبالفعل أبحر أسطول البيازنة بقيادة أوبالدوس Ubaldus. رئيس أساقفة بيزا، وعلى ظهره موناخوس متجها إلى صور.(٣٦) ووصل الأسطول البيزوي هناك في ٦ أبريل ١١٨٩م/ ٧ صفر ٥٨٥هـ، ثم انضم بعد ذلك إلى الصليبيين في حصارهم لعكا الذى بدا في ٢٨ أغسطس ١١٨٩م / ١٣٠ رجب ٥٨٥هـ. وفي أواخر سبتمبر/ رمضان انضم كونراد أوف مونتفرات إلى الصليبيين في حصارهم لعكا(٣٧). وكان بصحبته جوتييه الثاني سيد قيسارية الاسمي لأنه كان أحد الموالين له. وهكذا أصبح جوتييه وموناخوس ضمن القوات الصليبية التى كانت تحاصر عكا، ويوضح هذا بجلاء مدى حرصهما علي حماية ما تبقى من الكيان الصليبي المنهار في الأراضي المقدسة، يحدوهما الأمل في استعادة قيسارية. وهذا يعني أن المصالح الخاصة للصليبيين اختلطت بالصالح الصليبي العام خلال هذه الفترة من الصراع. واستمر الصراع بين الصليبيين وصلاح الدين حول عكا. فقد كان الصليبيون يحاصرون المدينة لإجبار حاميتها على الإستيلاء، بينما كانت قوات صلاح الدين تهاجمهم من الخلف لإجبارهم على فك الحصار عنها. ولكن كان لوصول الملك الفرنسي فيليب أوغسطس في ٢٠ ابريل ١١٩١م/ ٢٣ ربيع أول ٥٨٧هـ والملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد في ٨ يونيو/١٣ جمادى الأولى أثر على الأوضاع حول عكا(٣٨). إذ تمكن الصليبيون بعد حوالي شهر واحد، وعلى وجه التحديد في ١٢ يوليو /١٨ جمادى الآخرة من

الإستيلاء عليها مرة أخرى[٣٩].

وأثناء الحصار الصليبي لعكا فقد جوتييه الثاني وموناخوس حياتهما. ولكننا لم نستطع أن نحدد اليوم الذى قتلا فيه[٤٠]. وهكذا، قام جوتيه الثانى منذ توليه الحكم في إقطاعيته وقبل سقوطها فى قبضة صلاح الدين بدور بارز في أحداث المملكة الصليبية. إذ شارك فى الحروب التى خاضتها ضد المسلمين في محاولة يائسة للدفاع عن كيانها الذى كان على شفا جرف هار. ولكن هذه المحاولات لم تؤت ثمارها، إذ تساقطت مدنها وقلاعها ومن بينها إقطاعيتة وتوابعها أمام حركة اليقظة الإسلامية التى حققت أهدافها زمن صلاح الدين. وقد أدرك جوتييه عدم جدوى الدفاع عن إقطاعيته فتوجه إلى صور كما سبق أن ذكرنا، ثم شارك في حصار عكا حيث لقى مصرعه هناك. أما موناخوس رئيس الأساقفة فقد أكمل دور الإقطاعية خلال هذه الفترة الإنتقالية بمشاركته في إحدى السفارات التى اتجهت إلى الغرب الأوروبى. وتمكن من إحراز النجاح فى ذلك ، حيث عاد ومعه أسطول البيازنة . ولكنه لقى نفس مصير زميله، فقتل هو الآخر أثناء حصار عكا.

ترك مقتل جوتييه الثانى أثره على الإقطاعية. إذ كان آخر من تولى حكمها من الذكور. فلم يترك أبناء من بعده يرثون الإقطاعية الاسمية. وصارت جوليانا، شقيقته، هى صاحبة الحق الشرعى فى وراثتها من الناحية الإسمية. ولكن الصراع بين جاى لوزنيان ملك بيت المقدس الإسمى وبين كونراد أوف مونتفرات ترك أثره على الإقطاعية. إذ تم الإتفاق على أن يحصل جودفرى لوزنيان شقيق جاى على إقطاعيتى قيسارية ويافا بعد استردادهما وأن يكون له الحق الوراثى بهما، بشرط تأدية ما عليهما من واجهات وحقوق تجاه الملك الصليبى.[٤١] وكان هذا اتفاقا إسميا ، وإذ كانت قيسارية آنذاك لاتزال فى قبضة صلاح الدين.

والمهم أنه عقب استيلاء الصليبيين على عكا، تقدموا صوب عسقلان لاسترداد المدن والمعاقل الصليبية التى استولى عليها المسلمون، ثم مواصلة

طريقهم إلى مدينة بين المقدس للأستيلاء عليها، وهى الهدف الذى قامت من أجله الحملة الثالثة. وبالفعل تمكن ريتشارد قلب الأسد من الاستيلاء على قيسارية فى ٣١ أغسطس ١١٩١م/٨ شعبان ٥٨٧هـ(٤٢). ووجد الصليبيون أن جزءا كبيرا من أسوارها وعددا من الأبراج بها قد تم تخريبه. فقد قام صلاح الدين بتخريبها بعد سقوط عكا. مدركا أن وجهة الصليبيين التالية سوف تكون بيت المقدس لذلك أعمل التخريب فى هذه المدن الواقعة فى طريق تقدم الحملة. ولم يقتصر الامر على ذلك بل أن سكانها المسلمون أسرعوا بمغادرتها عندما وصلتهم أنباء المذبحة التى قام بها ريتشارد، وقتل جميع الاسرى المسلمين الذين استسلموا بعد سقوط عكا. ولذلك عندما وصل ريشتارد إلى قيسارية وجدها مهجورة وتعرض جانب كبير من أسوارها للتخريب(٤٣). وظل الملك الانجليزى مقيما بها في الفترة من ٣١ أغسطس إلى ٥ سبتمبر / ٨ إلى ١٣ شعبان وجرت خلالها بعض المناوشات بين الجانبين الصليبى والاسلامى. وكان هدف المسلمين أنهاك الصليبيين، وذلك بالإغارة على الجيش الصليبى اثناء تقدمه. وساعدت طبيعة المنطقة فى إقطاعية قيسارية المسلمين على أداء هذه المهمة، بسبب كثرة الغابات والاشجار التى اختبأ المسلمون فيها وأخذوا يشنون منها الغارات المفاجئة على الصليبيين. ونتيجة لذلك فقد الصليبيون الكثير من خيولهم في هذه المنطقة. وانتظر ريتشارد حتى وصلت إليه امدادات جديدة من عكا عن طريق البحر الي قيسارية.(٤٤) ولم يقتصر الامر على ذلك، بل فقد المسلمون ايضا بعض فرسانهم. ومنهم الفارس اياز الطويل الذى حزنوا عليه حزنا كبيرا(٤٥) وواصل الصليبيون تقدمهم صوب عسقلان، وعندما بلغ ريتشارد يافا ظل مقيما بها لمدة شهرين تقريبا (سبتمبر - أكتوبر / شعبان - رمضان). وقد استغل فرصة إحرازه الإنتصار السابق في أرسوف فقام بإعادة تحصين قيسارية(٤٦). وبعد أن انتهى من أعمال التحصين، منحها لجودفرى لوزنيان شقيق الملك جاى حسب الإتفاق السابق الذي عقد بين الملكين الإنجلزى والفرنسى(٤٧).

وللأسف لم تزودنا المصادر الصليبية بالكثير من التفصيلات لما قام به جود فرى

عندما حصل علي إقطاعية قيسارية. ولم تذكر سوى اتخاذ الفرنسيين من قيسارية مقرا لهم بعد أن رحل ملكهم عائدا الي بلاده[٤٨].

وقد تأكدت أهمية قيسارية كهمزة وصل بين شمال المملكة الصليبية وجنوبها. فقد استغل صلاح الدين عودة ريتشارد إلى عكا لتسوية بعض الخلافات الداخلية التى ثارت بين الصليبيين[٤٩]. وقام بمهاجمة يافا فى ٣١ يوليو ١١٩٢م / ٢٠ رجب ٥٨٨هـ، وتمكن من دخول المدينة، وأسرعن حاميتها باللجوء الى قلعتها وأرسلت على الفور تطلب مساعدة ريتشاد الذى كان فى عكا آنذاك. وفي الحال أبحر متجها إلى يافا لنجدتها. أما القسم الرئيسى من الجيش فقد اتخذ الطريق البري من عكا متجها إلى يافا. وسرت الشائعات بأن هناك كمينا قد أعد للصليبيين عند المنطقة الممتدة من جنوب قيسارية إلى أرسوف. ولذلك توقف الصليبيون عند قيسارية انتظارا لوصول أنباء جديدة من يافا[٥٠].

وفي تلك الأثناء. نجح ريتشارد فى دخول يافا وانقاذها من هجوم صلاح الدين عليها ولم يجد صلاح الدين مفرا من الإرتداء بقواته فى ٥ أغسطس ١١٩٢م/ ٢٥ رجب ٥٨٨هـ دون أن ينجح فى استرداد يافا من الصليبيين[٥١]. وكان ريتشارد قد أرسل فى طلب النجدة من عكا، فخرج هنرى أوف شامبانيا من هناك متجها إلى يافا. ولكنه توقف عند قيسارية، حيث وصلته أنباء نجاح ريتشارد فى يافا[٥٢]، وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على أهمية قيسارية فى الربط بين شمال وجنوب المملكة الصليبية، وأنه بإمكان من يسيطر عليها أن يفصل المملكة إلى شطرين. ولذا كان حرص الصليبيين الدائم على تحصينها خلال القرن الثالث عشر الميلادى/ القرن السابع الهجرى.

وفي زحمة الاشتباكات بين الصليبيين والمسلمون ، كان ثمة مفاوضات من أجل التوصل إلي اتفاق وإنهاء الحرب، خاصة وأن ظروف الملك الإنجليزى ريتشارد لم تعد تتحمل البقاء في الأراضى اة، وقد انتهت المفاوضات، بعد أخذ ورد بينهما، بالتوصل إلي مايعرف بصلح الرملة فى ٢٢ شعبان ٥٨٨هـ / ٢ سبتمبر

١١٩٢[٥٣]. وقد نص على الآتى :

أولا : يحصل الصليبيون على المنطقة الممتدة بين يافا وعكا، وتشكل على يافا وعملها، وقيسارية وعملها، وحيفا وعملها، وعكا وعملها.

ثانيا : أن تكون الرملة واللد مناصفة بين الجانبين، وان تترك عسقلان خرابا.

ثالثا : يدخل الاسماعيلية فى الصلح من الجانب الإسلامى، وأنطاكية وطرابلس من الجانب الصليبى.

رابعا : مدة الصح ثلاث سنوات وثلاثة أشهر[٥٤].

والتساؤل الذى يطرح نفسه هنا هو : ماهو وضع إقطاعية قيسارية عقب استرداد الصليبيين لها ؟ وهل ظلت تابعة لجودفرى لوزنيان حسب الإتفاق السابق بين جاى وكونراد ؟ وللإجابة عن ذلك، نعود إلى الوراء قليلا عندما ثار الخلاف بين كونراد وجاى فى المرة الثانية، اذ عقد الملك الإنجليزى ريتشارد فى ٢٨ ابريل ١١٩٢م/١٣ ربيع آخر ٥٨٨هـ مؤتمرا فى عسقلان لبارونات وأمراء المملكة الصليبية. وقرروا اختيار كونراد لكى يكون ملكا عليهم بدلا من جاى وتمت موافقة ريتشارد على ذلك، ولكن كونراد لم يهنأ طويلا بهذا المنصب، اذ اغتيل بعدها بفترة وجيزة، ثم تولي هنري صاحب شامبانيا حكم المملكة الصليبية[٥٥]. أما جاى فقد عوضه ريتشارد باعطاءه جزيرة قبرص بدلا من عرش المملكة. ومن المرجح أن هذا الموقف المعادى لجاى من جانب بارونات المملكة قدترك أثره على شقيقه جودفرى الذى كان قد حصل على قيسارية وتوابعها كإقطاع من الملك الانجليزى ريتشارد. ولكن جوليانا صاحبة الحق الشرعى فى الاقطاعية ظهرت على المسرح مطالبة باستعادة اقطاعيتها بعد أن قتل أخوها جوتييه الثانى دون أن يترك من يخلفه. وبالفعل استطاعت جوليانا أن تستعيدها بمساعدة صلاح الدين الأيوبى. وتثور عدة تساؤلات حول هذا الاتصال الذى تم بينهما وبين السلطان الأيوبى : فمتى تم ذلك؟ وكيف؟ وماذا ترتب عليه من نتائج؟.

وللأسف ، فان المصادر، سواء صليبية أو عربية، لم تمدنا بتفصيلات كثيرة تسمح بالإجابة عن هذه التساؤلات. فكل ماعثرنا عليه لم يتعد سطرا أو بعض سطر لاتشفى غليل الباحث. أما المصادر الصليبية التى أشارت إلى إعادة صلاح الدين إقطاعية قيسارية إلى سادتها السابقين فلم تسر إلى ذلك إلا فى بضع كلمات. فتاريخ هرقل ـ مثلا ـ ذكر أن «صلاح الدين أعاد قيسارية إلى سادتها السابقين»[٥٦] ولم يحدد حتى إسم جوليانا وريثة الإقطاعية، ولكن ظهور جوليانا بعد صلح الرملة مباشرة كسيدة للإقطاعية (١١٩٢ ـ ١٢١٣م / ٥٨٨ ـ ٦١٠هـ) يوضح أنها هى التى استردت الإقطاعية من صلاح الدين. أما المصادر العربية، من معاصرة، فلم تشر ولو كلمة واحدة إلى حدوث مثل هذا الاتصال. ولكنها أمدتنا بمادة كافية عن الإتصالات التى كان يقوم بها رينالد سيد صيدا الإسمى كرسول عن كونراد أوف مونتفرات. ولكنها لم تشر إطلاقا إلى أنه طلب أعادة إقطاعية قيسارية إلى جوليانا وريثتها الشرعية[٥٧]. وعلى الأرجح أن هذا الإتفاق قد تم بعد توقيع صلح الرملة. فقد أخذ الفرنج فى التردد على صلاح الدين لزيارة بيت المقدس «فكان يرد كل يوم منهم مجموع كثيرة مقدمون وأوساط وملوك متنكرون. وشرع السلطان فى إكرام من يرد. ومد الطعام لهم. ومباسطتهم ومحادثتهم ..»[٥٨]، وغير خاف أن هذه كلها احتمالات أراد أن يستغل الخلافات الداخلية القائمة بين الصليبيين بإعادة هذه الإقطاعيات إلي سادتها السابقين مما يزيد من حدة هذه الخلافات. وهذا ماسوف يتضح فيما بعد.

ويتولى جوليانا حكم قيسارية تبدأ فترة جديدة فى تاريخ الإقطاعية الصليبية وعلاقتها السياسية بالمسلمون في الشرق الأدنى. لقد غدت مملكة بيت المقدس عبارة عن شريط ساحلى ضيق يمتد من يافا جنوبا إلى عكا شمالا. وانتقلت العاصمة من بيت المقدس إلى عكا، مما يعنى توجيه المزيد من الاهتمام إلى النواحى الاقتصادية والتجارية بدلا من النواحى الدينية التى كانت سائدة من قبل[٥٩]. يدل هذا على بروز الجانب المادى إلى جوار الجانب السديني. وإذا عقدنا مقارنة بين وضع الإقطاعية في المملكة الصليبية قبل وبعد صلح الرملة نجد أنها

فى هذه المرحلة التالية، أى بعد صلح الرملة، أصبحت أكبر اقطاعيات المملكة الصليبية الاسمية. فقد فاقت عكا نفسها من ناحية المساحة، ولكن اهمية عكا من الناحية التجارية جعلتها عاصمة المملكة الصليبية. كما ان التغيير في هذه المرحلة وما تلاها من مراحل أخري فى تاريخ الإقطاعية، أصبح يتمثل فى متاخمة حدودها لحدود المسلمين في بلاد الشام بعد أن كان يفصل بين الفريقين عدة إقطاعيات صليبية خلال الفترة الأولي من تاريخها مما جعلها بمنأى من هجمات المسلمين عليها.

وقد اضطلع ايماردى لايرون بدور الإقطاعية في علاقتها السياسية للمسلمين في هذه المرحلة الانتقالية من تاريخها. فقد تزوج من جوليانا وريثة الإقطاعية (١١٩٣ ـ ١٢١٣م/ ٥٨٩ ـ ٦١٠هـ). وورد ذكره وهو يحمل لقب سيد قيسارية لأول مرة في الوثائق الصليبية فى عام ١١٩٣م/٥٨٩هـ.[٦٠] وبمرور الوقت أصبح أحد القواد البارزين في المملكة الاسمية، ويشهد على ذلك توقيعه على العديد من أحكام ملوك بيت المقدس الاسميين. فقد وقع احكاما للملك هنرى صاحب شامبانيا (١١٩٢ ـ ١١٩٧م/٥٨٨ ـ ٥٩٤هـ) ثم للملك عمورى الثانى لوزنيان (١١٩٧ ـ ١٢٠٥م/٥٩٤ ـ ٦٠٢هـ). وأخيرا عاصر السنوات الثلاث الأولى من عهد جان دى برين صاحب عكا والملك الاسمى لبيت المقدس (١٢١٠ ـ ١٢٢٥م/٦٠٦ ـ ٦٢٢هـ)[٦١].

ويلاحظ أن نشاط إيماردى لايرون خلال الفترة التى كان يحمل فيها لقب سيد قيسارية كان فى أغلبه موجها إما فى داخل إقطاعيته، أو للمشاركة فى أحداث المملكة الصليبية. ولاشك أن ذلك كان مرتبطا بأحوال الجانبين الصليبى والاسلامى. فقد انشغل سيف الدين العادل بن أيوب (٥٩٦ ـ ٦١٥هـ/١٢٠٠ ـ ١٢١٨م) بمحاولة رأب الصدع فى البيت الأيوبى بعد وفاة صلاح الدين. ولذلك آثر العادل سياسة المهادنة مع الصليبيين. ولم يكن هؤلاء بأقل رغبة منه فى اتباع نفس السياسة. ولكن وصول الحملة الألمانية عكر صفو العلاقات قليلا بين الجانبين. وقد أسفرت هذه الحملة عن استعادة الصليبيين لجبيل وبيروت. بينما نجح العادل فى

استرداد يافا مرة أخرى فى شوال ٥٩٣هـ / أغسطس ١١٩٧م. وكان الصليبيون قد أسرعوا إلى قيسارية على أمل إنقاذ يافا، ولكن الأخبار وصلت إليهم بسقوطها فعادوا أدراجهم دون أن ينجحوا في استردادها(٦٢). ويوضح هذا، مرة أخرى، مدى أهمية قيسارية كحلقة وصل بين شمال وجنوب المملكة. وقد أدرك الملك الصليبى الجديد عمورى الثانى لوزنيان ضرورة عقد الصلح مع المسلمين لحاجته إلي فترة تلتقط فيها المملكة أنفاسها اللاحقة. كما أن العادل كان هو الآخر حريصا على التوصل إلى اتفاق مع الصليبيين لكى يعيد تنظيم البيت الأيوبى مرة أخرى. ووافق الطرفان علي عقد معاهدة جديدة بينهما في ٢٤ شعبان ٥٩٤هـ / أول يوليو ١١٩٨م. واحتفظ فيها كل جانب بالفتوحات الجديدة فحصل الصليبيون على جبيل وبيروت، وحصل المسلمون علي يافا مع أقتسام صيدا مناصفة بينهما(٦٣).

وظلت الأوضاع هادئة بين الجانبين فترة من الوقت، خاصة بعد أن غيرت الحملة الصليبية الرابعة في عام ١٢٠٤م/ ٦٠٠هـ وجهتها إلى القسطنطينية بدلا من مصر. كما أن العادل التزم بسياسة الدفاع وتجديد الهدنة كلما انقضى أجلها، وأن كانت هذه الفترة لم تخل من حدوث بعض الاشتباكات بين الجانبين(٦٤). ولعل هذا يفسر عدم ظهور نشاط ملحوظ لايماردى لايرون سيد قيسارية فى علاقاته بالمسلمين. كما أن أحوال الإقطاعية بعد استردادها من المسلمين جعلته ينصرف مع زوجته جوليانا للإهتمام بالنواحى الداخلية إلي حد كبير. فقد حرصت سيدة الإقطاعية على التقرب من الجماعات الدينية العسكرية. ففي عام ١٢٠٦م/ ٦٠٢هـ منحت لجماعة الفرسان التيوتون هبة عبارة عن منزل وبعض الأراضى، وذلك بموافقة زوجها وإبنها جوتييه الثالث(٦٥). وفي العام التالى (١٢٠٧م/ ٦٠٣هـ) قامت بمنح جماعة الإسبتارية مساحة من الأراضى ومنزلا فى كفر لات الواقعة في إطاعيتها وكذلك قلعتى فرعون وحلبة . Seingibis (٦٦)، ويبدو أن ذلك كان بمثابة تقرب لهذه الجماعات الدينية العسكرية . إذ أرادت أن تثبت حسن نواياها حيالها حتى توافق هذه الجماعات على إقراضها الأموال عندما تحتاج

إليها[٦٧]. كما أن هناك ناحية أخرى دفعت جوليانا وإيمار سيد قيسارية للتقرب من هذه الجماعات الدينية، وهى أنها كانت تمتلك الإمكانيات العسكرية التى تؤهلها للدفاع عن الصليبيين في الأراضى المقدسة، خاصة بعد أن تضاءلت ممتلكات الأمراء والسادة الإقطاعيين ولم تعد كما كانت قبل حطين. ولذا فقد حرصت سيدة الاقطاعية على التقرب منها للاحتماء بها عند تعرض الإقطاعية لأى خطر يهددها، أو لتقترض منها اذا دعت الضرورة الى ذلك.

وقد تمكن إيماردى لايرون سيد الإقطاعية بحكم أهمية إقطاعيته من أن يحصل على منصب مارشال المملكة، وذلك عندما ظهر في الوثائق الصليبية عام ١٢٠٦م/ ٦٠٢هـ وهو يحمل لقب «مارسال المملكة Caesareensis regni marescalcus»[٦٨]. وإبراز لدوره في أحداث المملكة الصليبية الاسمية، نجد أنه تم اختياره على رأس سفارة للذهاب إلى فرنسا لمقابلة ملكها فيليب أوغسطس لاختيار زوج لوريثة المملكة المسماة ماري. وبالفعل تم اختيار جان دى برين زوجا لها. ووصل جان إلى الأراضى المقدسة حيث تزوج من ماري، وظهر ايمار سيد قيسارية في هذا الحفل في أكتوبر ١٢١٠م. ربيع الآخر ٦٠٧هـ[٦٩]. يوضح هذا إلي أى مدى كان يستمد الشخص الذي يتولى حكم إقطاعية قيسارية أهميته من حكمه لها.

وقبل وصول جان دى برين إلى الأراضى المقدسة بحوالي شهرين، كانت المعاهدة المعقودة مع الصليبية على وشك الإنتهاء. وأراد العادل أن يجدد المعاهدة ، غير أن الصليبيين اختلفوا فيما بينهم على ذلك. وأدرك الملك الصليبى الجديد حاجته الفعلية لتجديدها حتي يستبين الموقف أمامه وتتضح أبعاده، خاصة وأن العادل كان قد شرع في بناء حصن قوى فوق جبل الطور المطل على عكا[٧٠] وكان لهذه الظروف أثرها على جان دى برين فوافق على تجديد الصح لمدة ست سمنوات أخرى تنتهى فى عام ١٢١٧م/٦١٤هـ.

ولاشك أن بناء حصن الطور قد ترك أثره على مملكة بيت المقدس الاسمية عامة، وعلى إقطاعية قيسارية بصفة خاصة. فقد أحكم المسلمون قبضتهم على

عكا والمناطق المجاورة لها، وأصبح بوسعهم شن الهجوم على المملكة الصليبية فى أى وقت يريدون. أما عن تأثيره على إقطاعية قيسارية، فقد كانت المنطقة الواقعة شمال الإقطاعية، وبصفة خاصة عند وادى فلاح بداية حدود الإقطاعية، منطقة ضعيفة من الناحية الإستراتيجية. لذا كانت عرضة لأى هجوم من جانب المسلمين. وجاء بناء حصن الطور عاملا زاد من ضعفها، لذلك بإحكام المسلمين قبضتهم على شمالها. ولذلك حرص الصليبيون على تقويتها، وقاموا ببناء واحدة من أقوى قلاعهم فى القرن الثالث عشر الميلادى/ السابع الهجرى، وهى قلعة الحجاج أو عثليت. وقد عهدوا بها إلى جماعة ثالفرسان الداوية لما اشتهر به رجالها من شجاعة فى القتال حتى لقد عرفوا بين جيرانهم المسلمين بذلك، وكان المسلمون إذا أبلوا بلاء حسنا فى القتال تصفهم المصادر الإسلامية بقولها انهم كانوا«داوية الإسلام » نسبة إلى داوية الفرنج.

على أية حال ، لم تعش جوليانا سيدة قيسارية طويلا بعد بناء هذا الحصن. وقد لجأت فى أواخر عهدها إلى الاستدانة من جماعة الفرسان الاسبتارية . ففى عام ١٢١٢م/٦٠٨ ـ ٦٠٩هـ، تقدمت وزوجها ايماردى لايرون سيد قيسارية للحصول على مبلغ ألفى بيزنط وبعض السلع، ورهنا مقابل ذلك منازل لهما فى عكا وصور بالاضافة إلي قلعة طولكوم الواقعة فى إقطاعيتهما(٧١) . وفى العام التالى تقدمت جوليانا للحصول على مبلغ آخر يقدر بألف بيزنط من نفس الجماعة، ورهنت مقابله قلعتى كفرلات والسامرة الواقعتين فى إقطاعيتها(٧٢) . ومما لاشك فيه أن انكماش ممتلكات الصليبيين في الأراضي المقدسة بعد حطين كان عاملا هاما فى تناقص موارد المملكة من ناحية وموارد البناء من ناحية أخرى، وكانت الجماعات الدينية العسكرية، أمثال الداوية والاسبتارية والتيوتون وغيرها، هى التى تمتلك الإمكانيات المادية، فلجأ البنلاء والأمراء بصفة مستمرة للإستدانة منها. وربما كانت أحوال الإقطاعية الداخلية هى التى دفعت جوليانا للإستدانة، فقد كانت الإقطاعية فى حالة سيئة بعد استعادتها من المسلمين، وبصفة خاصة قيسارية المدينة الرئيسية بها، والتى كان جانب كبير من أسوارها قد تهدم وكذلك

أبراجها. وعلى ذلك فان هذه الأموال كانت للصرف على إعادة التحصينات من ناحية، ولكي تساهم سيدة الإقطاعية بدورها في المملكة الصليبية من ناحية أخرى وأداء ماعليها من واجبات تجاه تاج بيت المقدس. وكان آخر ظهور لجوليانا في هذه الوثيقة السابقة، إذ توفيت في ١٢١٣م/٦١٠هـ(٧٣). أما زوجها ايمارى دي لايرون فانه فقد لقبه الذى قد حصل عليه بحكم زواجه منها(٧٤). وتولى بعدها إبنها جوتييه الثالث حكم الإقطاعية، ولكن أول ظهور له كسيد لقيسارية كان في عام ١٢١٦م/٦١٣هـ. ومما لاشك فيه انه تولى حكم قيسارية عقب وفاة والدته. ولكنه كان مشغولا وقتها في قبرص. إذ كان كند سطبلها لقبرص ، وهو اللقب الذى كان يوقع به على الوثائق الصليبية منذ عام ١٢٠٦م/٦٠٢ - ٦٠٣هـ(٧٥) وبتولى جوتييه الثالث حكم قيسارية تبدأ الفترة الثانية الحقيقية للحكم الصليبى في الإقطاعية وقد اتسمت هذه الفترة بحدوث الكثر من التغييرات فيما يتعلق بعلاقة الإقطاعية بجيرانها اللمسلمين.

ومما لاشك فيه أن المرحلة الإنتقالية في تاريخ إقطاعية قيسارية، والتى تعرضنا لها على مدى الصفحات السابقة، كانت مرحلة هامة. وقد تركت بصماتها واضحة على سياسة الإقطاعية في المرحلة التالية من الحكم الصليبى لها. وعلى الرغم من قصر الفترة الزمنية خلالها، التى لم تتعد الأربع سنوات فان الملاقات بين المسلمين والصليبيين وقتذاك كان لها أثرها المباشر على الدور الذى أدته الإقطاعية على مسرح الصراع في منطقة الشرق الأدنى.

هوامش الفصل الثالث

(١) ظهر جوتييه الثاني في الوثيقة وهو يحمل هذا الاسم :

Gattrivis Caesaree Palasestine dominus, Hugonis domini bone memorie enisdem cecaree quondam domini fillus"

وترجمتها : «جوتييه (الثاني) سيد قيسارية فلسطين، ابن السيد هيو صاحب الذكرى العطرة سيد قيسارية». عن ذلك «نظر :

Rohricht, Regesta, doc. 618, La Monte, Lords of Cawsarea, P. 15.

وعن موقع هذه القلعة أنظر خريطة رقم ٣.

(٢) كان صلاح الدين الأيوبي قد خرج من مصر في الخامس من المحرم ٥٧٨هـ/١٢ مايو ١١٨٢م، وكان ذلك آخر عهده بها، فلم يعد إليها بعد ذلك. واتجه الى حصن جيش جلدك وتمكن من استرداده، كما قام بمهاجمة طبرية. ووصل الى دمشق في صفر ٥٧٨هـ / يونيو ١١٨٢م. واتجه بعد ذلك الى شمال بلاد الشام حيث حاول ضم حلب والموصل والرها وحران وسروج وذلك لاستكمال توحيد الجبهة الإسلامية، حتى يتفرغ لمواجهة الصليبيين. وللمزيد عن ذلك أنظر :

ابن الأثير : الكامل ، جـ أ ، ص ١٥٥، ابن شداد : النوادر السلطانية، ص ٥٦ :
ابن الجوزي : مرآة الزمان . جـ ٨ ، ق ١ ، ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣، ص ٥٧ ، ٥٨

(٣) Grousset, op. cit., Vol. II, p. 418: Runciman, op. cit., Vol. II, pp. 434 - 35
Rohricht, Geschichte des Königreichs Jerusalem, p. 604.

(٤) ابن الإثير : الكامل ، جـ أ ، ص ١٥٦، ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٦١ ، ٦٢، ابو شامة : الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٥ .

(٥) William of Tyre, Vol. II, pp. 496 - 97.

(٦) بلغ عدد الفرسان الصليبيين ألفا وثلاثمائة فارس، بخلاف المشاة الذين بلغ عددهم خمسة عشر ألفا. وضم هذا الجيش ريموند الثالث أمير طرابلس، ورينالد دى شايتون المعروف باسم أرناط في المصادر العربية، وبلدوين ابلين سيد الرملة، وباليان أوف نابلس، ورينالد سيد صيدا، وجولسلين المستشار الملكي. وللمزيد أنظر :

(٧) ابن الأثير : الكامل، جـ أ ، ص ١٥٦، أبو شامة : الروضتين ، جـ٢ ص ٥ ، وأيضا أنظر:

Richard, op. cit., Vol. I, pp. 55 - 56: Duggan, op. cit, pp. 147 -48.

(٨) William of Tyre, Vol. II, pp. 497 - 98

نشأت علاقة حب بين سيبلا وبلدوين إبلين سيد الرملة منذ حوالي عام ١١٧٩م/٥٧٤ - ٥٧٥هـ، ولكن بلدوين وقع في أسر المسلمين عند مرج عيون، ووعد بأداء فدية نظير اطلاق سراحه. وذهب إلى بيت المقدس للحصول على المبلغ المطلوب منه، ولكنه فشل في الحصول

عليه، فاتجه بعد ذلك إلى القسطنطينية للحصول على هذا المبلغ من الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين. وبالفعل أعطاه له، فعاد حيث قدم المبلغ وتم اطلاق سراحه. وعندما عاد وجد أن سيبلا قد خطبت إلى جاى لوزنيان. وللمزيد عن ذلك وأثره على أحوال المملكة الصليبية ، أنظر :

Runciman, op. cit., Vol. II, p. 423, n.2; la Monte, Lords of Caesarea, p. 151; Richard, op. cit., Vol. II, p. 167.

(٩) La Monte, Lorde of Cawsarea, p. 151; Rey Famillies p. 279.

(١٠) William of Tyre, Vol. II, p. 498.

(١١) كان الاتفاق الذى عقد بين جاى لوزنيان والملك الصليبى بلدوين الرابع، هو أن يحصل بلدوين على مدينة بين المقدس ودخل سنوى قدره عشرة آلاف بيزنط وللمزيد عن ذاك أنظر :

(١٢) Roger of Wendocer, Flowers, Vol. II , p. 54; Jacques de Vitry, the History of Jerusalem, pp. 98 - 99, cf. also : Runciman, op.cit., Vol. II p. 440; La Monte Feudal Monarchy, p. 31

(١٣) Runciman op. cit. ., vol. II, PP. 446 - 47.

(١٤) تكون الفريق الأول من هرقل وأرناط صاحب الكرك وجوسلين دى كورنتاى وسيبلا، فقد تمكنوا من احكام سيطرتهم على صور وبيروت وعكا. أما الفريق الثانى فكان يتألف من ريموند الثالث وايزابيلا شقيقة سيبلا وزوجها همفرى أوف ثارون وبلدوين ابلين وريناالد سيد صيدا وجوتييه الثانى سيد قيسارية. وعرض هؤلاء على همفرى أن يكون ملكا بحكم أحقية زوجته ايزابيلا فى وراثة عرش المملكة غير أن همفرى رفض ذلك واتجه إلى بين المقدس حيث أدى يمين الولاء لجاى وسيبلا. وبذلك فشل الفريق الثانى فى تحقيق هدفه، وأذعن أنصاره فى نهاية الأمر لجاى وسيبلا. عن ذلك أنظر : روبرت كلاى : فتح القسطنطينية على يد الصليبيين، ترجمة وتعليق د. حسن حبشى، القاهرة ١٩٦٤، ص ٧١ ، ٧٢. وأنظر أيضا : سعيد عاشور : الحركة الصليبية، جـ ١ ص ٧٩٤ . ٧٩٥، وكذاك :

Röhricht, Geschichte des Königreichs Kerusalem, pp. 416 - 21; Runciman, op. cit Vol. II, pp. 447 - 49.

(١٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ أ ، ص ١٧٤.

(١٦) ذكرت المصادر الاسلامية أن هؤلاء الأسرى : جاى ملك الفرنج وأخاه والبرنس أرناط وصاحب جبيل ومقدم الداوية، ولاشك أن سيد قيسارية لو كان ضمن الأسرى لأشارت اليه المصادر الاسلامية. أنظر : أبو شامة : الروضتين ، جـ ٢، ص ٨٠، ابن الأثير : الكامل ، جأ ، ص ١٧٨ ، ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٢٦.

(١٧) Röhricht, Regesta, doc. 659; La Monte, Lords of Caesarea

(١٨) البنداري : سنا البرق الشامي، تحقيق د. فتحية النبراوي ، القاهرة ١٩٧٩، ص ١٠٤، العماد الاصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، القاهرة ١٩٦، ص ٩٤ ، ١٩٩، ابن شداد : النوادر السلطانية، ص ٢٤٨، ابن الأثير : الكامل ، جـ أ ، ص ١٧٩، ١٨٠، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٢، ص ٢٠٢، ابن العديم : تاريخ حلب ، جـ ٣ ، ص ٩٧، المقريزي : السلوك في معرفة دول الملوك، ق ١ ، جـ ١ ص ٩٤، العليمي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ٢ جـ في مجلد واحد، عمان ١٩٧٣، ج(١ ، ص ٣٢٤، العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، جـ ٢١ ، لوحة ٣٨، بامخرمة : قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، جـ ٤ ، ورقة ٣٤٥، ابن دقماق : الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، ورقة ٩٢، العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، جـ ٢٧، ق ١ لوحة ٨٢.

(١٩) Benedicti petroburgensis Abbatis, Vita et Gestis Henrici II Angliae Regis, cf. R. H. G. F., Vol. XVII, Paris, 1878, pp. 476 - 77; Radulphi Coggeshalae Abbatis, Chronico Anglicano, cf. R. H. G. F. Vol XVIII p. 60; Roger of Hoveden, Annals, Vol. II, pp. 66 - 67. cf. also: Beyer, Das Gebiet Caesarea pp. 40 - 41, Benvenisti, op. cit., pp. 137-38; Stevenson, op. cit., 250; King., op. cit., p. 129.

(٢٠) العماد الأصفهاني : الفتح القسي. ص ١٩٩ ـ ٢٠٠.

(٢١) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٢٠٨.

(٢٢) ابو شامة الروضتين ، جـ٢ ، ص ١٥٧ ، المقريزي : السلوك، ق ١ ، جـ ١ ، ص ١٠٤ ، العليمي : الانس الجليل بتاريخ القدى والخليل، ص ٣٦٥،

(٢٣) Beyer, op. cit., p. 5.

(٢٤) روبرت كلاري : فتح القسطنطينية ، ص ٧٣ ـ ٧٤، وأنظر أيضا Radulphi Coggeshales, Chronico Anglicano, p. 60; cf. also : Rohricht, Regesta, doc. 665; La Monte, Lords of Caesarea, p. 151; Richard, op. cit., the Lion-heart, London, 1978; p. 170

(٢٥) Röhricht, Regesta, doc. 665.

(٢٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ أ ، ص ١٨٦.

(٢٧) غادر صلاح الدين بيت المقدس في ٣٠ أكتوبر ١١٨١م/٢٦ شعبان ٥٨٣هـ وذلك لحصار صور للمرة الثانية. وبلغها في ١٢ نوفمبر/٩رمضان، وظل من ١٢ إلى ٢٥ نوفمبر / ٩ إلى ٢١ رمضان يعد آلات الحصار وينتظر وصول قوات أخرى اليه لحصار المدينة. وفي ٢٥ نوفمبر / ٢١ رمضان بدأ يتخذ مواقعه حولها. ثم كان بدء الهجوم

الفعلى فى ٢٩ ديسمبر/٢٦ شوال. وبعد عدة أيام انسحب صلاح الدين عندما فشل فى استرداد المدينة، كما تلقى الأسطول الأيوبى ضربة شديدة من الأسطول الجنوى الذى كان مرابطا آنذاك فى ميناء المدينة. وفى أوائل يناير ١١٨٨م/أوائل ذى القعدة ٥٨٣هـ إنسحب صلاح الدين من أمام المدينة. للمزيد عن ذلك أنظر : البندارى : سنا البرق الشامى، ص ٣١٧، ٣٢٠، ابن الجوزى : مرآة الزمان، ق ١، جـ ٨ ، ص ٤٠٠ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٨٦، ١٨٧ ، العليمى : الأنس الجليل، جـ ١ ص ٣٢٦، ٣٢٧، روبرت كلارى : فتح القسطنطينية، ص ٧٤ ـ ٧٦ وأيضا أنظر :

Röhricht, Geschichte des Königreichs Jerusalem, pp. 467-72 ; Stevenson, op.cit., pp. 254 - 55.

(٢٨) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩٨.

(٢٩) أنظر مايلى ص ١٥٥ من الكتاب.

(٣٠) Röhricht, Regesta, docs. 665. 666. 667, 668. 675, La Monte Lords of Caesarea, p. 151, n. 44.

(٣١) توالت السفارات على الغرب الأوروبى قبيل وبعد حطين . ففى ديسمبر ١١٨٥م/ رمضان ٥٨١هـ خرجت سفارة على رأسها هرقل البطريرك اللاتينى لبيت المقدس. وقابل هرقل الامبراطور الألمانى فردريك باربا روسا وشرح له أحوال الصليبيين، وطلب منه ارسال المساعدات العاجلة لهم. كما ت على الغرب الخطابات بعد معركة حطين وماحل بالصليبيين من كوارث. ومن أمثلتها خطاب من بطريرك أنطاكية الى الملك الإنجليزى هنرى الثانى شرح له فيه كارثة حطين، وطلب منه ارسال المساعدات، أو التوجه على رأس حملة لانقاذهم. بخلاف ماأرسله فرسان الداوية والاسبتارية إلى الغرب أيضا طالبين إنقاذ البقية من الكيان الصليبى فى الأراضى المقدسة. أنظر:

Roger of Wendover, Flowers, Vol. II, pp. 56 - 7; Roger of Hoveden, Annals, Vol. II, P. 46; cf. also: Röhricht, Regesta, doc. 646; Stevenson, op. cit., p. 260; Conder, op. cit., pp. 251 - 52.

(٣٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية، جـ٢، ص ٨٤٩ ـ ٨٥٠.

(٣٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٠٨.

(٣٤) ابو شامة : الروضتين ، جـ٢ ، ص ١٥٧، العليمى : الأنس الجليل، جـ١ ، ص ٣٦٥، المقريزى : السلوك ، ق ١ جـ ١ ص ١٠٤.

(٣٥) Jacques de Vitry, The History of Jerusalem, pp. 110 -111 Geoffrey de Vinsauf, Richard Coeur de Lion, pp. 222 - 23; Eracles, L;Estoire de Eracles Emperour et la conqueste de la Terre d'Outremer, cg, R.H.C. - H. Occ., t.II, Paris, 1859, p. 140; cf. also : Röhricht, Geschicht des Königrei chJerusalem, p. 52 0. n, 4; saevenson, op. cit., pp. 264, 275.

(٣٦) أبحر هذا الاسطول من ميناء ترسكانا الإيطالي في سبتمبر ١١٨٨م/رجب ٥٨٤هـ وكان مكونا من خمسين سفينة وعلى ظهره الكاردينال أدلارد Adelard وبجواره رئيس أساقفة رافنا، بالإضافة إلى حجاج آخرين من إيطاليا. وكان يصحبهم ألفا حاج من بولونيا . عن ذلك أنظر :

Röhricht, Geschichte des Königreichle Jeuraleism, p. 490, n. 3 - 4; Runciman, op. cit., Vol. III; pp. 21 - 22.

(٣٧) La Montr, Lorde of Caesarea, pp. 151 - 62.

(٣٨) Roger of Wendover, Flowers, Vol. II, PP. 105-6; Devizes, Chronicles of the Crusades, London, 1848, p. 40; Jacques de Vitry, The History of Jerusalem, pp. 107-8; cf. also ; Runciman, op. cit., Vol. III, pp. 20 - 30.

(٣٩) Andreae Silvil Prioris Marchianesis, De Gestis et Snecessione Regum Francrum, cf. R.H.G.F. Vol. XVIII, p. 557.

وأيضا : الاصفهاني : الفتح القسي، ص ٥١٣، ابن شداد : النوارد، ص ١٧١، ابو شامة الروضتين، جـ ٢ ، ص ١٨٨، تاعيني : عقد الجمان ، جـ ٢١ ، لوحة ١١٦، ابن بهادر : فتوح النصر ، ورقة ٦٧.

(٤٠) أختلفت آراء المؤرخين المحدثين حول تاريخ وفاة جوتييه الثاني فيري البعض أنه قتل في اليوم الذي استرد فيه الصليبيون عكا، أي في ١٢ يوليو/ ١٨ جمادي الآخة. بينما يرى ريRey أنه مات قبل ١١٨٩م، ٥٨٥هـ، ويعتمد في ذلك على وثيقة أعطى فيها جوتييه الثاني منحة لجماعة الفرسان الإسبتارية ووقع عليها جاي لوزنيان. ولكن جاي كما يقول جون لامونت، كانت ملكا حت عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ، وعلى ذلك فإن وفاة جوتييه قد حدثت بعد ذلك. أما باير فيحدد عام ١١٩٠م/٥٨٦هـ كتاريخ لمقتل جوتييه الثاني، وهو رأي قريب إلى حد كبير من الصواب. عن ذلك أنظر:

La Monte, Lords of Caesarea, p. 152. n. 45, Rey, Les Famillies, p. 279; Beyer, op. cit., pp. 22,37.

(٤١) تم الاتفاق بين الملكين الإنجليزي والفرنسي على أن يكون جاي ملكا أثناء حياته وليس لأبنائه من بعده حق وراثه التاج. كما اتفق على تقسيم ايرادات المملكة بين جاي وكونراد فيما عدا الايرادات الخاصة بحقوق التاج فهي من حق جاي وحده. أما كونراد فيحصل على صور وصيدا وبيروت، وأن يكون له حق توريها من بعده لأبنائه، إذ لم تكن هذه المدن وقتذاك في قبضة الصليبيين. وقد أشارت بعض المصادر الصليبية إلى أنه حصل على يافا وعسقلان بدلا من قيسارية. وللمزيد عن ذلك أنظر :

Roger of Hoveden, Annals, Vol. II, 217 ; Benedicti Petroburgensis, Vita et Gestis Henrici II, p. 526; Roger of wendover, Flowers, Vol. II, P. 217;

Ambroise, the crusade of Richard, pp. 210 -211; Devizes, Chron. pp. 42 - 43.

(٤٢) Ambroise, the Crusade of Richard, p. 486.

(٤٣) Roger of wendover, Flowers, Vol. II, p. 107; Geoffrey de Vinsauf, Richard, pp. 222 - 23 ; cf. also Hasard, op. cit, p. 86.

(٤٤) العماد الصفهاني : الفتح القسي ، ص ٥٣٢، ابن شداد : النوادر ، ص ١٧٩ . ١٨٠، ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ص ٢١٥، ابن الجوزي : مرآة الزمان، ق ١ ، جـ ٨، ص ٤٠٨ . ٤٠٩، ابن واصل : مفرج الكروب. جـ ٢ ص ٣٦٥، ابو شامة : الروضتين، جـ٢، ص ١٩٠، العليمي : الانس الجليل، جـ١، ص ٣٧٨.

(٤٥) ذكر ابن الاثير أن اياز الطويل قتل عند أرسوف بخلاف ما أشارت إليه المصادر العربية الاخرى من انه قتل اثناء تقدم الصليبيين عند قيسارية. انظر : ابن الاثير : الكامل، جـ٩ ص ٢١٦، أبو شامة : الروضتين، جـ٢ ، ص ١٩٠ وأيضا :

Geoffrey de Vinsauf, Richard, p. 224; Ambroise, The Crusade of Richard, p. 245.

(٤٦) أشارت المصادر العربية إلى تحصين ريتشارد ليافا فقط، بينما أضافت المصادر الأجنبية قيسارية. أنظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢١٦، ابن العديم. : تاريخ حلب ، جـ٣ ، ص ١٢٠ ، وكذلك :

Roger of Hoveden, Annals, Vol. II, p. 262.

(٤٧) Roger of Hoveden, Annals, Vol. II, p. 262.

(٤٨) Geoffrey de Vinsauf, Richard, p. 320.

(٤٩) ثارت الخلافات من جديد بين جاي وكونراد، وسرعان ما تدخل فيها البيازنة والجنوية والفرنسيون. فقد أيد الجنوية والفرنسيون كونراد، بينما أيد البيازنة جاي. وأسرع ريتشارد عائدا إلى عكا عندما بلغته هذه الانباء، وكان آنذاك في قيسارية. وللمزيد عن ذلك أنظر :

Geoffrey de Vinsuf, richard, p. 252; Ambroise, the Crusade of Richard, pp. 315-16.

(٥٠) لم تشر المصادر الإسلامية إلى وجود هذا الكمين فيما بين قيسارية وأرسوف، وذكر ابن شداد أن قايماز النجمي كان يحرس المنطقة عند عكا ، وقد أبلغ صلاح الدين بأنباء تحرك ريتشارد إلى يافا. عن ذلك نظر : ابن شداد : النوادر ، ص ٢٢٦، ٢٢٧. أيضا :

Roger of wendover, Flowers, Vol. II, pp. 119 - 120; Roger of Hoveden, Annals, Vol. II, p. 268.

(٥١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٢١، ابن الجوزي : مرآة الزمان، ق١ ، جـ٨ ، ص ٤١٦، ٤١٨، أبو شامة : الروضتين، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ . ٢٠١. أنظر أيضا :

Benvenisti, op. cit., pp. 284 - 85.

(٥٢) Geoffrey de Vinsauf, Richard, p. 320; cf. also: painter, the third Crusade, in Setton, Vol. II, p. 84; Stevenson, op. cit., p. 284-85.

(٥٣) تم التوصل إلى هذا الصلح فى ١٨ شعبان/٢٩ أغسطس، وتم التوقيع على المعاهدة فى ٢ سبتمبر /٢٢ شعبان. ورفض ريتشارد أن يقسم على المعاهدة وتعلل بأن الملوك لايحلفون واكتفى بمصافحة ممثل صلاح الدين. أنظر : ابن واصل : مفرج الكروب، جـ٢، ص ٤٠٣، أبو شامة : الروضتين، جـ٢ ، ص ٢٠٠.

(٥٤) اختلفت المصادر العربية فى تحديد مدة الصلح. فقد ذكر ابن واصل وأبو شامة وأبو الفدا أنها كانت ثلاث سنوات وثلاث أشهر، أما العماد الأصفهانى وابن الأثير وابن أيبك فذكروا انها ثلاث سنوات وثمانية أشهر، بينما انفرد ابن العديم بقوله انها ثلاث سنوات وخمسة أشهر. وعن ذلك انظر : ابن واصل : مفرج الكروب، جـ٢، ص ٤٠٤، أبو شامة : الروضتين، جـ٢، ص ٢٠٠، ٢٠٣، العماد الأصفهانى : الفتح القسى، ص ٦٠٥، ابن ايبك : كنز الدرر، ورقة ١٠١، ١٠٥، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩، ص ٢٢٠، ٢٢٢، ابن العديم : تاريخ حلب، جـ٣، ص١٢١ - ١٢٢ أنظر أيضا :

Geoffrey de Vinsauf, Richard, pp. 329-30; Ambroise, the Crusade of Richard, pp. 429 - 30; Eracles, l'estoire de Eracles, p. 199, n. 4; Radulfi de Diceto, Imaginibus Historiarum, cf. R.H.G.F. Vol. XVII, p. 643; cf. also : Nickerson, the Grusader States (1192 - 1243), in Setton, Vol II, pp. 523-24

(٥٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، جـ ٢١٩ك أبو شامة : الروضتين، جـ٢، ص١٩٦، أنظر كذلك :

Ambroise; The Crusade of Richard, p. 244; cf. also: Ruuiciaman, op. cit., Vol. III, p. 65.

(٥٦) "Au seignor de Cayphas rendi Cayphas. Au seignor de Cesaire rendi Cesaire" Au seignor d'Arsar rendi Arsur".

وترجمتها : وأعاد (صلاحين) حيفا إلى سيدها السابق، وقيسارية إلى سيد (تها) السابقة، وأرسوف إلى سيدها السابق ». عن ذلك أنظر :

eracles, L'Estoire de Eracles, p. 199, 4., Les Gestes des chiprois, vol. II., p. 661; cf. also: Beyer, op. cit., p. 4., La Monte, Lords of Caesarea, p. 152; Benvenisti, op. cit., p. 138.

(٥٧) عرض رينالد أن يتم عقد معاهدة صلح بمقتضاها كونراد ورينالد على صيدا وبيروت، وأن يتعهدا بمجاهرة الصليبيين بالعداء، ومساعدة المسلمين فى استرداد عكا. عن ذلك أنظر ابن شداد : النوادر ، ص ١٩٠، أبو شامة ، الروضتين. جـ٢، ص ١٩٣.

(٥٨) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٢ . ص ٤٠٦.

(٥٩) Nickerson, the crusader States, in Setton, Vol. II, p. 522.

(٦٠) تزوجت جوليانا للمرة الأولى من جاى أوف بيروت. وانجبت أربعة من الأبناء هم : جوتييه وبرنارد وايزابيلا وبرتل . عن ذلك أنظر :
La Monte, Lords of Caesarea, p. 152-53; Rey, Les Famillies, p. 279.

(٦١) Röhricht, Regesta, docs. 709. 720. 776, 812. 853, 857.
الوثيقة الأولى والثانية من عهد هنرى شامبانيا، أما الثالثة فهى فى عهد هنرى الثانى لوزنيان، والرابعة والخامسة فى السنوات الثلاثة الأولى من عهد جان دى بريين. أنظر :
La Monte, Lorde of Caesarea, pp. 133 - 5; n.45.

(٦٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩، ص ٢٣٧، ابن الجوزى : كرآة الزمان، ق٢، جـ٨، ص ٥٩٣، ابو شامة : الذيل على الروضتين ، نشر السيد عزت العطار، ط. ثانية، بيروت ١٩٧٤، ص ١٠٠ - ١٠١، ابن واصل : مفرج الكروب، جـ ٣ ، ص ٧٥، الذهبى دول الاسلام، جـ٢، ص ١٠٣، ١٠٤. وكذلك : سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ٢، ص ٩١٨، ٩٢٤، محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة، الاسكندرية ١٩٧٨، ص ٧٩ - ٩٠، حسن عبد الوهاب حسين : تاريخ جماعة الفرسان القيوتون فى الأراضى المقدسة ، الاسكندرية، ١٩٨٩، ص ١١١ - ١١٤.

(٦٣) حدد المؤرخ الذهبى مدة المعاهدة بخمس سنوات ونصف، بينما ذكر أبو شامة أنها خمس سنوات وثمانية أشهر. ولكن ابن واصل وأبا الفدا ذكروا أنها ثلاث سنوات فقط. والواقع أن ماذكره الذهبى وأبو شامة أقرب إلى الصواب، إذ لم يرد ذكر عن تحديد هذه المعاهدة إلا فى عام ٦٠٠هـ.١٢٠٤م، أى بعد المد حددها بالتقريب. عن ذلك أنظر: الذهبى : دول الاسلام ، جـ٢ ، ص ١٠٣، ١٠٤، أبو شامة : الذيل على الروضتين : ص ١٣، ابن واصل : مفرج الكروب : ج-٣، ص ٧٨، ابو الفدا : المختصر ، ج#، ص ٩٣.

(٦٤) عمران : الحملة الخامسة ، ص ٩٥ - ١٠٣.

(٦٥) حسن عبد الوهاب : تاريخ جماعة الفرسان القيوتون ، ص ١٣٠ - ١٣١،
Röhricht, Regesta, doc. 810; La Monte, Lords of Caesarea, p. 153.

(٦٦) Röhrucht, Regesta, docs. 818 - 19 ; Beyer, op. cit., p. 38.
وعن مواقع هذه القلاع أنظر خريطة رقم ٢.

(٦٧) La Monte, Lords of Caesarea, p. 153.

(٦٨) تمتع المارشال بوظائف ومسؤليات كندسطبل المملكة. وعند غياب الأمير لأى سبب من الأسباب كان يحل محله ويتمتع بنفس ميزاته وينوب عنه فى كل الأمور، وعن ذلك أنظر :

(٦٩) Eracles, l;Estoite de Eracles, p. 306; of also: la Monte, Lords of Caesarea, p. 153. Rey, Les Famillies, pp. 280-81

(٧٠) الطور فى اللغة العبرانية اسم لكل جبل ثم صار علما لجبال بعينها. وقد حدد ياقوت سبعة مواضع تحمل هذا الأسم. وكان العادل الأيوبى قد أمر ابنه المعظم عيسى ببناء حصن فوق جبل الطور المطل على مدينة عكا وانفق لبذلك أموالا عظيمة. انظر: ياقوت الحموى : المشترك وضعا والمفترق صقعا، ص ٢٩٧، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣، ص ٢٠١ ، ابن الجوزى : مرآة الزمان، ق ٢، جـ ٨ ، ص ٥٤٤، وكذلك محمود عمران : الحملة الخامسة ، ص ٩٣ - ١٠١.

(٧١) Röhricht, Regesta, doc. 859 a, 866; La Monte, Lords of Caesarea, p. 153.

(٦٩) Röhricht, Regesta, doc. 859a. La Monte, Lords of Caesarea, p. 153.

(٧٠) لم تظهر جوليانا فى الوثائق الصليبية بعد عام ١٢١٣م/ ٦١٠هـ. ويرى جون لامونت انها توفيت مابين عامى ١٢١٣و ١٢١٦م/ ٦١٠ ـ ٦١٣هـ، وذلك عندما ظهر جوتييه الثالث كسيد لقيسارية. ولكنا أنها ماتت فى عام ١٢١٣م/ ٦١٠هـ، وإلا فماذا يمنع ظهورها بعد هذا العام فى الوثائق الصليبية؟ كما أن زوجها ايمار دى لايرون لم يظهر بعد عام ١٢١٣م مما يعنى أنها ماتت فى هذا العام. عن ذلك أنظر :

La Monte, Lords of Caesarea, p. 153. Rey, Les Famillies, pp. 279 - 80.

(٧١) ورد ذكره مرة ثانية فى عام ١٢١٦م/٦١٣هـ وهو يحمل لقب مارشال الإسبتارية، ويبدو أنه انضم الى هذه الجماعة بعد وفاة جوليانا فى عام ١٢١٣م/ ٦١٠هـ. واشترك بعد ذلك فى الحملة الصليبية الخامسة على مصر وقتل هناك. عن ذلك أنظر:

Röhricht, Regesta, doc, 885; La Monte, Lords of Caesarea, p. 154.

(٧٢) Eracles, L'Estorie de Eracles, p. 322; cf. also Rey. Les Famillies, p. 280; Röhricht, Regesta, 721.

والملاحظ أن جوتييه الثالث ظل يوقع بهذا اللقب طيلة حياته.

الفصل الرابع

فترة الحكم الصليبي الثانية لإقطاعية قيسارية (١٢١٣ ـ ١٢٦٥م/ ٦١٠ ـ ٦٦٣هـ)

- تولي جوتييه الثالث حكم إقطاعية قيسارية (١٢١٣ ـ ١٢٢٩م/ ٦١٠ ـ ٦٢٦هـ)، ودوره في العلاقات بين الفرنج والأيوبيين في مصر والشام.
- تحصين قيسارية وتشييد قلعتها (فبراير ١٢١٨م / ذو القعدة ٦١٤هـ) لمواجهة هجمات المسلمين عليها.
- هجوم المعظم عيسى صاحب دمشق على قيسارية، وما أثير من نقاش حول تاريخ هذا الهجوم.
- يوحنا سيد قيسارية (١٢٢٩ ـ ١٢٤١م/ ٦٢٦ ـ ٦٣٨هـ)، ودوره في الصراعات الداخلية في المملكة الصليبية، وتأثير ذلك على دوره في العلاقات مع المسلمين.
- مارجريت سيدة قيسارية (١٢٤٣ ـ ١٢٦٥م/ ٦١٤١ ـ ٦٦٣هـ)، ودور زوجها يوحنا أليمان في العلاقات مع المسلمين.
- تحصين لويس التاسع لقيسارية في ١٢٥١ ـ ١٢٥٢م/٦٤٩ ـ ٦٥٠هـ، وأثر ذلك عليها حتى قبيل استعادة المماليك لها.

ازدادت أهمية إقطاعية قيسارية في المرحلة الثانية من الحكم الصليبي لها (١٢١٣ - ١٢٦٥م/ ٦١٠ - ٦٦٣هـ) بعد أن أصبحت المملكة الصليبية الإسمية عبارة عن شريط ساحلي كان يتسع ويضيق حسب الظروف والاحوال التى تمر بها منطقة الشرق الأدنى. وأصبحت حدود الإقطاعية ملاصقة لحدود الأيوبيين فى بلاد الشام، مما جعلها عرضة بصورة متكررة لهجمات المسلمين عليها. ولذلك حرص الصليبيون على تدعيم دفاعاتها ، وتم لأول مرة انشاء قلعة فى قيسارية مركز الإقطاعية بعد أن ظلت بدون قلعة منذ استيلاء الصليبيون عليها فى أوائل القرن الثاني عشر الميلادى/ أوائل القرن السادس الهجري. وأصبحت هذه القلعة بمثابة وحدة دفاعية مستقلة يمكن اللجوء إليها عندما تتعرض المدينة نفسها لأى هجوم. وكان لحصول سادة الإقطاعية على إقطاعيات لهم فى قبرص تأثيره على اهتماماتهم بقيسارية[1]. فقد أصبح ولاؤهم موزعا بين قبرص وقيسارية. ويؤكد ذلك أن أغلب أعمال التحصينات التى تم القيام بها خلال القرن الثالث عشر الميلادى/ القرن السابع الهجرى كانت أثناء غياب سادتها عنها. والمعروف أن ملوك بيت المقدس الاسميين هم الذين قاموا بهذه التحصينات. وفى ذلك دلالة على ماكانت تتمتع به الإقطاعية من أهمية فى نظر هؤلاء الملوك ولايعنى هذا أن هؤلاء السادة قد أحجموا عن المشاركة في الأحداث التى جرت فوق رقعة الشرق الأدنى بل أسهموا بنصيب فى العلاقات السياسية مع المسلمين، والتى كانت عدائية في أغلبها، وشاركوا أيضا في الأحداث الداخلية فى المملكة، مثل الصراع الذى نشب بين آل ابلين وبين الامبراطور الألمانى فردريك الثانى الذى حاول فرض سيطرته علي الصليبيين في منطقة الشرق الأدنى. وقد تعددت الصور والمظاهر التى تدل على أهمية الإقطاعية فى هذه المرحلة الثانية من الحكم الصليبى لها، وعلى ما كان لسادتها من مكانة بين غيرهم من السادة الاقطاعيين في المملكة.

بتولي جوتييه الثالث زمام الأمر فى إقطاعية قيسارية تبدأ الفترة الثانية من الحكم الصليبى لها، وكان ذلك فى عام ١٢١٣م/ ٦١٠هـ. حقيقة أن الصليبيين تمكنوا من استرداد قيسارية في عام ١١٩١م/٥٨٧هـ، أى قبل ذلك التاريخ

بحوالي ربع قرن،إلا أن جوليانا وريثة الإقطاعية وصاحبة الحق الشرعي في حكمها لم تكن تحكم بنفسها، ولكن زوجها إيماردي لايرون هو الذي قام بهذه المهمة نيابة عنها. وبالتالي فان الحكم الحقيقي لهذه المرحلة يبدأ بتولي ابنها جوتييه الثالث بعد وفاة والدته، وكان في الأربعين من عمره. ولذلك كان يطلق عليه في الوثائق الصليبية اسم «سيد قيسارية الكبير»(٢) ولاشك أن ذلك ترك أثره على علاقته بكل من الصليبيين والمسلمين. فقد اتسمت هذه العلاقة بالنضج وعدم التسرع في إصدار الاحكام. وارتبط منذ صغره بالمحكمة العليا في عكا وشهد على العديد من أحكام ملوك بيت المقدس الاسميين. ولكن اللقب الذي كان يوقع به دائما هو «كندسطبل قبرص Gualterius Caesariensis Cypri Conestabulys »(٣)وكان لذلك أثره على إقطاعية قيسارية. فقد أصبح أهتمامه موزعا بين إقطاعيته الذي تولى أمرها وبين هذا المنصب الهام الذي كان يتمتع به في قبرص. ويبدو أنه أدرك أن المستقبل لم يعد لإقطاعيته في قيسارية وانما في قبرص. لذا لم يتخل عن المكانة الجديدة التي وصل إليها في هذه الجزيرة الصليبية، وظل متمسكا هو ومن جاء بعده من سادة الإقطاعية بمكانهم في قبرص. ولم يكن ذلك يعني تخليهم عن قيسارية، اذ ظلوا متمسكين بها أيضا، ولكن ليس كما كان الحال قبل أن تدخل قبرص في دائرة اهتماماتهم.

على أية حال، كان أول ظهور لجوتييه الثالث وهو يحمل لقب سيد قيسارية في الوثائق الصليبية في عام ١٢١٦م/ ٦١٣هـ.(٤) وكانت البابوية في الغرب الأوروبي آنذاك تمهد لارسال حملة صليبية تكون وجهتها مصر بدلا من الحملة الرابعة التي اتجهت إلى القسطنطينية بعد أن كان مقررا لها مهاجمة مصر. وأسفرت دعوة البابا أنوسنت الثالث (١١٩٨ ـ ١٢١٦م) وخليفته هونوريوس الثالث (١٢١٦ ـ ١٢٢٧م) عن قيام الحملة الصليبية الخامسة إلى الأراضي المقدسة. ولكن اندرو الثاني (١٢٠٥ ـ ١٢٣٥م) ملك هنغاريا خرج على رأس الحملة الهنغارية سبقت هذه الحملة بعد أن تعذر اشتراك باقي ملوك أوروبا في رئاسة هذه الحملة.(٥)

وقد وصلت الحملة الهنغارية إلى عكا في سبتمبر ١٢١٧م/ جماد آخر ٦١٤هـ. وعسكر الصليبيون خارج المدينة وأرسلوا إلى بقية الصليبيين في الأراضي المقدسة يطلبون منهم الحضور للمشاركة فى الحملة . كذلك أرسلوا إلى قبرص يطلبون مشاركتها. وبالفعل وصل جوتييه الثالث سيد قيسارية وكندسطبل قبرص مع هيو ملك قبرص للانضمام إلى الحملة وبحضور أغلب أمراء الصليبيين في الأراضى المقدسة عقد اجتماع في عكا لتدارس الموقف. وشارك فيه بطرس رئيس أساقفة قيسارية، وسائر رجال الدين الموجودين بالمملكة أو الذين صحبوا الحملة(٦). وبعد مناقشة مختلف الآراء تم الاتفاق على مهاجمة دمشق، ولكن تم تعديل الخطة عندما علموا بخروج الملك العادل من مصر، وتقرر مهاجمة بيسان بدلا من دمشق(٧). وكان العادل قد سبق الصليبيين فى الوصول إلى بيسان، وعندما رأى تفوقهم العددى فضل الانسحاب على الدخول في اشتباك مباشر معهم، على الرغم من معارضة ابنه المعظم عيسى صاحب دمشق لذلك.(٨) وبعد حصار دام ثلاثة أيام تمكن الصليبيون من تخريبها، ثم واصلوا سيرهم حيث خربوا المنطقة الواقعة بين بانياس وبيسان. وقد تمت هذه الأعمال كلها في أواخر أكتوبر وأوائل نوفمبر ١٢١٧م/ أواخر رجب وأوائل شعبان ٦١٤هـ. وقد شارك جوتييه الثالث فى هذه الإغارات المتعددة التى شنها الصليبيون ضد الأيوبيين فى بلاد الشام. ولكن ثمة تساؤل هنا : هل كان جوتييه الثالث يؤدي هذه الخدمات مقابل ماحصل عليه من أراضى فى قبرص أم مقابل إقطاعيته فى قيسارية؟ وقد عالج جون لامونت هذه المسألة بالتفصيل، وخلص إلى أن هؤلاء الأمراء الذين حصلوا على إقطاعيات فى قبرص لم يكن مفروضا عليهم أداء الخدمات الاقطاعية إلا فى الجزيرة نفسها وللملك القبرصى. أما خدماتهم خارجها، فقد كانت بمحض أختيارهم(٩). أما جوتييه الثالث سيد قيسارية، فقد كان يؤدى خدمات مزدوجة، فهو من ناحية يشارك في جيش المملكة الصليبية بحكم حصوله علي قيسارية، كما كان أيضا يشارك فى الجيش القبرصى بحكم ماحصل عليه فى الجزيرة الصليبية.

على أيه حال، واصلت الحملة الهنغارية انجازاتها ـ ضد الأيوبيين في بلاد الشام.

وكان أبرزها محاولة الاستيلاء على الحصن الذى أقامه المعظم عيسى فوق جبل الطور والذى كان يهدد عاصمة المملكة فى عكا ويمثل خطرا على إقطاعية قيسارية ذاتها. ولكن هذه المحاولة التى استمرت من ٢٩ نوفمبر إلى ٧ ديسمبر / ٢٧ شعبان إلي ٦ رمضان قد فشلت فشلا ذريعا. وعاد المهاجمون إلى عكا بعد أن تكبدوا الكثير من الخسائر فى الأرواح، وذلك بسبب استماتة المدافعين عن هذا الحصن من المسلمين لأنهم كانوا يقدرون مدى أهميته بالنسبة لهم[١٠]. كما فشلت محاولة أخرى للهجوم على جبل صيدا حيث لقى الصليبيون المصير السابق.[١١].
وبعد ذلك صمم أندرو الثانى ملك هنغاريا على العودة إلي بلاده دون انتظار وصول بقية الحملة الصليبية الخامسة على الرغم من تهديد رادلف بطريرك بيت المقدس اللاتينى باصدار قرار الحرمان ضده. ولكنه لم يعبأ بذلك ، وأبحر من انطاكية في يناير ١٢١٨م/ شوال ٦١٤هـ عائدا إلى بلاده.[١٢] أما جوتييه الثالث سيد قيسارية فيبدو أنه كان مصاحباً لهيو ملك قبرص الذى توفى أثناء الطريق إلى طرابلس. فعاد جوتييه إلي قبرص لمراعاه شئون الجزيرة لأنه كان يشغل منصب الكندسطبل وهو مايعادل نائب الملك.

وهكذا انشغل جوتييه فى قبرص فى الوقت الذى كان الصليبيون يقومون فيه بتشييد قلعة قيسارية وذلك لأول مرة فى تاريخ المدينة منذ الاستيلاء عليها فى أوائل القرن الثانى عشر الميلادى /أوائل القرن السادس الهجرى.

لقد أدرك صاحب عكا والملك الاسمى لبيت المقدس جان دى برين مدى الخطورة التي تهدد قيسارية بعد أن أصبحت عرضة لهجمات المسلمين عليها، ولم يعد يفصل بينها وبين حدود المسلمين أيه إقطاعيات صليبية أخرى. كما أن شمال الإقطاعية كان ضعيفا من الناحية الاستراتيجية فكان لابد من الاهتمام بها وتقويتها كى تستطيع الصمود أمام أيه هجمات من جانب المسلمين. وبالفعل توجه إليها الملك الصليبى ومعه رادلف بطريرك بيت المقدس وليودلف السادس دوق النمسا وعدد آخر من رجال الدين بخلاف الفرسان الآخرين.[١٣] وبدأت أعمال التحصينات فى فبراير ١٢١٨م/ ذى القعدة ٦١٤هـ، وذلك بانشاء قلعة للمدينة

وتم اختيار موقعها عند الرصيف الجنوبي للميناء. كما تم فصلها عن المدينة بإنشاء خندق يملأ بمياه البحر. وأقيم حائط خلف الخندق بهدف الدفاع عن القلعة. ولم يكتف الصليبيون بذلك، بل أحاطوها بالأسوار من جميع الجهات، حتى تكون بمثابة وحدة دفاعية مستقلة يمكن اللجؤ إليها عند تعرض المدينة نفسها لأى هجوم ونجاح العدو في الدخول إليها. وأما القلعة نفسها فقد كانت عبارة عن برج مكون من ثلاثة طوابق وكان مدخله من ناحية الشمال الشرقي. وتم انشاء عدد من السراديب أسفلها لاستخدامها للهرب عند حصارها وهكذا، أصبحت القلعة بمثابة جزيرة صغيرة، وغدت واحدة من أقوى القلاع الصليبية التى شيدت فى القرن الثالث عشر الميلادى/ القرن السابع الهجرى.(١٤) ولضمان حمايتها، أقام الصليبيون عددا من الأبراج حولها. وقد ذكر المؤرخ ابن عبد الظاهر أن هذه القلعة كانت تعرف «بالخضراء»، كما أشار بقوة تحصيناتها(١٥). ولم يقتصر الأمر على إنشاء هذه القلعة، بل تم تدعيم الدفاعات الأخرى للمدينة والأبراج التى كانت حول هذا السور. وأشاد الشاعر ابن عنين بسورها بقوله :

والكُفْرُ معتصم بسورٍ مشرف الـ أبراج أحْكمَ بالصفيح وُشيدا(١٦)

وقد اختلفت آراء المؤرخين الحديثين حول تاريخ بناء قلعة قيسارية، ويرجعها البعض إلي القرن الثانى عشر الميلادي/ القرن السادس الهجري(١٧). ولكن من الثابت أن المدينة حتى استرداد صلاح الدين لها في ١١٨٧م/٥٨٣هـ لم تكن قلعتها قد شيدت بعد، والا كان المؤرخون العرب على الاقل قد أشاروا إليها . كما أن بندكت أوف بتربورجنيس Benedicti Petroburgensis عندما عددّ المدن والقلاع والحصون التى تساقطت فى قبضة صلاح الدين عقب حطين لم يذكر أن قيسارية كان بها قلعة آنذاك.(١٨) ومن الطبيعي ألا تكون هذه التحصينات كلها قد تمت في وقت واحد، خاصة إذا علمنا أن القلعة قد تم بناؤها فوق رصيف صناعي عبارة عن عدة مئات من الأعمدة الرخامية تم القاؤها فى البحر ورصفها فلا يمكن أن يكون ذلك كله قد تم فى هذه الفترة الوجيزة من الزمن. لذا يمكن أن نقول أن كل هذه الأعمال كانت قد بدأت منذ استرداد الفرنج للإقطاعية في عام ١١٩١م/

٥٧٨هـ، أي منذ تولى جوليانا وريثة الاقطاعية وزوجها ايماردى لايرون الحكم بها. ويرجح أن يكون جانبا من الأموال التى استدانتها وريثة الإقطاعية قد صرف على هذه التحصينات التى تم استكمالها فى عام ١٢١٨م/٦١٤هـ. وإن دل هذا الاهتمام الموجه من قبل الملك الصليبى جان دى بريين على شيء، فانما يدل على أهمية قيسارية كهمزة وصل بين شمال المملكة الصليبية وجنوبها ، تلك المملكة التى اقتصرت على الساحل الشمالى فقط. ولم يكن جوتييه الثالث سيد الإقطاعية موجودا بها آنذاك، وقام الملك الصليبى بالانفاق على هذه التحصينات مما أدى إلى اثارة المشاكل بينه وبين سيدها، الذى رفض دفع هذه النفقات. وقد أثار ذلك جان دي بريين فاحتفظ بالقلعة لبعض الوقت حتى حصل الجنوية عليها من نائبه جارنييه أليمان عندما كان الملك الصليبى مشغولا بمهاجمة دمياط مع الحملة الصليبية الخامسة.(١٩)

وبينما كانت هذه التحصينات تجري في قيسارية، اتجه قسم آخر من الصليبيين بقيادة جوتييه افنييه Gautier of Avesnes ومعه الفرسان الداوية والتيوتون إلى شمال إقطاعية قيسارية، وبالتحديد عند قلعة دوستريPierreEnciseأوDetroi(٢٠) وبدأوا العمل في إنشاء قلعة جديدة تبعد حوالي ميل من القلعة القديمة، وقد عرفت باسم قلعة الحجاج أو عثليت. وقد تم تشييدها فوق نتوء صخرى يمتد داخل البحر. وكانت المنحدرات الصخرية تحميه من ناحية الشمال والجنوب. أما من جهة الشرق فقد قام الصليبيون ببناء برجين بلغ ارتفاع الواحد منهما مائة قدم، وتم حفر سردابين وأقيم برج قوي لحمايتهما. وكان يوجد في نفس المنطقة برج قديم تركه الصليبيون لحماية القلعة الجديدة. كما قاموا ببناء حائط آخر حول عيون المياه العذبة التى تمد القلعة بالمياه(٢١). وقد زودنا المؤرخ أوليفر أوف بادنبورن بالمزيد من التفاصيل عن عملية بناع قلعة الحجاج وما عثر عليه الصليبيون أثناء عملية الحفر لوضع أساسها من عملات ذهبية وأسوار قديمة يبدو أنها ترجع لفترة تاريخية متقدمة.(٢٢) وجدير بالذكر أن بعض المؤرخين الحديثين قالوا إن عثليت أو قلعة الحجاج هي نفسها قلعة دوستري(٢٣). ولكن الحقيقة خلاف ذلك، فقد تم انشاء

هذه القلعة الصغيرة في القرن الثانى عشر الميلادى/ القرن السادس الهجرى لحماية المنطقة الواقعة بها، وعهد بها إلي جماعة الفرسان الداوية. وقد أسفر التنقيب الأثرى عن اكتشاف بقايا برج قديم فى هذا الموقع يرجع تاريخه إلى القرن الثانى عشر الميلادى/القرن السادس الهجري. (٢٤)

لقد تعددت الأسباب التى جعلت الصليبيين يقومون بانشاء هذه القلعة الجديدة في هذا الموقع بالذات. وكان أولها أنها تقع فوق أراضى كانت تابعة لجماعة الفرسان الداوية وهى واحدة من أهم الجماعات الدينية في بلاد الشام التى اشتهرت بقدرتها علي الدفاع عن هذه القلاع بما توافر لها من امكانيات مادية وعسكرية فضلا عن معرفتها بأساليب المسلمين في الحرب والقتال. أما السبب الثانى فهو أن الصليبيين أرادوا أن يشيدوا قلعة تماثل تلك التى شيدها المسلمون فوق جبل طابور، حتى تستطيع مواجهة أية اغارات ضد المملكة الصليبية الاسمية. كما انها كانت تعد لاستخدامها كمعبر عند قدوم أيه حملة صليبية جديدة من الغرب بهدف استرداد بيت المقدس. وسبب آخر يتمثل فى هروب الداوية من قذارة مدينة عكا، فاتخذوا من عثليت مقرا جديدا لهم. (٢٥) ولكن أقوى هذه الأسباب أن هذا الموقع كان يمثل منطقة ضعيفة من الناحية الاستراتيجية بالنسبة للصليبيين، لذلك كان حرصهم الدائم على تقويته وتدعيمه. وبالفعل أثبتت هذه القلعة فعاليتها وصمودها أمام هجمات المسلمين عليها حتى نهاية الحروب الصليبية في أواخر القرن الثالث عشر الميلادى/أواخر القرن السابع الهجري.

وكان لهذه التحصينات التى تمت في قيسارية، سواء في قلعتها وأسوارها، أو فى بناء قلعة عثليت، تأثير واضح على الإقطاعية. فقد تمكن الداوية من فرض سيطرتهم على المنطقة المحيطة بقلعتهم الجديدة. ولكن النتيجة الأشد خطورة هى الإقطاعية أصبحت معرضة لهجوم مستمر من جانب المسلمين، بعد أن علموا بأمر هذه التحصينات. فلم ينقض عام واحد حتى تعرضت لهجوم من جانب المعظم عيسى صاحب دمشق. وقد اختلفت آراء المؤرخين من قدامى وحديثين حول تاريخ قيام المعظم بهذه الإغارة على قيسارية وعثليت. وذكرت المصادر العربية أن ذلك

قد تم بعد سقوط دمياط التى سقطت فى ٢٥ شعبان ٦١٦هـ/٥ نوفمبر ١٢١٩م. فقد طلب الكامل محمد من أخيه المعظم وقام بمهاجمة قيسارية وعثليت في المحرم ٦١٧هـ/ مارس ١٢٢٠م[٢٦]. أما المصادر الأجنبية فقد ذكرت أن الهجوم تم قبل الاستيلاء على دمياط، فأشار تاريخ هرقل إلي أن ذلك تم «خلال الصيف الذى عبر فيه المسيحيون البحر»، أى فى عام ١٢١٨م/٦١٥هـ، وأن المعظم تمكن من تخريبها بعد فرار الحامية الموجودة بها.[٢٧] أما أرنول فقد أورد ذلك ضمن حوادث عام ١٢١٩م/ ٦١٦هـ وقبل سقوط دمياط عندما كان المعظم عيسى في بلاد الشام قبل سيره إلي مصر في المرة الأولي[٢٨]. أما روجر أوف وندوفر فلم يذكر لنا تارخا محددا لهذا الهجوم، وإنما اكتفى بالإشارة الى أنه تم أثناء انشغال الجيش الصليبى فى مهاجمة دمياط، فقرر المعظم مهاجمة قيسارية وقلعة الحجاج.[٢٩].

وقد انقسم المؤرخون الحديثون تبعا لذلك إلى فريقين. ذكر الفريق الأول أن الهجوم على المدينة تم قبل سقوط دمياط[٣٠]، معتمدين فى ذلك على آراء المصادر الغربية. أما الفريق الثانى فقد ذكر أن هذا الهجوم تم بعد عودة المعظم عيسى إلى الشام لكى يضغط على الصليبيين ويجلب المساعدات من الشرق لأخيه الكامل محمد بعد أن تمكن الصليبيون من الاستيلاء على دمياط، وأنصار هذا الفريق يعتمدون على ماجاء فى المصادر العربية[٣١] أما جون لامونت فقد أنفرد برأى يخالف الآراء السابقة، وهو أن المدينة تعرضت لهجومين مما قبل سقوط دمياط، وأن الملك الصليبى جان دى برين صد أحد هذين الهجومين قبل توجهه إلى مصر، وأن الهجوم الثانى كان فى عام ١٢١٨م/٦١٥هـ[٣٢].

والأرجح أن المدينة تعرضت لهجومين من جانب المعظم عيسى صاحب دمشق. الأول تم عندما بدأت قوات الحملة الصليبية الخامسة فى التوجه إلى مصر للاستيلاء عليها وذلك في١٢١٨م/٦١٥هـ. وعندما علم الملك العادل الأيوبى الذى كان في الشام بذلك، طلب من ابنه المعظم عيسى أن يقوم بمهاجمة قلاع ومعاقل الصليبيين في الشام لكى يخفف من الضغط الصليبى على مصر. وهى نفس السياسة التى اتبعها نور الدين محمود أثناء حملات الملك عمورى الأول على

مصر. وكانت هذه هي السياسة العامة التي اتبعها المسلمون عندما تتعرض أحدى مدنهم لخطر هجوم صليبي عليها. فكانوا يهاجمون إحدى مدنه أو قلاعه ببلاد الشام بقصد تخفيف الضغط عن المدينة الاسلامية المهاجمة أو صرف النظر عن الهجوم. والأمثلة علي ذلك عديدة تزودنا بها مصادر تلك الفترة من عربية وأجنبية[٣٣]. وتنفيذا لهذه السياسة شن المعظم بعض الهجمات على المدن والمعاقل الصليبية، وربما تكون قيسارية قد تعرضت لإحدى هذه الإغارات. ثم تتابعت الأحداث على ضفاف النيل بسقوط برج دمياط في ٢٤ جمادى الأول ٦١٥هـ/١٤ أغسطس ١٢١٨م، ووفاة العادل الأيوبي عند سماعه هذه الأنباء أثناء وجوده في بلاد الشام.[٣٤] واتجه المعظم إلى مصر للمرة الأولى فوصلها في ١٩ ذى القعدة ٦١٥هـ/ ٦فبراير ١٢١٩م. وظل مع أخيه الكامل محمد إلى أن سقطت دمياط في قبضة الفرنج في ٢٥ شعبان ٦١٦هـ/٥ نوفمبر ١٢١٩م. وعندئذ طلب الكامل من أخيه المعظم عيسى العودة إلى الشام قائلا : «والمصلحة أن تنزل إلى الشام تشغل خواطر الفرنج وتستجلب العساكر من الشرق».[٣٥] وبالفعل اتجه المعظم إلى الشام - وكان هذا هو الهجوم الثاني - فوصل إلى دمشق في ذى القعدة ٦١٦هـ/يناير ١٢٢٠م، ثم سار إلى قيسارية وذلك في المحرم ٦١٧هـ/مارس ١٢٢٠م حيث ألقى عليها الحصار، ونصب المنجنيقات عليها وأخذ يطلق الحجارة لإرغام أهلها على الاستسلام. ولم يكون جوتييه الثالث سيدها موجودا بها آنذاك فقد كان على رأس مائة من الفرسان القبارصة بصفته كندسطبل الجزيرة، وذلك للمشاركة في الحملة الصليبية الخامسة. وطلب الأهالى من عكا المبادرة بارسال المساعدات، وسارع جارنييه أليمان نائب الملك الصليبي جان دى بريين بطلب المساعدة من الجنوية. ولما كان هولاء يسعون ما وراء المكاسب والحصول على المزايا، فقد طلبوا منه اعطاءهم القلعة التى كانت مثار الخلاف بين الملك الصليبي وبين جوتييه الثالث، فوافق جارنييه على ذلك مقابل تعهدهم بالدفاع عنها. وأرسل الجنوية المساعدات عن طري البحر لإنقاذ المدينة، ولكن المعظم شدد حصاره عليها، ولم تستطع المدينة الصمود هذه المرة، ففرت حاميتها الصليبية أثناء الليل عبر القلعة حيث اتجهت إلى عكا،[٣٦] ودخل المعظم المدينة

حيث خربها، كما تعرضت قلعتها أيضا للتخريب بعد أقل من عامين من انشائها. كذلك قتل بعض الصليبيين وتعرض البعض الآخر للأسر.(٣٧) وقد وصف الشاعر ابن عنين هذا الهجوم بقوله :

ولقد شهدتك يوم قيسارية	والشمس قد نسج القتام لها وردا
والكفر معتصم بسور مشرف الـ	أبراج أحكم الصفيح وشيدا
فجعلت عاليها مكان أساسها	وألنت للأخشاب فيها الجلمدا(٣٨)

بعد أن فرغ المعظم من قيسارية، اتجه الي قلعة الداوية في عثليت وحاصرها. وأدرك الداوية أن قلعتهم ستكون هدف المعظم بعد قيسارية، فأسرعوا بتخريب أحد الأبراج القريبة من القلعة حتى لايستخدمه المسلمون كنقطة لانطلاق لهاجمتها. وأسرعوا للتحصين بداخلها، وأقام المعظم المنجنيقات حول القلعة، واحتل المنطقة الممتدة من وادى فلاح حتى ساحل البحر. وأخذ يطلق الحجارة عليها بينما كان الداوية يردون على هذه القذائف بإطلاق قذائف مماثلة من منجنيقات فوق أسوار القلعة. وكان للقذائف الصليبية تأثيرها على الجيش الأيوبى، لأن الأيوبيين كانوا يعسكرون فى منطقة مكشوفة. كما أن امدادات أخرى أخذت تصل إلى الصليبيين من بيروت وقبرص عن طريق البحر. وأدرك المعظم بعد اسبوعين من الحصار عدم جدوى البقاء أمام هذه القلعة الحصينة، فقام بفك الحصار لها، وعاد إلى دمشق بعد أن أعمل التخريب في المنطقة المحيطة بها.(٣٩)

ولنا أن نتساءل عن موقف جوتييه سيد الإقطاعية من هذه الإغارات التى قام بها المعظم عيسى على إقطاعيته، وعن الأسباب التى أدت إلى عدم تواجده بها آنذاك. فثمة عدة أسباب لذلك، منها انشغاله شبه الدائم فى قبرص بالمنصب الذى تولاه فى هذه الجزيرة الصليبية، ومنها الخلاف الناشب بينه وبين الملك الصليبى جان دى برين، وقد ازدادت حدة الخلاف بينهما مما أدى الى احتفاظ الملك الصليبى بالقلعة لحين سداد جوتييه الثالث نفقات إنشائها. واستمر احتفاظ جان دى برين بها حتى حصل الجنوية عليها من نائب الملك الصليبى جارنييه اليمان في مارس

١٢٢٠م/ المحرم ٦١٧هـ . غير أن الجنوية لم يحتفظوا بها أكثر من أربعة أيام حتى تركوها ومعهم حاميتها الصليبية عائدين إلى عكا بعد فشلهم فى صد هجوم المعظم عيسى عليها. وبالإضافة إلى ذلك، كان جوتييه قد أبحر على رأس مائة من الفرسان القبارصة للإنضمام إلي القوات الصليبية التى كانت آنذاك تستعد للاستيلاء على دمياط، وظل جوتييه على رأس الفرسان القبارصة فى مصر منذ فبراير ١٢١٩م/ذى القعدة ٦١٥هـ إلى أغسطس١٢١٩م/ جمادى الآخرة ٦١٦هـ. وقد شارك جوتييه فى المناوشات التى كانت تتم بين الجانبين الصليبى والأيوبى في خلال هذه الفترة. وفى المعركة التى جرت فى ٢٩ أغسطس ١٢١٩م/ ١٦ جمادى الآخرة ٦١٦هـ، كان جوتييه ومعه الفرسان القبارصة على رأس ميمنة الجيش الصليبى، وكان الصليبيون قد قرروا مهاجمة معسكر الملك الكامل فى فارسكور، وتحدد اليوم السابق موعدا لهذا الهجوم. وأسرع الأيوبيون بالأرتداد، فاعتقد الصليبيون انهم انسحبوا ، فدخلوا المعسكر الأيوبي وقرروا المبيت به. ولكنهم فوجئوا بالأيوبيين يشنون هجوما خاطفا عليهم. وكان للمفاجأة وقعها، فارتد جوتييه ومن معه من الفرسان الصليبيين فاختلت صفوف الصليبيين، وكانت خسائرهم فادحة في تلك المعركة. و من بين القتلى ايماردى لايرون مارشال الاسبتارية وسيد قيسارية السابق.(٤٠) ولاتمدنا المصادر التى تحت أيدينا، من عربية وأجنبية، بالمزيد من التفاصيل عن دور جوتييه سيد قيسارية بعد هذه الهزيمة. ولكن من الثابت أنه عاد الى قبرص فى العام التالى، إذ ظهر في وثيقة مؤرخة فى اكتوبر ١٢٢٠م/ شعبان ٦١٧هـ.(٤١)ومن الثابت أيضا انه بادر بارسال المساعدات اللازمة للدفاع عن اقطاعيته عندما تعرضت للهجوم من جانب المعظم عيسى. ولكنه لم يذهب للدفاع عنها، تاركا هذه المهمة لأصدقائه الجنوية(٤٢).

وأخذت الأحداث تجرى بسرعة علي ضفاف النيل، إذ سقطت دمياط فى قبضة الصليبيين في ٥ نوفمبر ١٢١٩م/٢٥ شعبان ٦١٦هـ. ثم كان رحيل الملك الصليبى جان دى برين ومعه عدد كبير من الفرسان الصليبيين والقبارصة فى

١٢٢م/٦١٧ هـ عائدين إلى عكا وقبرص . ولم يقم الصليبيون بعد سقوط دمياط بعمل حاسم سوى الاستيلاء علي قلعة تنيس، ومهاجمة البرلس فى يوليو ١٢٢م/جمادى الأول ٦١٧هـ وذلك إلى مقدم جان دى برين مرة ثانية إلي دمياط فى ٧ يوليو ١٢٢١م/ ١٤ جمادى الآخرة ٦١٨هـ.(٤٣) وغير معروف إن كان جوتييه الثالث قد عاد إلي دمياط مرة ثانية أم لا، وذلك لمشاركة الصليبيين فى الزحف صوب القاهرة. غير أن هذه المحاولة منيت بالفشل الذريع، وتعرض الصليبيون لهزيمة مريرة فى ٢٦ أغسطس/٦ رجب.(٤٤) وازاء ذلك اضطر المندوب البابوى بلاجيوس إلي عرض الصلح على الملك الكامل محمد. وكان من بين بنود المعاهدة التى تم التوصل إليها بين الجانبين أن يتم تبادل عدد من الرهائن فيما بينهما. وقد ذكر المؤرخ ابن أيبك أن «صاحب جزيرة قبرص» كان من بين هؤلاء الرهائن.(٤٥) ولما كان ملك قبرص انذاك هو هنرى الأول الذى كان لازال طفلا تحت الوصاية، فان المقصود بذلك ربما يكون جوتييه الثالث كندسطبل الجزيرة والذى كان بمثابة نائب الملك القبرصى. وهناك احتمال آخر أن يكون ايستورج رئيس أساقفة نيقوسيا المقصود بذلك. وهو مالم نستطيع التوصل إليه على وجه التحديد، لأن مصادر البحث، من معاصرة ومتأخرة زمنيا، عربية وأجنبية، لا تسعفنا برد شاف.

وبعد فشل الحملة الصليبي الخامسة، عاد جوتييه الثالث سيد قيسارية الى قبرص حيث ظهر فى عدة وثائق تحمل توقيعه. ولايعنى هذا انه لم يشارك فى أحداث المملكة الصليبية، فقد ظهر في عام ١٢٢٥م/٦٢٢هـ فى الحفل الذى أقيم للملكة ايزابيلا في صور(٤٦) وهذا يعنى أن اهتماماته كانت موزعة بين قبرص والمملكة الصليبية فى عكا. وكان جان دى برين قد التزم فى تلك الفترة باتباع سياسة المهادنة مع المسلمين بعد فشل حملته على مصر. وأخذ يسعى للبحث عن زوج لابنته يولاند Yoland فأبحر إلى الغرب، حيث تم الاتفاق على زواجها من الامبراطور فردريك الثانى بهدف اجباره على الذهاب إلى الأراضى المقدسة بعد أن وعد أكثر من مرة بذلك ولم يف بوعده .(٤٧)

وأخيراً ، قرر الامبراطور الألمانى الذهاب إلى الأراضى المقدسة. فأرسل طلائع

قواته إلى عكا التى تنتظر وصوله دون جدوى. إذ تخلف عن الحضور متعللا بمرضه، وكان ذلك في أغسطس ١٢٢٧م/٦٢٤هـ. وعندما علم الصليبيون بذلك، عاد كثير منهم إلى أوطانهم، ولم يتبق منهم سوي أعداد بسيطة. وقد تمكن هنري دوق ليمبورج من اقناعهم بالبقاء، وعقد مؤتمرا لمناقشة الموقف الذي يجب اتخاذه لحين وصول فردريك. وبعد مناقشات طويلة تقرر أن يكون هدفهم هو بيت المقدس، على أن يسبق ذلك تحصين قيسارية بعد التخريب الذي تعرضت له المدينة وقلعتها على يد المعظم عيسى. وبالفعل بدأت أعمال التحصينات التى استمرت حتي شهر أبريل ١٢٢٨م/ جمادي الأولى ٦٢٥هـ.(٤٨) وقد تمت هذه الأعمال بصفة خاصة في القلعة التي كانت بمثابة وحدة دفاعية مستقلة يمكن للصليبيين اللجوء إليها أثناء أي حصار تتعرض له المدينة. وللمرة الثانية لم يكن جوتتيه الثالث سيد الإقطاعية موجودا بها أثناء تحصينها بسبب تواجده في قبرص وانشغاله هناك بصفة مستمرة كنائب عن الملك القبرصى، فضلا عن مشاكله مع الملك الصليبي جان دي برين. وفي تلك الأثناء تعافى فردريك الثانى من المرض الذي كان قد ألم به ، وأبحر في يونيو ١٢٢٨م/رجب ٦٢٥هـ متجها إلي الأراضى المقدسة لكي يكون علي رأس واحدة من أغرب الحملات الصليبية، والتى عرفت بالحملة الصليبية السادسة، وفي ٢١يوليو/ ١٦ شعبان وصل إلي قبرص حيث كان بداية الصدام بينه وبين آل ابلين للسيطرة على الجزيرة. فقد طلب فردريك من يوحنا ابلين الذى كان يتولى أمر الوصاية على الملك الصغير هنرى الأول التنازل عن منصب الوصي، وكذلك التنازل عن مدينة بيروت، وأمام رفض يوحنا ابلين لمطالب فردريك كادت الحرب الأهلية تشتعل في الجزيرة لولا التوصل إلي اتفاق بينهما ، تنازل يوحنا بمقتضاه عن الوصاية في قبرص وعرض أمر بيروت علي المحكمة العليا ، لأنها هى المختصة دون غيرها بالفصل في مثل هذه الخلافات ، وقد وقف جوتييه الثالث سيد قيسارية وابنه يوحنا إلى جانب يوحنا ابلين في صراعه مع فردريك.(٤٩) وكان لهذا الموقف أثره على جوتييه، فقد عزله فردريك من منصب الوصى في المملكة الصليبية ، وتم تعيين باليان أوف صيدا وأودوأوف مونتبليارد Odo of Montbliard في هذا المنصب(٥٠).

على أية حال، ناقش فردريك الخطة التي سبق أن أقرها الصليبيون والخاصة بالتوجه إلي بيت المقدس بعد اتمام تحصين قيسارية والمدن الأخرى الواقعة على الطريق المؤدي إلى المدينة المقدسة مثل يافا. ووافق على هذه الخطة واتجه بالفعل إلى يافا لتحصينها. وفي نفس الوقت بدأ اتصالاته مع الملك الكامل محمد من أجل تنفيذ ماسبق أن عرضه عليه الكامل، وهو تسليم القدس إليه مقابل مساعدته ضد أخيه المعظم عيسى. ولكن الظروف مالبثت أن تغيرت، بوفاة المعظم عيسى في أواخر ذي الحجة ٦٢٤هـ/ ١١ نوفمبر ١٢٢٧م. وهنا تعثرت المفاوضات بين الجانبين، ورأى الامبراطور الألماني القيام ببعض التحركات العسكرية للضغط على الملك الأيوبي(٥١). أخيرا تم التوصل إلى معاهدة يافا في ١٨ فبراير ١٢٢٩م/٢٢ربيع الأول ٦٢٦هـ، وهي المعاهدة التي أثارت الجانبين الصليبي والاسلامي على حد سواء.(٥٢). وعلى الرغم من انها تعتبر معاهدة شخصية بين العاهلين الإسلامي والمسيحي، فإنها ظلت سارية المفعول حتى موعد انتهائها عام ١٢٣٩م/٦٣٧هـ. وأبحر فردريك عائدا إلي أوروبا في أول مايو ١٢٢٩م/٥ جمادى الآخرة ٦٢٦هـ، وفي طريقه مر بقبرص وقام بتعيين خمسة من النواب بها على رأسهم املريك بارليس Amalric Barlais(٥٣).

وقد عادت الحملة الصليبية السادسة بالفائدة على قيسارية. إذ تم تحصينها بعد أن ظلت حوالي ثماني سنوات مخربة وذلك منذ إغارة المعظم عيسى عليها في عام ١٢٢٠م/٦١٧هـ. ولكن فردريك بمجيئه إلى الشرق الأدنى فجر الصراعات بين الصليبيين المقيمين فيه وبين نوابه الذين تركهم وراءه. وقد استمرت هذه الصراعات بين الجانبين عدة سنوات بعد رحيله، وتركت أسوأ الأثر على كيانهم في المنطقة. فقد اتجه يوحنا ابلين إلي قبرص عندما استنجد به آل لوزنيان، وأعد حملة على نفقته الخاصة شاركه فيها جوتييه الثالث كندسطبل الجزيرة السابق. وعند نيقوسيا دارت المعركة بين آل ابلين وبين نواب فردريك انتهت بانتصار الجانب الأول. ولكن جوتييه الثالث لقى مصرعه في هذه المعركة وكان ذلك في ٢٤ يونيو ١٢٢٩م/ ٣ رجب ٦٢٦هـ.(٥٤) والواقع أن هذه السنوات الست عشرة التي قضاها جوتييه

فى حكم إقطاعيته أو فى قبرص شاهدت الكثير من الأحداث التى كانت بلاد الشام ومصر وقبرص مسرحا لها. وقد ساهم سيد الاقطاعية بدور واضح فيها. كما شارك أيضا فى الصراعات التى دارت ضد الامبراطور الألمانى فردريك. ثم إن المنصب الذى كان يتمتع به فى قبرص ترك بدون شك أثرا واضحا علي إقطاعيته وعلى اهتمامه بها، بخلاف من سبقه من سادتها الإقطاعيين. غير أن الصليبيين أدركوا أهميتها فى الربط بين شمال وجنوب المملكة الصليبية الاسمية، فقاموا بتحصينها مرتين خلال عشر سنوات.

خلف يوحنا أباه جوتييه الثالث فى حكم قيسارية (١٢٢٩ - ١٢٤١م/٦٢٦ - ٦٣٩هـ) وقد اتبع نفس السياسة السابقة التى سار عليها والده والمتمثلة فى التأييد المطلق لآل ابلين ضد فردريك الثانى[٥٥]. ولم تلبث الحرب أن اندلعت مرة أخرى بينهم وبين ريتشارد فلانجيرى نائب فردريك الذى أرسله إلى الشرق الإسلامى فى عام ١٢٣١م/٦٢٨هـ. وقد اعتقد يوحنا ابلين الذى كان آنذاك فى عكا، أن قبرص سوف تكون الهدف الأول لرتشارد فأبحر مسرعا على ظهر أسطول الى هناك، ولكنه اتجه إلى بيروت، وكانت آنذاك فى حوزة آل ابلين، فاستولى عليها، بينما ظلت القلعة تقاوم هذا الحصار. وعندما علم يوحنا ابلين بذلك، عاد مسرعا إلي بيروت لإنقاذها من قوات فلانجيرى. وأسرع يوحنا صاحب قيسارية على رأس القوات المؤيدة لآل ابلين في صراعهم ضد نائب الامبراطور الألمانى لنجدة بيروت. وتمكن من إنزال الهزيمة بقوات فلانجيرى، ثم اتجه بعد ذلك إلى صور لمحاصرتها[٥٦] وقام باليان صاحب صيدا الذى كان نائبا لفردريك فى الأراضى المقدسة،ومعه فلانجيرى بمصادرة أراضى يوحنا صاحب قيسارية، سواء فى عكا أو فى قيسارية نفسها. وكانت هذه المحاولة من جانبهما تهدف إلى منعه من الوقوف بجانب يوحنا ابلين. ولكن هذا القرار لم يكن له أيه قيمة ، وذلك لافتقاره للناحية القانونية. فلم يكن صادرا عن المحكمة العليا المختصة بالنظر فى مثل هذه الأمور، ومما يدل علي عدم فاعلية هذا القرار أن يوحنا قام ببيع أراضى له فى عام ١٢٣٢م/٦٢٩هـ.[٥٦]

وينتقل الصراع من معاقل الفرنج فى الشام إلى قبرص مرة أخرى، وذلك فى نهاية أبريل ١٢٣٢م/أوائل رجب ٦٢٩هـ، حيث دارت معركة اجريدى Agridi بين القوات الامبراطورية وقوات آل ابلين.(٥٨) وقد انضم يوحنا صاحب قيسارية إلى قوات ابلين وكان على رأس أحد أقسام الجيش الأربعة.(٥٩) كما شارك فى دفع تكاليف الجيش، وذلك ببيعه احدى قلاعه مقابل ١٦ ألف بيزنط.(٦٠) وانتهت هذه المعركة بهزيمة الجيش الإمبراطورى، ورد الملك القبرصى هنرى الأول ماسبق أن حصل عليه من القادة الصليبيين من أموال ومن بينهم يوحنا صاحب قيسارية.

وبانتقال مسرح الحوادث مرة ثانية إلى بلاد الشام، ظهر يوحنا باعتباره الرجل الثانى فى المملكة الصليبية بعد يوحنا ابلين. وتتلخص الظروف في أن فردريك الثانى أراد ارضاء نبلاء وبارونات المملكة الصليبية بتعيين أحدهم وهو فيليب موجاستيل Philip of Maugastel نائبا عنه فى الشام بدلا من فلانجيرى، وذلك فى عام ١٢٣٣م/ ٦٣٠هـ. وكاد يتم ذلك الأمر لولا تدخل يوحنا صاحب قيسارية. فقد ناب عن البارونات والامراء فى التحدث في الاجتماع الذى عقد لهذا الشأن. ورفض تعيين موجاستيل باعتبار أن ذلك يتعارض مع الإجراءات القانونية السائدة فى بيت المقدس.

وعندما اشتد الجدل حول هذا الموضوع، قام بدعوة أعضاء قومون عكا(٦١) لمساندته وتم فض الاجتماع. كما تقرر انتخاب يوحنا ابلين لكى يكون الحاكم الفعلى فى المملكة الصليبية باستثناء صور التى ظلت تابعة لنائب الإمبراطور. وعاد يوحنا ابلين إلي قبرص، بينما ترك يوحنا صاحب قيسارية لكى يكون ممثلا له فى الشام(٦٢).

والتساؤل الذي يطرح نفسه هنا هو : هل ترك انشغال يوحنا سيد قيسارية بهذه الأحداث الداخلية أثره علي اقطاعيته أم لا؟ مما لاشك فيه أن كل هذه الأحداث

التى شارك فيها صاحب قيسارية مشاركة فعالة كانت تتطلب نفقات كثيرة من أجل الجيش الذي كان يرأسه. وقد تسبب ذلك فى قيامه ببيع قلعة كفرلات مقابل ١٦ ألف بيزنط للإنفاق منها علي تجهيز الجيش. ولم يكن هذا هو التأثير الوحيد على الإقطاعية ، بل الأهم من ذلك أن الداوية استغلوا هذا الموقف الذى أمسى فيه يوحنا. فلم يكتفوا بشراء هذه القلعة، بل طالبوا باستقلالهم الإدارى والسياسى عن إقطاعية قيسارية. وبذلك أصبحت المنطقة الساحلية الشمالية التى تمتد من الطنطورة et - tantura جنوبا إلى عثليت شمالا خاضعة لجماعة الفرسان الداوية[٦٣].
وعلي الرغم من أن تاريخ هرقل أورد أن جماعة الفرسان الاسبتارية هى التى قامت بشراء هذه القلعة، فإن المؤرخ جوستاف باير يرى أن الداوية هم الذين قاموا بشرائها. وعددّ الأسباب التى يستند عليها فى ذلك، فمن ناحية يرى أنهم سعوا إلى استكمال فرض سيطرتهم على المنطقة المحيطة بقلعتهم فى عثليت، وبالتالى فليس من المعقول أن يضيعوا هذه الصفقة الرابحة من أيديهم. كما أن المؤرخ الفرنسى دلافيل لي رو Delaville Le Roulx المتخصص في نشر وثائق الاسبتارية، لم يرد ضمن وثائقه مايدل على قيام الاسبتارية بعملية الشراء.[٦٤] وهناك سبب آخر يدل على سيطرة الداوية على هذه المنطقة وذلك أن البابا جريجورى التاسع أرسل اليهم فى عام ١٢٣٨م/ منتصف ٦٣٥هـ يهددهم بسحب حمايتهم للطريق الذى يمتد من حيفا إلى قيسارية، وذلك بسبب تعرض الحجاج المارين فى هذه المنطقة للأخطار مما يدل على سيطرتهم على هذه المنطقة.[٦٥]

وثمة تساؤل آخر يطرح نفسه وهو : هل كان لانشغال سيد الإقطاعية أثره علي علاقته بالمسلمين ؟ لاشك أن الأحداث الداخلية التى وقعت فى المملكة الصليبية كان من الممكن أن تؤثر على هذه العلاقات لولا أن الأيوبيين انشغلوا هم أيضا بأحداث خارجية وداخلية تركت تأثيرها عليهم. فقد هدد الخوارزمية الأيوبيين فى شمال الشام، وواصلوا تقدمهم حتى خلاط.[٦٥] ولجأ الايوبيون إلى التحالف مع

سلاجقة الروم لطرد هذا الخطر الخوارزمي، ونجحوا بالفعل في صده. ونجح الأشرف موسى في استرداد أملاكه مرة ثانية، وذلك في رمضان ٦٢٧هـ/يوليو ١٢٢٩م.(٦٧) ولم تقف الأخطار الخارجية عند هذا الحد، إذ سرعان ما انقلب سلاجقة الروم من محالفين إلى معادين.(٦٨) وبالإضافة الى ذلك، كانت الصراعات الداخلية التي اتسعت هوتها بين أفراد البيت الأيوبي في مصر والشام تهدده بالتصدع. فقد تزعم الأشرف موسى الأيوبيين في الشام ضد الملك الكامل محمد في مصر، وذلك في ٦٣٤هـ/١٢٣٦م. ثم تولى الصالح عماد الدين اسماعيل صاحب بصرى قيادة هذا التحالف الأيوبي بعد وفاة الأشرف موسى في المحرم ٦٣٥هـ/ أغسطس ١٢٣٧م. ولكن الكامل محمد تمكن من قمع هذه الحركة المعادية له. ومالبثت أن توفى في ٢١ رجب ٦٣٥هـ/ ١٠ مارس ١٢٣٨م، حيث خلفه ابنه العادل الثاني. ولم تلبث الخلافات أن تجددت مرة أخرى بين آل البيت الأيوبي.(٦٩) وقد تركت هذه الاحداث أثرها على العلاقات بين الجانبين الصليبي والاسلامي بصفة عامة، وعلي العلاقات بين إقطاعية قيسارية وجيرانها المسلمين بصفة خاصة، فقد ظلت الأوضاع هادئة على امتداد الحدود بينها وبين الأيوبيين الذين انشغلوا بأحداثهم الداخلية. كما ظلت المعاهدة بين الجانبين الصليبي والاسلامي قائمة حتى عام ١٢٣٩م/٦٣٧هـ. وقد ترتب علي ذلك هدوء العلاقات بين الجانبين إلى حد بعيد.

غير أن الجماعات الرهبانية العسكرية، وبصفة خاصة جماعتي الداوية والاسبتارية استغلت عدم دخولها في معاهدة يافا، فأخذت تشن الهجمات على بعض المدن والقلاع الايوبية.(٧٠) ففي عام ١٢٣٦م/أواخر ٦٣٣هـ اشترك يوحنا سيد قيسارية مع الاستبارية والداوية وقوات أخرى من الصليبيين في مهاجمة بعرين Montferant(٧١) وعندما أدرك أهلها عدم جدوى المقاومة أسرعوا بالفرار منها، فتقدم الصليبيون إليها وقاموا بنهبها وتخريبها.(٧٢) ثم واصلوا سيرهم الى

مرج عيون وبعض القري المحيطة بها فلقيت نفس المصير السابق. وقد استمرت هذه الاغارة ثمانية أيام ، ولم ينقذ الموقف سوى تدخل المظفر تقى الدين محمود صاحب حماة الذى تعهد بدفع الجزية للاسبتارية(٧٣).

وبينما كانت هذه الأحداث تجري فوق رقعة الشرق الأدنى، كانت البابوية في الغرب الأوربى تمهد لقيام حملة صليبية جديدة بعد الفشل الذي منيت به الحملة الخامسة، فضلا عن عدم رضائها عن الحملة السادسة. فقد حاول البابا جريجورى التاسع حل الخلافات الناشبة بين الصليبيين فى الشرق، وذلك بأن أرسل إليهم خطابات تحثهم علي الاتفاق. وكان يوحنا سيد قيسارية أحد هؤلاء الذين خاطبهم البابا، مما يدل دلالة واضحة على ما كان يتمتع به من مكانة بين أمراء الأراضى المقدسة.(٧٤) وأخذ البابا يوفد رسله الى كافة أنحاء الغرب يدعوهم للمشاركة فى الصليبية المزمع القيام بها. وتحدد عام ١٢٣٩م/٦٣٧هـ كآخر موعد لرحيل الصليبيين من أوروبا. ولم يستجب لقيادة هذه الحملة سوى ثيوبولد ملك نافار وصاحب شامبانيا.(٧٥)

وعندما وصلت طلائع هذه الحملة التى عرفت بالحملة الفرنسية الى عكا في سبتمبر ١٢٣٩م/صفر ٦٣٧هـ، عقد الصليبيون موتمرا لمناقشة كيفية الاستفادة منها، وكان يوحنا سيد قيسارية أحد هؤلاء الذين حضروا هذا المؤتمر. وعرضت آراء مختلفة لتوجيه الحملة من بينهما اقتراح من أمراء وبارونات الأراضى المقدسة بأن يتم توجيهها إلى مصر، بينما اقترح آخرون أن تتجه إلى دمشق. وتم الاتفاق على الرأى الأخير، بعد أن يتم قطع الطريق بين دمشق ومصر لمنع وصول أيه مساعدات من مصر. ولم يكن ذلك ميسورا إلا عن طريق احكام قبضتهم على عسقلان وغزة. وبالفعل تم الاتفاق علي ذلك.(٧٦) وفى اوائل نوفمبر / أوائل ربيع الآخر أبحر البعض من عكا ووصلوا الى عثليت، ثم اتخذوا الطريق البرى إلى يافا.(٧٧) أما بقية الجيش فقد اتخذ الطريق البرى من عكا الى يافا. وفى الطريق التقي

بعض الفرسان الفرنسيين بقيادة بطرس بريتانى Peter of Brittany ورادلف أوف سواسون Radulf of Soissons بقافلة اسلامية. فهاجموها وحصلوا منها على غنائم كثيرة، ولحقوا بالجيش الرئيسى بعد ذلك. وقد ترك هذا العمل من جانب هؤلاء الفرسان أثراً عكسيا علي الحملة. فقد أثار ذلك غيرة هنرى أوف بار Henry of Bar الذى صمم على تحقيق نصر مماثل. وانضم إليه عدد من الأمراء الصليبيين أمثال باليان صاحب صيدا، وأوتو صاحب مونتبليارد ويوحنا سيد أرسوف. ولم يلتزم هؤلاء القادة بما وجهه إليهم ثيوبولد Theobald قائد الحملة من نصائح بالتزام الحذر. وفوجئوا بالجيش الايوبى وقد احاط بهم من كل جانب وأدرك القادة الصليبيون أمثال باليان ويوحنا وأوتو مدي الأخطار التى كانت تحيط بالصليبيين، فأسرعوا بالفرار تاركين الفرسان والمشاة الفرنسيين لمصيرهم المحتوم. وسقط مايقرب من ألف ومائتى قتيل، بخلاف الأسرى الذين بلغ عددهم حوالي ثمانمائة أسير.(٧٨) ولم يتمكن ثيوبولد قائد الحملة الفرنسية من تقديم أيه مساعدة للصليبيين، فارتد فى ١٤ نوفمبر/ ١٥ ربيع الآخر عائدا إلى يافا ومنها إلى عكا. وكان رد الفعل الآخر لهذه الحملة هو قيام الناصر داود بمهاجمة مدينة بيت المقدس، وكانت آنذاك فى قبضة الفرنج واستردها منهم بعد أن ظلت حوالى عشر سنوات فى أيديهم و ذلك فى ٧ ديسمبر ١٢٣٩م/ ٩ جمادى الأول ٦٣٧هـ.(٧٩)

وثمة تساؤل عن دور سيد قيسارية فى هذه الحملة الصليبية ومدى مساهمته فيها، ولايمكن الاجابة برد قاطع بهذا الخصوص، إذ أن النتف المبعثرة فى المصادر لاتسعفنا بذلك. فلم يرد سوى أنه كان ضمن الذين حضروا المؤتمر الذي انعقد لمناقشة وجهة الحملة. أما عن دوره فى الحملة الصليبية ذاتها والاحداث التى جرت بعد ذلك فغير واضح. ويذكر جون لامونت أن يوحنا سيد قيسارية ربما قتل فى هذه الحملة الصليبية لانه لم يظهر في البراءات الصليبية بعد هذا العام. ثم يستطرد قائلا انه يرجح وجوده بعد هذه الحملة الصليبية، معتمدا على ماذكره فيليب صاحب نافار من أن يوحنا سيد قيسارية قد مات فى عام ١٢٤١م/

٦٣٨هـ.(٨٠)

وخلال هذه السنوات الاثنتي عشر التى حكم فيها يوحنا إقطاعيته، اتسمت علاقته بالمسلمين بالهدوء بصفة عامة. ويرجع ذلك إلى احوال العالمين الإسلامى والصليبى فى هذه الفترة، وانشغالهما بظروفهما الداخلية والخارجية. وقد حرص يوحنا على الاقامة في قبرص، ولكنه فى الوقت نفسه لم يهمل أمر إقطاعيته فى بلاد الشام وكان له دور في العلاقات التى جرت مع الأيوبيين سواء في مصر أو الشام. وترك يوحنا طفلا واحدا وخمس بنات، وتوفى الطفل في مقتبل عمره. وأصبح من حق كبرى بناته وهى مارجريت وراثة الإقطاعية. وتزوجت من يوحنا أليمان Jean Aleman الذي ظهر لأول مرة في الوثائق الصليبية وهو يحمل لقب قيسارية في عام ١٢٤٩م / ٦٤٧هـ.(٨١)

وقد تميز يوحنا أليمان بنشاطه السياسى والعسكرى منذ توليه الإقطاعية الصليبية فقد ذكر جون لامونت أنه هو المعنى في ذلك الاجتماع الذى عقد فى عكا سنة ١٢٤٣م/٦٤١هـ.(٨٢) وكانت الأوضاع بين الصليبيين فى تلك الفترة لاتبشر بالخير. فقد انقسموا إلي فريقين متناحرين أحدهما يؤيد الإبقاء على العلاقات السلمية مع الملك الصالح نجم الدين أيوب، والثانى يعارض ذلك ويطالب ذلك بمهاجمة الأيوبيين. وكان على رأس الفريق الثانى الجماعات الرهبانية العسكرية وبصفة خاصة جماعة الفرسان الداوية.(٨٣) وكانت الخلافات بين أفراد الأسرة الأيوبية لاتزال على أشدها، ولذلك فقد تم التحالف بين الصليبيين وأمراء بنى أيوب في الشام وعلى رأسهم الناصر اسماعيل صاحب دمشق والناصر داود والمنصور ابراهيم ضد الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر. ولكن الأخير نجح في التحالف مع الخوارزمية ضد هذا التحالف الأيوبى الصليبى.(٨٤) وإن دل ذلك علي شيء فإنما يدل علي أن أفرنج الشام استغلوا خلافات البيت الأيوبى لصالحهم، بل عملوا علي تأجيج هذه الخلافات وتوسيع نطاقها للابقاء على كيانهم المتداعي في

الأراضي المقدسة. ولولا هذه الخلافات لكان الأيوبيون قد وجهوا ضربتهم القاصمة إلى معاقل الفرنج في الشام في أواسط القرن الثالث عشر الميلادى/ أواسط القرن السابع الهجرى، بدلا من تأجيل هذه الضربة حوالى نصف قرن من ذلك التاريخ.

على أية حال، تقدم الصليبيون وبنو أيوب في الشام جنوبا في طريقهم إلى غزة حيث وقعت المعركة الفاصلة بينهم وبين قوات الصالح أيوب والخوارزمية، ومر هذا الجيش في طريقه على قيسارية في ٤ أكتوبر ١٢٤٤م/ ٢٩ ربيع الاخر ٦٤٢هـ.(٨٥). وقد انضمت قوات الاقطاعية إليه. وفى ١٧ أكتوبر/ ٩ جمادى الأولى وقعت المعركة الفاصلة بين الجانبين التى انتهت بهزيمة مريرة للصليبيين والأيوبيين المتحالفين معهم.(٨٦) وعندما رفض الصالح أيوب السماح للخوارزمية بالاتجاه إلى مصر، قاموا بالعيث في المنطقة الممتدة بين يافا وعكا مما يعني أن قيسارية قد تعرضت للهجوم أثناء هذه الأغارات.(٨٧).

لقد شاركت إقطاعية قيسارية، بما كانت تتمتع به من أهمية ضمن إقطاعيات المملكة الصليبية الاسمية، في هذا الجيش الصليبى الذي وصفه المؤرخ ستيفن رانسيمان بأنه «أضخم جيش قذف به الشرق الفرنجى في ساحة قتال منذ معركة حطين».(٨٨) وإن كانت المصادر لا تمدنا بما يشفى الغليل عن تفاصيل هذه المساهمة ومداها.

كان للهزيمة التى منى بها الصليبيون والأيوبيون في الشام أثرها عليهم. إذ تمكن الصالح نجم الدين أيوب من فرض سيطرته علي مصر والشام فيما عدا حمص وحماة وحلب التى اعترفت له بالسيادة عليها.(٨٩) كما وجه الصالح أيوب جيشا إلى عسقلان فحاصرها من ناحية البر، بينما قام الأسطول الأيوبى بحاصرها بحرا. وفي ١٥ أكتوبر ١٢٤٧م/١٣ جمادى الآخرة ٦٤٥هـ تمكن الجيش الأيوبى من الدخول إليها وتقرر تدمير تحصيناتها.(٩٠) وكان لسقوطها تأثيره الواضح على

المملكة الصليبية بصفة عامة، وعلى إقطاعياتها الجنوبية بصفة خاصة . وأصبح بوسع الصالح نجم الدين أيوب أن يستكمل استرداد إقطاعيات المملكة الصليبية لولا انشغاله بالأحداث الداخلية التى ثارت مرة أخرى داخل الدولة الأيوبية.

وفي زحمة هذه الأحداث تصل حملة الملك الفرنسي لويس التاسع إلى دمياط في ٤ يونيو ١٢٤٩م/ ٢٠ صفر ٦٤٧هـ. وأخذت أحداثها تجري على ضفاف النيل حتى انتهت بالفشل مما كان له تأثيره على المملكة الصليبية فى منطقة الشرق الأدنى، هذا التأثير المتمثل فى انتقال لويس إلى بلاد الشام محاولا تعويض هزيمته وتحقيق أهداف الحركة الصليبية هناك. وفى تلك الأثناء قامت دولة جديدة فى مصر هى دولة المماليك الأولى. وكانت شجر الدر هى أول من تولى رسميا الحكم فيها فى ٣ صفر ٦٤٨هـ/٧ مايو ١٢٥٠م، وذلك عقب اغتيال المعظم توران شاه، آخر ملوك الدولة الأيوبية.[٩١] وكان لهذين الحدثين فشل حملة لويس على مصر، وقيام دولة المماليك، آثار قوية على المملكة الصليبية بصفة عامة وعلى اقطاعية قيسارية بصفة خاصة.

فقد أبحر الملك الفرنسى من دمياط فى ٨ مايو ١٢٥٠م/٤ صفر ٦٤٨هـ ، متجها إلى عكا التى وصلها بعد ستة أيام من رحيله. وعقد ثلاثة اجتماعات في الثلاثة آحاد المتتالية وذلك في الفترة من ١٩ يونيه إلي ٣ يوليو. وبعد مناقشات مثيرة قرر لويس البقاء في الأراضى المقدسة استجابة لرغبة باروناتها وأمرائها. وكان حنا أليمان سيد قيسارية ضمن بارونات وأمراء المملكة الذين حضروا هذه المؤتمرات وطلبوا من الملك الفرنسى البقاء في الأراضى المقدسة، وذلك لما سيعود علي إقطاعيته من نفع ببقائه.

ظل الملك الفرنسي في عكا زهاء تسعة أشهر جري خلالها تحصين هذه المدينة الساحلية الهامة والتى أصبحت عاصمة مملكة بين المقدس بعد استرداد الخوارزمية لبيت المقدس بصفة نهائية . ثم اتجه بعد ذلك في آخر مارس ١٥٢١م/أوائل المحرم

٦٤٩هـ إلى قيسارية بعد أن بلغته انباء تعرضها لإغارة من جانب المسلمين. ويبدو أن الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب (٦٢٧ ـ ٦٥٨هـ/ ١٢٢٩ ـ ١٢٦٠م) قد أوعز إلى الأيوبيين في الشام بالإغارة على قيسارية، بالإضافة إلي بعض الأماكن الأخرى، لكي يضغط على الملك الفرنسي في المفاوضات التي كانت تجري مع الجانبين الأيوبي في الشام والمملوكي في مصر لقبول العرض الأيوبي.(٩٢) وفي أوائل مايو/٧ صفر وصل الملك لويس الى قيسارية حيث استقر بها لمدة عام كامل وفي أثناء ذلك قام لويس بتحصينها ووقعت عدة احداث هامة بها.

وقد أمدتنا المصادر المعاصرة الأجنبية منها والعربية، بمادة وفيرة في هذا الشأن فقد ذكر وليم سانت باثوس St. Pathus أن لويس أحاطها بأسوار عالية وأبراج ضخمة. كما أشار كل من جوانفيل ومتى الباريسي Mattew Paris إلى تحصين لويس للمدينة.(٩٣) كذلك اشارت المصادر العربية إلى ما قام به لويس من تدعيم أسوارها وتحصيناتها. وأشارت بصفة خاصة إلى الطريقة التي اتبعها الملك في وضع الأعمدة الصغيرة أسفل هذه الأسوار علي شكل الصليب، امعانا في تقوية أساسها. «وأتقنوها بتصليب العمد في بنيانها، حتى لاتعمل فيها النقوب ولاتقع اذا علقت».(٩٤) كذلك اهتم لويس بقلعتها، وعمد إلى تحصينها وتدعيم بنيانها لاستخدامها عند محاصرة المدينة واللجوء إليها إذا ما نجح المسلمون في اقتحام أسوارها. وقد أضاف ابن العبرى أنه بعد تحصين لويس للمدينة أقام بها جماعة وهو مالم تشر إليه المصادر الأخرى(٩٥). وخلال أعمال التحصينات التى كانت تجرى، كان الملك يشارك بنفسه في حفر الخنادق وإقامة الأسوار وحمل الأحجار وتشجيع جنوده لإتمام هذه الأعمال في أسرع وقت ممكن.(٩٦)

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى حرص الملك علي تدعيم دفاعات المدينة، لكى تقوي علي الصمود أمام أية هجمات، سواء من جانب الأيوبيين فى الشام أو المماليك فى مصر. وبالفعل نجح لويس فى هذا، وإن كانت قيسارية لم تقو

على الصمود سوى احد عشر عاما بعد رحيله عن الأراضي المقدسة. وكان يمكن لها أن تصمد إلى نهاية الحروب الصليبية لولا أن ميزان القوى فى الصراع بين الجانبين الصليبي والاسلامى كان قد أخذ فى الميل لصالح المسلمين من ناحية، كما أن المماليك أدركوا مدى أهميتها بالنسبة لهم لأنها كانت تربط بين شمالى وجنوبى المملكة الصليبية. فكانت أول إقطاعية يوجهون لها ضرباتهم فلم تقو على الصمود.

وقد كشف التنقيب الأثرى عن هذه الأعمال التى قام بها لويس فى قيسارية.[٩٧] وتمت أغلب هذه التحصينات فى الدفاعات الخارجية للمدينة، وبصفة خاصة فى أسوارها أبراجها واتخذت المدينة تخطيطها النهائى فى العصر الصليبى بعد إتمام لويس لهذه الأعمال. واستخدم الملك بقايا أسورها القديمة والأعمدة الرومانية فى تدعيم وبناء الأسوار والأبراج الجديدة. وأحاط المدينة بثلاثة أسوار هى: الشمالى والجنوبى والشرقي. أما جهة الغرب فقد كان البحر يحرسها، وكان من الصعب اختراقها من هذه الناحية بسبب هذه الحماية الطبيعية. وكانت القلعة تمثل هى الأخرى منطقة حماية. وحول هذه الأسوار تم بناء خنادق بلغ عرض الخندق الواحد سبعة أمتار، ليمنع المهاجمين من اختراقها. وكان السور من أسفل شديد الانحدار حتى يصعب علي أى مهاجم، فى حالة اختراقه الخندق أن يتسلقه وقد بلغ طول الجزء السفلى حوالى ثمانية أمتار، أما الجزء الذى يرتفع فوق هذا السور فقد بلغ ارتفاعه حوالى عشرة أمتار. وتم تدعيم الأسوار بأبراج قوية، ففوق السور الشمالى كان يوجد ثلاثة أبراج، أما السور الشرقى فبلغ عدد الأبراج الموجودة فوقه تسعة وأما الجنوبى فكان يوجد فوقه أربعة أبراج ويبلغ ارتفاع البرج فوق السور مابين سبعة وثمانية أمتار، وكان الجزء الجنوبى منه ينفذ في داخل السور نفسه، امعانا في تقويته . كما كانت توجد الكوات أو المزاغل أسفل هذه الأبراج لاستخدامها فى إطلاق السهام وأعمال الدفاع الأخرى. أما الباب الرئيسى للمدنية فقد كان يوجد فى السور الشرقى، وأمامه جسر مقام نصفه على قنطرة يحملها عدد من أنصاف العقود، أما النصف الآخر فقد أقيم فوق الخندق، وكان مبنيا من

الخشب ومربوطا بسلسلة إلي داخل المدينة نفسها بحيث يمكن رفعه بسهولة عند أى هجوم، أو تخريبه إذا ما فاجأهم المسلمون. وقد أقيم لحماية الباب برج ضخم، وكان الباب نفسه مصنوع من الحديد، وكان على الداخل إلى المدينة أن ينحرف بزاوية قدرها ٩٠ درجة، وأقيمت شرفات طويلة داخل الباب لحمايته والدفاع عنه. وكانت هذه الوسائل كلها محاولة لعرقلة المهاجمين للمدينة عند اقتحامها مباشرة فى حالة نجاحهم فى عبور الجسر المقام فوق الخندق. وبالإضافة إلي هذا الباب الرئيسى، كان يوجد بابان آخران : أحدهما فى السور الشمالى وعرف بالباب الشمالى والاخر فى السور الجنوبى وعرف بباب البحر نظرا لقربه من البحر. وإلى جانب هذه الأبواب، كانت توجد أبواب أخرى سرية عرفت باسم Postern ، وهى تؤدى إلى قاع الخندق، وذلك لاستخدامها في بعث أيه رسائل الى خارج المدينة في حالة تعرضها للحصار، أو لإرسال الجواسيس.(٩٨)

وبخلاف أعمال التحصينات التى قام بها الملك الفرنسى في قيسارية، وقعت أحداث أخرى هامة فى المدينة أثناء اقامته بها. إذ أن لويس التاسع أثناء اقامته فى قبرص قبل هجومه على مصر كانت قد وفدت عليه سفارة من قبل أحد خانات التتار في وسط فارس تعرض التعاون معه ضد المسلمين في الشرق الأدنى فرحب لويس بها، وأرسل سفارة من قبله إلى الحاكم المغولى. واتجهت السفارة إلي بلاط الخان فى وسط فارس، بينما اتجه الملك الفرنسى بحملته إلي مصر. ومضى عامان حدث خلالهما ماحدث من هزيمة مريرة للجيش الصليبى على ضفاف النيل، وتوجه لويس مهزوما إلي الشام، وأثناء إقامته فى قيسارية بتحصينها وتعزيز دفاعاتها، عادت سفارته لتلتقى به وتقص عليه مادار من محادثات بين أعضائها وبين التتار وقد سجلها جوانفيل في مذكراته وأوضح أنها فشلت فى تحقيق الغرض الذى أوفدت من أجله.(٩٩) وبينما كان لويس علي وشك مغادرة قيسارية، أى فى مايو ١٢٥٢م/ربيع الأول ٦٥٠هـ، تم التوصل إلي عقد اتفاقية بينه وبين المماليك فى مصر، حقق فيها معظم ماكان يرغب في تحقيقه من حملته على الشام.(١٠٠).

وطوال هذه الأحداث التى جرت فى قيسارية أثناء إقامة الملك الفرنسى بها، كان المؤرخ جوانفيل ملازما له لايكاد يفارقه. وقد أمدنا هذا المؤرخ ببعض صفات وطباع أهل قيسارية من الصليبيين، والأحكام التى كانت تصدر فى بعض الخلافات طبقا لعادات أهلها. مثال ذلك الحادثة التى رواها جوانفيل عندما جرى ضبط أحدالفرسان الصليبيين في منزل يدار للفساد، ووفقا لعادات أهل قيسارية اللاتين كان علي الفارس أن يختار بين أمرين : إما أن تقوده تلك المرأة التى ضبط معها وهو فى قميصه عبر المعسكر وقد ربط بحبل بطريقة مخزية، أو أن يطرد من المعسكر ويسلم جواده وسلاحه. وقد اختار الفارس الصليبى الأمر الثانى.(١٠١) وتبين هذه القصة التى سجلها جوانفيل إلي أى مدى كان الفساد الخلقى منتشرا بين الصليبيين في الأراضى المقدسة، الأمر الذى دفع لويس إلى وضع فراشه أمام خيمته حتى يراه الكل بطريقة واضحة منعا لأيه شبهة تحوم حول اتصاله بالنساء.(١٠٢) كما أشار جوانفيل إلى حادثة أخرى فى قيسارية، وذلك عندما اعتدى أحد الجنود الصليبين على أحد فرسان جوانفيل فاشتكى الأخير إلى سيده الذى قام برفع الأمر إلى الملك الفرنسى. وأمر لويس بأن تأخذ العدالة مجراها، وفقا لتقاليد وطباع أهل البلد، فكان على الجندى أن يأتى وهو بملابسه الداخليه ويمسك سيفه فى يده ثم يتقدم للفارس الذى اعتدى عليه طالبا منه أن يقطع تلك اليد التى اعتدى بها عليه، أو أن يصفح عنه، وهنا تدخل جوانفيل فطلب من فارسه أن يعفوا عنه ففعل.(١٠٣) كما أشار أيضا إلى أن من عادة أهل قيسارية تناول طعامهم على حصر مبسوطة وهم يجلسون فى مواجهة بعضهم البعض.(١٠٤) ولاشك أن هذه الإشارات التى أوردها جوانفيل إنما تلقى بعض الضوء على تقاليد وطباع الصليبيين في الأراضي المقدسة وهو ما ضنت به علينا المصادر الأخري.

على أيه حال، أبحر لويس من عكا فى مساء ٢٥ إبريل ١٢٥٤م/ ٥ ربيع الأول ٦٥٢هـ، عائداً إلى فرنسا، وترك قوة رمزية تتألف من مائة فارس على

رأسهم جوفرى دى سارجين الذى أصبح صنجيلا للمملكة الصليبية.[١٠٥] وعلي الرغم مما قام به من تحصينات فى قيسارية وغيرها من مدن وقلاع المملكة. فان بعض المؤرخين الحديثين يرى أنه ورط الشرق اللاتينى فى كارثة عسكرية مروعة، فلم يتم تعويض الخسارة في القوة العسكرية التي فقدها الصليبيون سواء في الحملة على مصر أو على بلاد الشام. ومن ناحية أخرى، ترك لويس الأراضى المقدسة دون وجود الشخصية القوية التى تتمكن من إدارة دفع المملكة والوصول بها إلى بر الأمان، فأخذت الأوضاع بها تسير من سيء إلى أسوأ.[١٠٦] فقد أخذت الجمهوريات الايطالية مثل جنوة والبندقية وبيزة ، تتصارع فيما بينها للحصول على المركز الأفضل في العلاقات التجارية مع المسلمين. كما انقسم الصليبيون أنفسهم بعد رحيل لويس إلى فريقين متصارعين وقد أدرك يوحنا أليمان مدى الخطورة التى تهدد المملكة والأوضاع التى تردت فيها بعد رحيل لويس فكتب هو وعدد من النبلاء في الأراضى المقدسة فى عام ١٢٥٤م/٦٥٢هـ إلي هنرى الثالث ملك انجلترا (١٢١٦ ـ ١٢٧٢م) يطالبه بارسال حملة صليبية جديدة.[١٠٧] وعلى الرغم من أن هنرى كان قد وعد بحمل الصليب والاتجاه إلى الشرق، فانه تمكن من إقناع البابا انوسنت الرابع (١٢٤٣ ـ ١٢٥٤م) بإرجاء أرسال المساعدات اللازمة للأراضى المقدسة.[١٠٨] وخلال الفترة المتبقية من حكم يوحنا أليمان ، والتى استمرت حتى قبيل سقوط قيسارية نهائيا فى قبضة المماليك، قام ومعه زوجته ببيع عدد من الأراضى والقلاع التي كانا يمتلكانها، سواء في عكا نفسها إو في قيسارية، لجماعة الفرسان الاسبتارية ونظير ذلك تم قبولهما كزملاء فى الجماعة.[١٠٩] ولاشك أن عملية البيع هذه من جانب صاحبة الإقطاعية وزوجها توضح إلى أي مدي انهارت أوضاع الإقطاعيات الصليبية في الأراضى المقدسة بسبب قلة مواردها ، بحيث اضطر أكثر سادتها إلى بيع أراضيها وقلاعها. بل إن بعضهم لجأ إلى أكثر من ذلك، وهو التنازل عن الإقطاعية كلها مثلما فعل سيد ارسوف فى عام ١٢٦١م/٦٥٩هـ عندما قام بتأجير اقطاعيته بأكملها لجماعة

الفرسان الاسبتارية.(١١٠).

وهكذا أخذت أحوال الصليبيين تسير من سيء إلى أسوأ، فقد تفجرت الصراعات ليس فى شوارع عكا عاصمة المملكة فحسب، بل امتدت إلى كافة أنحائها. ولم تكن قيسارية بمنأى عن تلك الصراعات الداخلية. وفى نفس الوقت كانت تلك الدولة الناشئة في مصر، وهي دولة المماليك، تعمل علي توطيد أركانه. وتمكن سلاطينها بالفعل من الصمود أمام خطر الأيوبيين في الشام الذين كانوا قد رفضوا الاعتراف بشرعية هذه الدولة، كما استطاعوا الصمود أمام خطر أشد كاد يعصف بالعالم الاسلامى ويقضى عليه بأجمعه، ألا وهو الخطر المغولي وتمكنوا من دحره. ثم استدار المماليك بعد ذلك لكي يستعيدوا بقية المدن والقلاع الصليبية. وكانت قيسارية هي أول تلك الإقطاعيات التي استردها المماليك كما سنري فى الفصل التالي.

هوامش الفصل الرابع

(١) أصبحت قبرص تابعة لآل لوزنيان بعد أن قام ريتشارد قلب الأسد بمنحها لجاى لوزنيان تعويضا له عن حكمه مملكة بيت المقدس الأسمية منذ ذلك التاريخ قامت أسرة آل لوزنيان فى الجزيرة لقرابة ثلاثة قرون (١١٩٢ ـ ١٤٧٢م) كما ارتبطت ارتباطا وثيقا بالأمور التى جرت على مسرح الأحداث فى بلاد الشام. وحصل الأمراء الصليبيون على إقطاعيات فى الجزيرة الصليبية خاصة عندما توحد عرش المملكة والجزيرة فى عهد عمورى لوزنيان (١١٩٧ ـ ١٢٠٥م) أنظر :
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ٢ ، ص ٨٨٧ ، ٨٨٨

(٢) LaMonte, Lords of Caesarea, P. 157.

(٣) شهد على أحكام هنرى صاحب شامبانيا وعمورى لوزنيان وجون ابلين الوصى على عرش المملكة الصليبية، وأخيراً لجان دى برين. للمزيد أنظر :
Röhricht, Regesta, doc. 721, 722, 740; La Monte, op. cit., pp. 157 - 58.

(٤) Röhricht, Regesta, doc. 812; La Monte op. cit., p. 157; Rey ,Les Famillies d'Outre - mer, p. 280.

(٥) لم يتمكن يوحنا ملك انجلترا (١١٩٩ ـ ١٢١٦م) من الاشتراك فى الحملة نظرا للصراع الذى ثار بينه وبين الأمراء الإنجليز آنذاك. أما فيليب أوغسطس (١١٨٠ ـ ١٢٢٣م) فقد تعلل بمحاولته القضاء على الهرطقة الألبجنسية التى انتشرت فى جنوب فرنسا، كما اعتذر الإمبراطور الألمانى فردريك الثانى عن الاشتراك فى هذه الحملة بحجة ضرورة بقائه فى أوربا لحماية ممتلكاته من الأخطار التى كانت تهددها. وكان الجى الثانى ملك النرويج قد وعد بحمل الصليب المقدس، ولكنه مات فى ربيع ١٢١٦م. للمزيد انظر:
سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى، الجزء السياسى ، ص ٢٥٩، ٤٧٤، ٤٧٥،
محمود عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ١٧١ ـ ١٧٣.

(٦) عقد هذا المؤتمر فى أكتوبر ١٢١٧م/رجب ٦١٤هـ ، وشارك فيه جاى الثانى صاحب جبيل وجيرارد دى جان قائد جيش طرابلس. للمزيد عن ذلك أنظر :
Estoire d'Eracles, PP. 320 - 21; Roger of Wendover, Flowers, Vol. II, P. 387; Cf. also : Nickerson, the Crusader States, PP. 536 - 37; Runciman, op. cit., Vol. III. PP. 154 - 48; Röhricht, Geschichte des Königreichts Jerusalem, p. 722.

(٧) أرسل وليم دى شارتر مقدم الداوية للبابا هونوريوس الثالث يعلمه بوضع خطة من جانب البطريرك والملك الصليبى والجماعات العسكرية والتى تقضى بمهاجمة مصر وابقاء بعض القوات الصغيرة لحماية المدن والقلاع الصليبية فى بلاد الشام اثناء تواجد الصليبيين فى مصر.
Letters de Jacques de Vitry (1160 - 1170 - 1240) eveque de Sainte Jean

d;Acre (edition critique par R. B. C. Huygens, Leiden 1960) Ep. III, 98 - 99

(٨) ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ق٢. جـ٨ ، ص ٥٨٣ ـ ٥٨٤، ابن واصل : مفرج الكروب، جـ٣ ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥، العليمى : الأنس الجليل ، ج(١ ، ص ٤٠١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ١٨٠.

(٩) La Monte, Feudal Monarchy, PP. 156 - 57.

(١٠) Estoire d;Eracles, PP. 323 - 24, Hethum, Chronolgical Tables., in R.H.C. - Doc. Arm., Vol. 1 , p. 484; Ernoul, Chronique, ed. in Röhricht, E chronicis Occidentalibus excerpfit et Sumptibus Socilatatis Ilustrandis Orientis Latini Monumentis, Geneve, 1882. PP. 291 - 92.

أنظر أيضا : ابن الأثير : الكامل . جـ٩، ص ٣١٤ ـ ٣١٥، ابن الجوزى : مرآة الزمان، ق٢، جـ ٨، ص ٥٨٥ ـ ٥٨٦ ، اللهبى : دول الاسلام . جـ٢. ص ١١٦ ـ ١١٧.

(١١) Estorie d;Eracles, P. 324; Cf. also: Röhricht. Gescihte des Königreichs Jerusalem, PP. 625 - 27.

(١٢) Mayer, the Crusaders, P. 210.

(١٣) Estoire d'Eracles, P. 325; Oliver of Padenborn, the Capture of Damietta, trans, By John Gavigan, Philadelphia, 1948, P. 17; Ernoul, Chronique. p.293.

(١٤) Benvenisti, op. cit., PP. 143 - 44 ; Prawer, op. cit., PP. 324 - 25
وأنظر الرسم التخطيطى لقلعة المدينة.

(١٥) «وما رؤى فى الساحل أحسن منها عمارة، ولاأمنع، ولاأرفع لأن البحر المالح حاف بها، وجار فى خنادقها». أنظر ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض، ١٩٧٦، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١.

(١٦) هو محمد بن نصر الله بن عنين توفى فى عام ٦٣٣هـ/١٢٣٥م. للمزيد عنه أنظر : ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ق٢ ، جـ٨ ، ص ٦٩٦، ابن واصل : مفرج الكروب، جـ٤ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢٢.

(١٧) Benvenisti, op. cit., P. 138.

(١٨) Benedicti Petroburgensis Abbaris, Vit et Gestis. Henrici I Angliae Regis, P. 476.

(١٩) Estoite d'Eracles, P. 358.

(٢٠) Beyer, Das Gebiet Caesarea, PP. 19 - 20 ; Müller, Caastles of the

crusades, PP. 71 - 72.

وعن موقع هذه القلعة انظر الخريطة رقم ٣.

(٢١) Estoire d;Eracles, P. 334; Ernoul, Chronique, P. 294: Roger of Wendover, Flowers, Vol. II. P. 387; Cf. also : Müller, op. cit., PP. 71 -72; Smail. Crusaders in Syria and the Holy land. London, 1973, P. 114; Prawer, op. cit., PP. 294 - 95; Benvenisit, op. cit., PP. 175 - 76.

(٢٢) Oliver of Padenborn, the Capture of Damiette, pp. 18 - 19.

(٢٣) Richard, op. cit., Vol. 1, 220 ; King, the Knights Hospitallers, p. 190

(٢٤) Beyer, Das Gebiet Caesarea, P. 10; Benvenisiti, op. cit., P. 176.

(٢٥) Beyer, Das Gebiet Caesarea, P. 64; Röhricht, Geschichte des Königreichs Jerusalem, PP. 728 - 29; Samil op. cit, P. 114.

(٢٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩، ص ٣٩٧، ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ق ٢، جـ٨، ص ٦٠٤. ابن واصل : مفرج الكروب، جـ٤، ص٨٦، ابو الفدا : المختصر ، جـ٣، ص ١٢٦، العليمى : الانس الجليل ، جـ١ ، ص ٤٠٣، العمرى : مسالك الأبصار جـ٢٧، لوحة ١٧٧، النويرى : نهاية الارب فى فنون الأدب، جـ٢٧، لوحة ٢٧.

(٢٧) Estoite d'Eracles, P. 334.

(٢٨) Ernoul, Chronigue, PP. 297 - 98.

(٢٩) Roger of Wendover, Flowers, Vol. II, P. 433.

(٣٠) Grousset, Histoire des Croisades; Vol. III, P. 212 - 13; Runciman, op. cit., Vol. III, P. 151; Nickerson, the Crusader States, P. 539; Richard, op. cit., Vol. I, P. 223.

(٣١) Rohricht, Gesahichte, PP. 743-44; Stevenson, op. cit., p. 305.

(٣٢) La Monte, Lords of Caesarea, P. 157; idem, Feudal Monarchy, P. 160

(٣٣) انظر ماسبق ص ١٣١، ٣٢ من الفصل الثانى من هذا الكتاب.

(٣٤) محمود عمران : المرجع السابق ، ص ٢٢٨.

(٣٥) ابن الجوزى : مرآة الزمان، ق ٢ ، جـ٨، ص ٦٠٣، ٦٠٤.

(٣٦) Estoire d'Eracles. PP. 339 - 40; Ernoul, Chronique, P. 297; Cf. also; Benvenisti, op. cit., p. 138; Stevenson, op. cit., p. 305.

وأنظر ملحق رقم ٢ في آخر الكتاب.

(٣٧) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٤ ، ص ٢١٧.

(٣٨) ابن واصل: مفرج الكروب > جـ٤ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢٢

(٣٩) Oliver of Padenborn, the Capture of Damiettea, PP. 58, 59; Estoire d'Eracles, P. 344; Roger of Wendover, Flower, Vol. II; P. 433; Ernoul, Chronique. p. 297; Cf also: Benenisti, op. cit., PP. 176 - 77; Stevenson. op. cit., P. 305.

(٤٠) Oliver of Padenborn, the Capture of Damiettea, PP. 58, 59; Estoire d'Eracles, P. 344; Roger of Wendover, Elower, Vol. II; P. 433; Ernoul,

(٤١) Röhricht, Regsta, doc. 938; Rey, Les Famillies, P. 281.

(٤٢) Röhricht, Geschichte, PP. 743 - 44; Grousset, op. cit., Vol. III; PP. 212-13

(٤٣) Röhricht, Geschichte, PP. 746 - 47.

(٤٤) Runciman, op. cit., Vol. III, PP. 168-69; Röhricht, op. cit., PP. 750-52; Stevenson, op. cit., PP. 307 -8 .

(٤٥) ابن ايبك : درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان، جـ٢٧، ورقة ٥٥٢. وكان الكاردينال بلاجيوس والملك الصيبى جان دى برين ومقدمو الهيئات الدينية الثلاث ضمن الرهائن، بالإضافة ثمانية عشر آخرين من الأمراء ورجال الدين. للمزيد عن ذلك أنظر :
Röhricht, op. cit., P. 751, n. 7.

(٤٦) LaMonre, Lords of Caesarea, P. 156, n. 68.

(٤٧) كان فردريك قد وعد البابا هونوريوس الثالث بأنه سوف يتزوج ابنة جان دى برين فى سورية، ولكنه حنث بوعده. وفى ٢٥ يوليو ١٢٢٥م قابل المندوبين البابويين فى سان جرمانو وأقسم بأنه سوف يتجه إلى الشرق فى أغسطس ١٢٢٧م، ولكنه لم ينفذ هذا الوعد أيضا متعللا بمرضه. أنظر عن ذلك :
Runciman, op. cit., Vol. III PP. 177 - 8, Tumler, Der Deutsche Orden, P. 37n. 9.

(٤٨) Estoire d'Eracles, P. 365; : Les Gestes Chiprois, P. 676; Roger of Wendover, Flowers, Vol. II, P. 491; Cf. also: Nickerson, op. cit., PP. 542 - 43; Richard, op. cit., Vpl. I, P. 233; Stevenson, op. cit., P. 308, Röhricth,

Geschichte, P. 777.

وقد انفرد ابن الأثير بين المؤرخين المسلمين عندما أشار إلى قيام الصليبيين بتحصين قيسارية. كما قام هولاء الصليبيون بتحصينات أخرى في صيدا وقلعة القرين أو Montfort التى حصل عليها الفرسان التيوتون. وقد استمرت هذه الأعمال من ٢٨ أكتوبر ١٢٢٧ إلى يناير ١٢٢٨م/ ١٦ ذى القعدة ٦٢٤ ـ صفر ٦٢٥هـ. أنظر ابن الأثير: الكامل ، جـ٩ ، ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧ . وأيضا : أسامة زيد : صيدا، ص ٢١٢ ـ ٢١٨، حسن عبد الوهاب : تاريخ جماعة الفرسان التيوتون ، ص ١٨٨ ـ ١٩٢.

(٤٩) Wiegler, P., the Infiedl Imperor. London, 1930, PP. 134 - 35; Les Gestes des Chiprois, p. 677 ff.; Cf. also : Nickerson, op. cit., PP. 511 - 12; Duggan, op. cit., PP. 224 - 25.

(٥٠) LaMonte, Lords of Caesarea, P. 157.

(٥١) عن استنجاد الكامل محمد بفردريك والأسباب التى دفعته إلى ذلك أنظر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص ٢٠٦، ٢٠٧، ابن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر ، ورقة ٢٩٤، ٢٩٥، العمرى : مسالك الابصار ، جـ ٢٧، ق ٢ ، لوحة ٢٠٥، وأيضا أنظر:

Wigler, op. cit., P. 135; Roger of Wendovers, Vol. II, PP. 511 - 12; Cf. also ; Richard op. cit., Vol. I, P. 234.

(٥٢) للمزيد من التفاصيل عن معاهدة يافا أنظر : ابن الأثير : الكامل . جـأ ، ص ٣٥٨، ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ق٢ ، جـ٨ ، ص ٦٥٤ ، ٦٥٧، أبو شامة : الذيل على الروضتين، ص ١٥٤، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة، جـ٦ ، ص ٢٧٦، المقريزى : السلوك، جـ١ ، ق ١ ، ص ٢٣٠، ٢٣١، العليمى : الأنس الجليل ، جـ٩ ، ص ٤٠٦، العينى : عقد الجمان ، جـ ٢٧، لوحة ٧٤. حسن عبد الوهاب : تاريخ جماعة الفرسان التيوتون : ص ٢٠١ ـ ٢١٠.

Wiegler, op. cit., PP. 136 -37; Roger of Wendover, Flowers, Vol. II., P. 521; Annals de Terre Sainte, publiées par R. Röhricht et G. Raynaud, in A O.L., II. II., P. 438; cf. also : LaMonte, Feudal Monarchy, PP. 62-63; Röhricht, Geschichte, PP. 782-85

(٥٣) Nickerson, op. cit., P. 546; Röhricht, ibid, PP. 794 -95.

(٥٤) Les Gestes des Chiprois, PP. 694-95; Cf. also: Runciman, op. cit., Vol. III, PP. 196 -7 LaMomt, Lords of Caesarea, P. 157; Röhricht, Geschichte,

PP. 800 - 808.

(٥٥) كان جوتييه الثالث قد تزوج من مارجريت ابلين، وأنجبت له أربع بنات، بخلاف جون الذي خلفه في حكم الإقطاعية. أنظر:
Rey, Les Familles, P. 281; LaMinre, op. cit., P. 157.

(٥٦) Les Gestes des chiprois, p. 711 ff; Annals de Terre Sainte, PP. 438 - 39; Cf. also: Runciman, op. cit., P. 197.

(٥٧) La Monte. Lords of Caesarea. P. 158.

(٥٨) تولى هيو ابلين قيادة مقدمة الجيش الابليني، وبلدوين ابلين القسم الثاني أما المؤخرة فقد تولى قيادتها يوحنا ابلين بنفسه. عن ذلك أنظر :
LaMonte, op. cit., P. 158; Röhricht, Geschichte, P. 821; Runciman, op. cit., Vol. III, P. 200.

(٥٩) Estoire d'Eracles, P. 398, Cf. also; Beyer, Das Gebiet Caesarea. P. 21.

(٦٠) Runciman, op. cit., Vol. III, PP. 201-2; Röhricht, op. cit., PP. 819-25

(٦١) تكون هذا القومون في عام ١٢٣١م/٦٢٨ هـ من أغلب افراد الطبقة البرجوازية في عكا الذين أعلنوا خضوعهم لاثنى عشر قنصلا، وقد أيدوا يوحنا ابلين ضد فردريك الثاني. لمزيد عن ذلك أنظر :
Runciman, op. cit., Vol. III PP. 197 - 8.

(٦٢) LaMonte, Feudal Monarchy, P. 63; idem, Lords of Caesarea, P. 157.

(٦٣) Beyer, Das Gebiet Caesarea, PP. 63 - 65.

(٦٤) لم يحدد تاريخ أعمال القبارصة اسم المشترى وانما أورد قيام يوحنا صاحب قيسارية ببيع القلعة فقط. للمزيد أنظر :
Estoire d'Eracles, P. 398; Les Gestes des chiprois, P. 711; Cf. also : Beyer, Das Gebiet Caesarea, P. 65; LaMonte, Lords of Caesarea, P. 158; Rey, Les Familles, P. 281.

(٦٥) Richard, op. cit., Vol. I., P. 257, n. 4.

(٦٦) خلاط بكسر أوله، بلدة عامرة مشهورة ذات خيرات واسعة وثمار يانعة، وهي قصبة أرمينية الوسطى، ولها بحيرة ليس لها في الدنيا نظير. أنظر : ياقوت الحموي معجم البلدان، ج(٢ ، ص ٣٨٠ ، ٣٨١.

(٦٧) كان جلال الدين منكبرتي هو ملك الخوارزمية آنذاك، أما سلاجقة الروم فقد كان ملكهم هو علاء الدين كيقباد الأول. وللمزيد عن ذلك أنظر : ابن الأثير : الكامل جـ٩ ، ص

٣٧٩ ـ ٣٨١، ابن واصل : مفرج الكروب، جـ٥ ، ص ١٤٥، المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ق ١ ، ص ٢٣٦، ٢٣٨. وكذلك سعيد عاشور : المرجع السابق، جـ٢، ص ١٠٢٧ ـ ١٠٢٨.

(٦٨) سعيد عاشور : نفس المرجع ، ص ١٠٢٩.

(٦٩) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٥ ، ص ١٥٣ ، المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ص ٢٦٧، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٦ ، ص ٢٣٣، ٢٥٧ ، أنظر أيضا : سعيد عاشور : الحركة الصليبية، جـ٢، ص ١٠٣٠ ـ ١٠٣٣ ، مصطفى زيادة ، حملة لويس التاسع، ص ٦٧.

(٧٠) تعرضت بعرين لهجوم من جانب الداوية والاسبتارية فى ١٢٢٩م/٦٢٦هـ، وكذلك حماة فى ١٢٣٠م/٦٢٧هـ. كما قاما باغارة مفاجئة على جبله فى ١٢٣١م/٦٢٨هـ. للمزيد عن ذلك أنظر :

Runciman, op. cit., vol. III, P. 207; Röhricht, Geschichte, P. 825 f.

(٧١) شارك الفرسان القبارصة فى هذا الهجوم بحوالى مائة فارس، وكذلك هنرى أخو بوهمند الخامس أمير أنطاكية ومعه ثلاثين فارسا، بالاضافة إلى الفرسان الآخرين من بيت المقدس الذين كانوا بقيادة بطرس افلون وأودوأوف مونتبليارد. عن ذلك أنظر.

Röhricht, op. cit., PP. 829 - 30.

أما بارين أو بعرين فتقع بين حمص والساحل، ويقول ياقوت الحموى أن صحة اللفظ هى بارين وليست بعرين كما تلفظ به العامة. عن ذلك أنظر :

ياقوت الحموى : معجم البلدان، جـ٤، ص ٤٥٢.

(٧٢) Estoire d'Eracles, P. 404; Les Gestes des chiprois, P. 625; Annals de Terre Sainte, PP. 439 A.B; Cf. also: Runciman, op. cit., Vol III, P. 207

(٧٣) تقع مرج عيون على بعد ميلين من بعرين. ومن الملاحظ أن المصادر الأجنبية السابقة لم تحدد على وجه الدقة متى تم هذا الهجوم واكتفت بالإشارة إلى أنه تم فى عام ١٢٣٦م/٦٣٣هـ. أنظر عن ذلك :

Röhricht, Geschichte, P. 830 ; Stuenson, op. cit., PP. 314 - 15, n.4

(٧٤) LaMonte, Lords of Caesarea, P. 158 ; Röhricht, Regesta, doc. 1070.

(٧٥) Richard, op. cit., Vol. II, PP. 318-19; Stevenson, op. cit., p. 315.

(٧٦) Röhricht, Geschichte, PP. 838 - 39.

(٧٧) Ibid, P. 839.

(٨٨) Les Gestes des Chiprois, P. 726; Annals de Terre Sainte P. 440 AB., Cf

also: Richard, op. cit., Vol. II P. 323.

أما المقريزى فقد ذكر أن عدد الأسرى كان ثمانين فارسا ومائتين وخمسين رجلا، أما عدد القتلى فكان ألفا وثمانمائة ، ولم يقتل من المسلمين سوى عشرة. أنظر : المقريزى : السلوك، جـ١، ق ٢ ص ٢٩١. وللمزيد عن هذه المعركة وموقعها أنظر : حسن عبد الوهاب : تاريخ جماعة الفرسان التيوتون ، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

(٧٩) كان اللاتين قد نقضوا معاهدة يافا المعقودة فى ١٢٢٩م/ ٦٢٦هـ، والتى كان من بين شروطها عدم قيام الصليبيين بعمل أيه تحصينات فى بيت المقدس ولكنهم قاموا بتحصين بيت المقدس وبناء قلعة فى برج داود مما دفع الناصر داود صاحب الكرك عقب انتصاره على الصليبيين إلى استرداد بين المقدس وطرد اللاتين منه. أنظر : المقريزى، السلوك ، جـ١ ، ق ٢ ص ٢٩٣، وأيضا :

Stevenson; op. cit., P; 314, n. 2.

(٨٠) LaMonte, Lords of Caesarea, P. 158, n. 90.

(٨١) Röhrich, Regesta, doc. 1175; Rey Les Familles, P. 283.

(٨٢) ذكر ابلين فى «مجموعة قوانين بيت المقدس» أن يوحنا صاحب قيسارية كان موجودا فى هذا الاجتماع ولكن لما كان فيليب صاحب نافار هو قائد هذا الاجتماع فليس من المعقول أن يجهل وجود يوحنا سيد قيسارية فيه، خاصة وأنه أشار إلى وفاته فى ١٢٤١م/ ٦٣٨هـ. ولذلك فان المقصود فى هذا الاجتماع هو يوحنا أليمان الذى كان قد تزوج من مارجريت وريثة الإقطاعية فى ١٢٣٤م/٦٤١هـ. أنظر:

Les Gestes des Chiprois, P. 684, n.a.; Cf. also LaMonte, Lords of Caesarea, P. 158.

(٨٣) حسن عبد الوهاب : المرجع السابق، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

(٨٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٥ ، ص ٣٣٦، ٣٣٨، وكذلك : اسامة زيد : الخوارزمية ، ص ٢٦٣.

(٨٥) Röhricht, Geschichte, P. 860.

(٨٦) للمزيد عن أحداث هذه المعركة أنظر : ابن الجوزى : مرآة الزمان، جـ٨، ق ٢ ، ص ٧٤٦، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٥ ، ص ٣٣٨، النويرى : نهاية الارب ، جـ٧ ، لوحة ٨٦، العمرى : مسالك الابصار ، جـ٢٧، ق ٣ ، لوحة ٢٥٨، بامخرمة : قلادة النحر، جـ٥، ورقة ٢٦٣، العينى : عقد الجمان ج(٢٨، ورقة ٣٤٦، ابن أيبك : درر التيجان ، جـ٢٩، ورقة ٥٦٦، المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٣١١، ٣١٧، وأيضا : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ١٠٤٥ ـ ١٠٤٧،مصطفى زيادة : المرجع السابق ص ٦٨ ومابعدها، حسن عبد الوهاب : المرجع السابق، ٢٤٨ ـ ٢٥٤.

(٨٧) مصطفى زيادة : المرجع السابق ، ص ٧٧

(٨٨) Runciman, op. cit., Vol. III, P. 225.

(٨٩) مصطفى زيادة : المرجع السابق ، ص ٧٩.

(٩٠) كان هذا الجيش بقيادة الأمير فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ قد نجح في استرداد مدينة طبرية في يونيه ١٢٤٧م/صفر ٦٤٥هـ ، وأيضا حصن جبل الطور. وكانت كل من قبرص وعكا قد أرسلت النجدات إلى عسقلان المحاصرة عن طريق البحر، ونجح الأسطول الصليبي في الدخول إلى الميناء بالفعل. غير أنه اضطر للرحيل لسوء الأحوال الجوية عائدا إلى عكا وقبرص، تاركا المدينة لمصيرها المحتوم. للمزيد عن ذلك أنظر :
Estoire d'Eracles, PP. 432 -35; Annls de Terre Sainte, P. 442; Cf. Also: Röhricht, Geschichte, P. 868 f; stevenson, Cf, also: op.cit., P. 324.
وكذلك: أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٨٠، المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق٢، ص ٣٢٨ ، العمري : مسالك الأبصار : جـ٢٧، ق٣، لوحة ٣٦٢، وراجع أيضا : مصطفى زيادة : المرجع السابق ، ص ٨٠، السيد الباز العريني : مصر في عصر الأيوبيين القاهرة ١٩٦٠. ص ١٣٨.

(٩١) اختلف المؤرخون المسلمون حول نهاية الدولة الأيوبية وبداية دولة المماليك في مصر ففريق يرى أن الصالح نجم الدين هو آخر ملوك بني أيوب ، وفريق آخر يرى أن ابنه المعظم تورانشاه، هو آخرهم، بينما يجعل الفريق الثالث من الأشرف موسى آخر هؤلاء الملوك. ولكن أغلب المراجع الحديثة أجمعت على أن شجر الدر هي أول ملوك المماليك وذلك باعتبارها من فئة المماليك ولان رابطتها بالصالح نجم الدين قد انقطعت بموته وتولى ابنه من بعده. للمزيد أنظر.
جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ١٤٠، ح ٢، قاسم عبده قاسم : دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي ـ عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٧٩، ص ١٠، جمال الدين سرور : دولة الظاهر بيبرس في مصر ، القاهرة ١٩٦٠، ص ٢٩ سعيد عاشور ، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، القاهرة ١٩٥٩، ص ١٩، أحمد مختار العبادي : قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، بيروت ١٩٦٩، ص ١١٢

(٩٢) لم يشر أحد من المؤرخين الغربيين إلى هذه الاغارة سوى جوانفيل ومتى الباريزي، ولكنهما لم يعطيا المزيد من التفاصيل عنها. أما المصادر العربية المعاصرة أو المتأخرة ، فلم تشر اليها . عن ذلك أنظر :
Joinville, Memoirs of Louis IX. King of France, London, 1848, P. 476; Matthew Paris, English History, trans. from Latin by J.A.Giles, 2 Vols. London, 1852-3, Vol., II, P. 501.

(٩٣) St. Pathus, G. Vie de Saimt Louis, in R.H.G.F., XX, P. 68; Matthew Paris.

op. cit., Vol. II, P. 460; Joinville, op. cit., P. 407; Estoire d;Eracles, P. 441
وأنظر أيضا جوزيف نسيم : المرجع السابق،ص ٢٩٢، ٢٩٣.

(٩٤) المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٥٢٥، ٥٢٦، العينى : عقد الجمان، لوحة ٥١٤، ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك، المجلد الرابع، لوحة ٦٧أ ، ب.

(٩٥) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول، ص ٢٦.

(٩٦) جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

(٩٧) تم اكتشاف المدينة عام ١٩٦٠ حيث كانت الكثبان الرملية قد غطت أغلب اجزائها. وفيما يتعلق بالقسم الصليبى من المدينة فقد كان أغلب ماتم اكتشافه يرجع الى القرن الثالث عشرم/ القرن السابع الهجرى، وبعبارة أخرى فهى الأعمال التى قام الملك الفرنسى بتشييدها فيها، عن ذلك أنظر :
Benvenisti, op. cit., pp. 141-2; Smail, op.cit., PP. 68-9.

(٩٨) Benevisti, op. cit., PP. 141-3; Smail, op. cit., PP. 68-9; Prawer, op, cit., P.325 ; Mayer, op. cit., p-256; Stevenson, op. cit., p. 330.
وللمزيد أيضا : يوشع براور : عالم الصليبيين ، ترجمة د. قاسم عبده قاسم ود. محمد خليفة ، القاهرة ١٩٨١، ص ٢٠١ ـ ٢٠٦ . والرسم التخطيطى للمدينة وأسوارها وكذلك اللوحة التى تمثل سور المدينة بعد اكتشافه.

(٩٩) Joinville, Memoris, PP. 476 ff; cf. also: Atiya, A.S., the Crusade in the later Middle Ages. London, 1938, p. Röhricht, Geschichte, p. 686.

(١٠٠) تم الاتفاق فى هذه المعاهدة على اخلاء سبيل باقى الأسرى الفرنج، واعادة الأطفال المسيحيين ورؤس القتلى، والتنازل عن نصف الفدية المتبقية للمماليك، وإعادة بيت المقدس للفرنج، والتعهد بقيام حملة مشتركة مع المماليك ضد الناصر يوسف الأيوبى، واخيرا تظل هذه المعاهدة سارية المفعول لمدة ١٥ عام. ولكن هذه الاتفاقية العسكرية ماتت فى مهدها، وعلى الرغم من ذلك فقد تم تنفيذ بعض بنودها. أنظر عن ذلك :
Joinville, op. cit , pp. 458 ; Matthew Paris, op. cit., Vol. II, pp. 502 -3; Cf. also : Stevenson, op. vit., p. 330: Röhricht, op. cit., p. 887.

(١٠١) Joinville, op. cit., p. 484.

(١٠٢) جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ٣٢٢، ٣٢٣.

(١٠٣) Joinville, op. cit., p. 485.

(١٠٤) جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ٣٣٩، ح ١.

(١٠٥) Estoire d'Eracles, p. 441; Annals de Terre Sainte, pp - 445-6.

(١٠٦) Runciman, op. cit., vol. III, p. 281; Stevenson, op. cit., p. 332.

(١٠٧) Röhricht, Regesta, doc. 1221; LaMonte, Lords of Caesarea, p. 159.
وقد ظهر يوحنا اليمان فى هذه الوثيقة وهو يحمل اسم «يوحنا سيد قيسارية الكبير»
"Johannes Asa magnus dominus Caesaresa".

(١٠٨) Runciman, op.cit. vol. III, p. 279.

(١٠٩) تمت عملية البيع فى أعوام ١٢٥٣م، و١٢٥٥م. و ١٢٥٧م/ أنظر :
Röhrich, Regesta, doc. 1233, 34,35; La Monte, Lords of Caesarea, p. 159; Rey Les Familles, pp. 284 - 4, Beyer Das Gebiet Caesarea, pp. 22, 24, 47.

(١١٠) Runciman, op. cit., Vol. III. P. 317.

الفصل الخامس
استرداد المماليك لإقطاعية قيسارية
٩ ـ ١٥ جمادى الأولى ٦٦٣هـ/٢٧ فبراير ـ ٥ مارس ١٢٦٥م

- أحوال كل من إفرنج الشام والمماليك قبل استرداد قيسارية
- تولى الظاهر بيبرس الحكم فى مصر (٦٥٨ ـ ٦٧٦هـ / ١٢٥٩ ـ ١٢٧٧م)، وسياسته تجاه الصليبيين فى الشام.
- استرداد قيسارية وتوابعها:

استعدادات المماليك وبناء آلات الحصار، مواقع الجيشين الصليبى والمملوكى ـ تفاصيل حصار المماليك للمدينة واستيلائهم عليها ـ محاولات المماليك لاسترداد القلعة ـ سقوطها فى ١٥ جمادى الأولى ٦٦٣هـ/٥ مارس ١٢٦٥م.

- حملة الأمير الإنجليزى إدوارد على بلاد الشام (١٢٧٠ ـ ١٢٧٢م/ ٦٦٩ ـ ٦٧١هـ)، ومهاجمته لمدينة قاقون التى حلت محل قيسارية.
- نهاية الوجود الصليبى فى بلاد الشام فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى / القرن السابع الهجرى.

تمكنت دولة المماليك الأولى أن تصمد أمام الاخطار التى واجهتها، سواء أكانت داخلية أم خارجية. وأستطاع بيبرس وقلاوون والأشرف خليل أن يستعيدوا المدن والمعاقل الاسلامية التى ظلت فى قبضة الصليبيين حوالى قرنين من الزمان، وأن يبعدوا ذلك الخطر الذى ظل جاثما فوق صدور المسلمين طوال هذه الفترة. وقد بدأ بيبرس - بعد توحيد كلمة المسلمين فى الشرق الأدنى - وبعد أن أصبح مركز الثقل يميل بقوة إلى جانبهم فى صراعهم ضد الصلسبيين من توجيه ضرباته اليهم. وكانت قيسارية هى أول تلك الإقطاعيات التى تعرضت لهجماته، ونجح فى استردادها. وكان ذلك ايذانا بتدهور الكيان الصليبى وتساقط مدنه ومعاقله الواحدة تلو الأخرى. وفضلا عن هذا الوضع الخطير الذى بات يتهدد الصليبيين، فانهم انغمسوا فى خلافاتهم الداخلية التى زادت حدتها، والتى أدت فى النهاية إلى تداعى كيانهم فى المنطقة. وكانت كل الظروف مهيأة لذلك.

وقبل الخوض فى تفاصيل استرداد بيبرس لقيسارية وتوابعها، نعود إلى الوراء قليلا لنرى مسرح الصراع والقوى المتصارعة فوقه، وتأثير ذلك على الطرفين الصليبى والمملوكى. ثم نستعرض بعد ذلك سقوط قيسارية، ورد الفعل فى العالمين الإسلامى والمسيحى الغربى.

ثارت الخلافات الداخلية بين الصليبيين فى عام ١٢٥٦م/٦٥٤هـ وقد تعددت أسبابها فقد احتدم الصراع بين البنادقة والجنوية حول دير سابا St. Sabas الواقع عند مدخل الميناء فى عكا. وتطور الصراع إلى صدام مباشر بين الجانبين تدخلت فيه أطراف أخرى. وانتقل الصراع من البر إلى البحر، وقام أسطول بندقى بمهاجمة آخر جنوى، وتمكن فى يونيه ١٢٥٨م/جمادى الآخرة ٦٥٦هـ من إحراز الانتصار على الجنوية ومهاجمة عكا. ولايخفى أن الجاليات الايطالية لم يكن يعنيها فى المقام الأول سوى مصالحها التجارية. وكان شعار البنادقة «نحن أولا تجار ،بعد ذلك مسيحيون»، وأما الجنوية فقد كانوا «جنوية أولا وأخيرا» وانتقل الصراع من شوارع عكا، إلى بقية أنحاء المملكة الصليبية المتهالكة. وهكذا تورطت كافة

القوى الصليبية فى تلك الصراعات الداخلية. واستمر ذلك حتى عام ١٢٦١م/ ٦٥٨هـ حيث أزهقتْ الآلاف من أرواح الصليبيين ، كما تعرضت أسوار بعض المدن للتخريب بأيدي هؤلاء الفرنج، فازدادت ضعفا وتدهورا بحيث لم يعد بوسعها مواجهة ذلك الخطر الذى أصبح قاب قوسين أو أدنى منها.[١]

أما الجانب الآخر من طرفى الصراع، ونقصد به المماليك في مصر، فقد عملوا جاهدين على التغلب علي الأخطار التى كانت تواجه دولتهم الناشئة. إذ توصل المعز عز الدين أيبك (٦٤٨ ـ ٦٥٤هـ / ١٢٥٠ ـ ١٢٥٦م) إلى عقد اتفاق مع بقايا الأيوبيين في الشام والذين كانوا يعارضون المماليك باعتبارهم غير شرعيين فى حكم مصر. وقد نص هذا الاتفاق علي أن يكون للمعز مصر والجزء الساحلى من فلسطين الذى كان تابعا للصالح نجم الدين أيوب، وعلي ألا يؤوى الناصر يوسف صاحب حلب أحداً من المماليك البحرية عنده.[٢] وأصبح واضحا أن المماليك يرغبون فى تثبيت أركان دولتهم للتفرغ بعد ذلك لمواجهة الصليبيين. وخلال تلك الفترة وقعت إغارات محدودة بين الجانبين، منها قيام جيوفري سارجنيس صنجيل المملكة، ويوحنا كونت يافا بالإغارة على إحدى القوافل الاسلامية الضخمة وذلك فى يناير ١٢٥٦م/ذى الحجة ٦٥٣هـ وتعرض المماليك للهزيمة عندما حاول حاكم القدس المملوكى الرد على الصليبيين وادرك المعز ايبك ضرورة عقد معاهدة مع الصليبيين، وذلك بسبب الخطر الذى كانت بوادره قد بدأت تظهر فى الأفق، ونقصد به الخطر المغولى. وبالفعل تم التوصل إلي معاهدة بين الجانبين في عام ١٢٥٦م/٦٥٤هـ على أن تستمر لمدة عشر سنوات.[٣] وللمرة الثانية أظهر المماليك بعد نظرهم فى تدعيم دولتهم ، والاستعداد لمواجهة خطر اشد واقوى من الخطر الصليبى.

وهكذا ، بينما كان الصليبيون غارقين في صراعاتهم الداخلية، والمماليك يحاولون التغلب على العقبات والمشاكل التى تواجههم، ظهر الخطر المغولى. فقد اكتسح هذا الخطر أمامه المدن والقرى التابعة للأيوبيين فى الشام، وبلغ غزة التى

كانت تعتبر باب مصر. وكان على سيف الدين قطز (٦٥٧ ـ ٦٥٨هـ/١٢٥٨ ـ ١٢٥٩م) أن يواجه أخطر امتحان فى تاريخ دولته، خاصة وأنه لم يمض على قيامها أكثر من عشر سنوات. وبالفعل أثبت أهليته وصمود دولته في تلك المعركة الفاصلة التى جرت عند عين جالوت فى ١٥ رمضان ٦٥٨هـ/٣ سبتمبر ١٢٦٠م. ولسنا هنا بصدد الدخول فى تفاصيل ماجرى بين الجانبين. وانما نستعرض موقف الصليبيين من ذلك الصراع الذى جرى على مقربة منهم وترك تأثيره عليهم. فقد طلب قطز منهم الأذن له بالعبور وتقديم المؤن اللازمة له. واجتمع بارونات وأمراء المملكة الصليبية فى عكا لمناقشة هذا الطلب.وكان يوحنا أليمان سيد قيسارية ضمن هؤلاء الأمراء، لما تمثله إقطاعيته من ثقل بين إقطاعيات المملكة الصليبية. ووافق الصليبيون على تقديم المساعدات المطلوبة والسماح لقطز بالعبور، ولكن دون الدخول فى أي تحالف معه.[٤] وقد اختلفت آراء المصادر العربية والأجنبية حول موقف الصليبيين من أمر التعاون مع قطز، وهل كان ذلك بناء على موافقتهم أم انهم أجبروا على ذلك.

فقد ذكرت المصادر العربية أن الصليبيين هم الذين عرضوا على قطز أمر التحالف معه ضد المغول. ولكن قطز رفض ذلك، وطلب منهم أن يكونوا على الحياد «لا له ولا عليه»،[٥] بل إنه هددهم بمحاربتهم اذا ماحاول أحد منهم أن يتبعه وأقسم إنه سوف يقاتلهم قبل لقاء المغول إذا حاولوا ذلك.[٦] أما المصادر الأجنبية فذكرت أن الصليبيين هم الذين رفضوا الدخول فى التحالف معه، واكتفوا بالموافقة علي تقديم المؤن اللازمة والسماح له بعبور أراضيهم.[٧] والواقع أن أحوال الصليبيين آنذاك والضعف الذى كانت تعانى منه مملكتهم، والخلافات الداخلية بينهم، بالإضافة إلي موقف المغول من صاحب صيدا،[٨] كان لكل ذلك تأثير، علي موقف الصليبيين من قطز ، وأدرك صليبيو الأراضى المقدسة أنه من صالحهم الوقوف بجانبه ـ فى هذه المرحلة على الأقل ـ على الرغم من أن ذلك يتعارض مع سياسة البابا أنوسنت الرابع (١٢٤٣م ـ ١٢٥٤م) والملك الفرنسى

لويس التاسع الرامية إلى التحالف مع المغول واكتسابهم إلى المسيحية الغربية، ثم تكوين حلف مشترك لمهاجمة المماليك.[٩]

على أية حال ، كان لمعركة عين جالوت تأثير واضح علي منطقة الشرق الأدنى، فقد أثبتت نجاح دولة المماليك فى أول اختبار حقيقى لها. كما عجلت بزوال المملكة الصليبية المتداعية بعد أن تفرغ المماليك لمواجهتها، وتوجيه الضربات للمعاقل الصليبية الواحد تلو الأخر كذلك عجلت المعركة بزوال بقايا الأيوبيين في الشام بعد أن انهارت المدن التابعة لهم أمام هجمات المغول عليها. وتمكن المماليك بعد ذلك من فرض سيطرتهم على بلاد الشام وإخضاع الأمراء الأيوبيين المناوئين لهم. وبذلك أصبحت مصر والشام تحت سيطرة المماليك فى وحدة ذاق الصليبيون منها الكثير. وهكذا أصبح قطز سيد الموقف غداة عين جالوت في الوقت الذي كان فيه المجتمع الصليبى فى بلاد الشام في حاجة إلى زعماء أمثال جودفرى دى بويون وبلدوين وعمورى[١٠]. ولكن هذا الزمن قد فات أوانه، بسبب تغير الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العالمين المسيحى والإسلامي. ولكن قطز لم يهنأ طويلا بثمرة النصر الذى أحرزه. ففى أثناء عودته إلى مصر اتفق بيبرس مع مجموعة من الأمراء على التخلص منه بسبب موقفه من المماليك البحرية. وفى ١٥ ذى القعدة ٦٥٨هـ / ٢٢ أكتوبر ١٢٦٠م نجح هولاء الأمراء فى قتل قطز، واعتلى بيبرس مكانه.[١١]

وتعمل بيبرس منذ اعتلائه العرش المملوكى على التغلب علي كل ما يواجه من أخطار تهدد دولته. ففى اليوم الأول لوصوله حرص علي كسب الشعب المصري إلى جانبه، وذلك عندما تخوف الناس من عودة المماليك البحرية لما عهدوه منهم من أعمال الفسق والفجور. فألغي تصقيع الأملاك[١٢] وتقويمها وزكاتها. كما ألغى الدينار الذى كان فرضه قطز قبل خروجه لملاقاه المغول، بالإضافة إلى عدم تحصيل ثلث الترك الأهلية، وتشجع الناس عند ماعلموا بتلك الإجراءات «وحمدوا الله تعالى وزادوا في الزينة».[١٣] وإذا كان قطز نجح فى إيقاف خطر المغول وتوجيه

ضربة قاصمة لهم، فان بيبرس نجح فى استعادة عدد كبير من الإقطاعيات والمعاقل الصليبية سواء في المملكة الصليبية الاسمية فى عكا ، أو في إمارة طرابلس أو إمارة أنطاكية. ولاشك أن شخصيته كانت من العوامل التى ساعدته علي تحقيق هذا النجاح، وبالإضافة إلي الحالة التي تردى فيها افرنج الشام. فلم تكن تواتيه فرصة إلا استغلها لصالحه، كما كان يتكتم أنباء خروجه لمحاربة الصليبيين حتى عن أقرب الناس إليه.(١٤) وقبل أن نتناول تفاصيل استرداد بيبرس لإقطاعية قيسارية نتوقف قليلا لاستعراض العلاقات السياسية بين المماليك والصليبيين خلال هذه الفترة الزمنية القصيرة.

ففي الجانب الصليبي تمكن جوفري سارجنيس صنجيل المملكة من أن يستعيد قدرا ضئيلا من الأمن والنظام فيها. وعلى الرغم من ذلك ظل العداء التقليدى مستحكما بين الجماعات الدينية العسكرية وعلي رأسها الداوية والاسبتارية والتيوتون. وأدرك التيوتون أن المستقبل لم يعد فى الأراضى المقدسة، فوجهوا اهتمامهم الرئيسى إلي شواطيء بحر البلطيق النائية.(١٥) أما عن الجانب المملوكى، فقد عمل بيبرس على القضاء على المشاكل التي واجهته.فبعد شهر واحد فقط من توليه السلطنة فى مصر، خرج علم الدين سنجر الحلبى فى دمشق ونادى بنفسه سلطانا وتلقب بالملك المجاهد، وأخذ يستعد فى دمشق لمواجهة بيبرس. ولم تفلح الرسل التى أرسلها بيبرس إليه لإقناعه بالعدول عن ثورته. وأرسل بيبرس جيشا تمكن من القضاء على تلك الثورة وإحضاره إلى القاهرة مصفدا بالأغلال، وذلك في صفر ٦٥٩هـ /يناير ١٢٦١م. وبذلك برهن بيبرس علي أهليته للبقاء فى الحكم، وعلى قوة دولته في مصر.(١٦) وفى نفس الوقت كان المغول قد هددوا حلب وحماة، فوجه بيبرس إليهم عساكره التى تمكنت من ردهم فى أوائل المحرم ٦٥٩هـ/ديسمبر ١٢٦٠م.(١٧) أما عن علاقته بالصليبيين آنذاك ، فتتلخص فى أن يوحنا الثاني كونت يافا أرسل إليه عدة رسل فى طلب عقد معاهدة مع المماليك. ولم تمدنا المصادر بنص هذه المعاهدة المعقودة، ولكن من

واقع ماذكرته المصادر العربية في أحداث هذا العام (٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م) والأعوام التالية أمكن استخلاص بعض بنودها التى تتمثل في الآتى :

أولا : تقرر أن يقدم الفرنج مبلغا معينا من المال لبيبرس . غير أن المصادر لم تحدد قيمة هذا المبلغ.

ثانيا : يتم تبادل الأسرى بين الجانبين الصليبى والإسلامى. وأحضر المماليك الأسري الصليبيين بالفعل إلى نابلس ولكن الصليبين لم ينفذوا تعهدهم باحضار الأموال المطلوبة . فأمر السلطان بإعادتهم إلى دمشق حيث استخدمهم فى بناء العمائر. وقد تعلل الفرنج بطلب قرية زرعين، ولكنه أجابهم بانه تم تعويضهم بمرج عيون والتى استبدلوها مع صاحب تبنين(١٨).

ثالثا : كان على الفرنج عدم تجديد أسوار المدن الصليبية، ويتضح هذا البند من أنه عند إعادة الفرنج تجديد سور أرسوف احتج بيبرس واعتبر ذلك خرقا للمعاهدة.

رابعا : ومن بنود المعاهدة أيضا ، عدم التعرض لرسل السلطان المملوكى الذي يمرون بلاد الفرنج ، ومما يدل على ذلك أن بيبرس اعتبر قبض الفرنج علي رسله الذين كانوا متجهين إلي قبرص نقضا لشروط المعاهدة.

خامسا : كان على الفرنج تقديم المؤن والمساعدات للمماليك عند خروجهم لمواجهة المغول.(١٩).

كانت هذه هي بنود المعاهدة التى عقدت بين بيبرس والصليبيين. وواضح انه كان يحاول مهادنتهم فى السنوات الأولى من حكمه حتى يفرغ من مشاكله الداخلية ويستتب له الأمر، ثم يوجه إليهم بعد ذلك الضربة القاضية. وبالفعل لم

تستمر هذه المعاهد المعقودة بين الجانبين طويلا. فعندما خرج بيبرس في ١٧ ربيع الآخر ٦٦١هـ/٢٧ فبراير ١٢٦٢م متجها إلي بلاد الشام، أسرع أميرا أرسوف ويافا لتقديم الهدايا له، فقبلها منهم وأمر بألا ينزل أحد في زرع الفرنج ولا يسيب فرسا ولايؤذى لهم ورقة خضراء، ولايتعرض لمواشيهم أو فلاحيهم.[٢٠] وكان السلطان بيبرس يرغب في مهادنة الفرنج له.[٢١] وبعد ذلك تفرغ لمواجهة الفرنج. ويقول المقريزى» ولما خلا بال السلطان من هم الملك المغيث، توجه بكليته إلي الفرنج».[٢٢]. ووجه عساكره الي الناصرة ، حيث خرجوا كنيستها، كما أغار قسم آخر على عكا. وتوجه بنفسه إليها، وخرب المناطق المحيطة بها، وهدم أحد الأبراج التى كانت خارجها. واستطاع قتل وأسر عدد من الفرنج، بل أن جوفرى سارجنيس صنجيل المملكة أصيب في هذه الغارة.[٢٣] وبينما كان السلطان عائداً إلي مصر خرج رسل الفرنج لمقابلته طالبين منه تجديد الهدنة السابقة. ولكنه ذكرهم بما فعلوه من أمور استوجبت نقضها، مثل عدم قيامهم بتقديم المؤن اللازمة لعسكره أثناء خروجهم لقتال المغول، وأسرهم بعض غلمان العسكر المملوكي. وكذلك تعرضهم لسفرائه الذين خرجوا الي قبرص. وأعلن رسل الفرنج أنهم سوف يعملون علي ازالة ماحدث من سوء الفهم، وأنهم سوف يستأنفون تقديم الخدمة لجيشه.[٢٤] ولكنه رفض ذلك مما يعني اعلان الحرب عليهم. وعاد إلي القاهرة في ١٧ رجب ٦٦١هـ/٧ مايو ١٢٦٣م.

وقد حدث رد فعل من جانب الصليبيين عندما رفض بيبرس تجديد الهدنة المعقودة. فقام فرسان عكا ومعهم الداوية والاسبتارية بالاغارة علي عسقلان واللجون[٢٥] LIGON. وكان ذلك فى مايو ١٢٦٣م/ شعبان ٦٦١هـ. كما تجمع الفرنج في يافا استعداداً لمهاجمة المماليك. وعندما علم بيبرس بأمر هذه الإغارة أرسل إلي ناصر الدين القيمرى[٢٦] بالإغارة على قيسارية وعثليث رداً على ذلك. وفي رمضان ٦٦١هـ . يوليو ١٢٦٣م قام ناصر الدين بمهاجمة قيسارية وعثليث وتمكن من قتل وأسر بعض الصليبيين في هذه المنطقة. وعندما علم الفرنج

بذلك، أرسلوا «وزير قيسارية» إليه للتحدث فى أمر تجديد الهدنة. ولكن الأمير المملوكي قبض عليه، ورفض أن يطلق سراحه إلا بعد أن يعيد الصليبيون ما أخذوه من الأسرى المسلمين والمواشى. وبالفعل أعاد الصليبيون ما أخذوه، وأطلق ناصر الدين سراح «الوزير»[٢٧] وأدرك بيبرس أن هذه الإغارات والمناوشات لم تعد تصلح لتنفيذ ما كان يهدف إليه. فعمل علي أن يبدأ سياسة جديدة تتسم بترجيه ضربات قوية إلي الصليبيين، وكان ذلك يستلزم منه الاستعداد الكافي وبالفعل قضى بيبرس العام التالى (٦٦٢هـ/١٢٦٤م) فى اتمام استعداده للمعارك الفاصلة مع الصليبيين. وفي نفس الوقت مات هيو الأبن الأكبر ليوحنا أليمان سيد قيسارية من زوجته مارجريت. والذى كان يعتبر الوريث الشرعي للإقطاعية. وقد ترك ذلك تأثيرا سيئا علي الإقطاعية.[٢٨] وفي نفس الوقت ثارت الخلافات مرة ثانية بين البنادقة والجنوية وهاجم الأسطول البندقي مدينة صور.[٢٩] ولاشك أن هذه الأوضاع السيئة التى عانى منها الكيان الصليبى بصفة عامة وقيسارية بصفة خاصة. كانت تنذر بالسوء، وسرعات ماظهر الخطر الذي عصف بالوجود الصليبى فى الشام.

استكمل بيبرس استعداداته للجولة المقبلة مع الصليبيين. وكانت الأخبار قد وردت إليه فى المحرم ٦٦٣هـ/ أكتوبر ١٢٦٤م بخروج التتار ووصولهم إلى البيرة.[٣٠] فأمر عساكره بالخروج إلى الشام، وأرسل ثمانية الاف من الفرسان خرجوا علي دفعتين وذلك فى ٤ ربيع الأول ٦٦٣هـ/٢٥ ديسمبر ١٢٦٤م. ثم خرج السلطان بنفسه في ٥ ربيع الآخر / ٢٥ يناير ١٢٦٥م حيث وصل إلى غزة، واتجه بعد ذلك إلى صيدا. وعندما علم يوحنا الثانى كونت يافا بخروجه ، أسرع لمقابلته عارضا عليه أمر تجديد الهدنة. ورفض بيبرس ذلك عندما علم بأنه موفد من قبل الفرنج.[٣١] وكان ذلك بمثابة إعلان الحرب من جانبه صراحة ضد الصليبيين. واتجه السلطان بعد ذلك إلى دمشق، وبلغته الأنباء بفرار المغول عندما علموا بوصول قواته.[٣٢] ولم يدع بيبرس هذه الفرصة تفلت من يديه. فاتجه من

دمشق إلى العوجاء،[٣٣] ومنها إلى أرسوف وقيسارية حيث عاين المدينتين بنفسه لمعرفة مالحتاجان إليه من الات الحصار. وجاء اختيار بيبرس لقيسارية وتوابعها لكى يوجه إليها أولى ضرباته، دليلا علي مهارة حربية فائقة. فنجاحه فى استرداد هذا الموقع الاستراتيجى سوف يتيح له حرية الحركة، وتوجيه الضربات تباعا إلى الإقطاعيات والإمارات الصليبية سواء الواقعة إلي الشمال من قيسارية أو الجنوب منها.

وبدأ بيبرس بعمل عدة منجنيقات جلبت أخشابها من غابة أرسوف، وكان يعمل في تكتم شديد حتى لاتصل الأخبار إلى الفرنج فيأخذوا أهبتهم. وبالفعل نجح فى ذلك حتى انه «ماأعلم أحد بغزاه ولافهمه أين مرامه ومرماه».[٣٤] وكان يباشر بنفسه بناء هذه المنجنيقات حتى تنتهى فى أسرع وقت. وقد فرغ منها فى يومين وليلة. وأمر أيضا بعمل عدة سلالم لاستخدامها في تسلق أسوار المدينة، وقام عدد من الأمراء بحملها. وتوجه بيبرس الي عيون الأساور[٣٥] الواقعة داخل حدود إقطاعية قيسارية. وفي مساء الأربعاء ٨ جمادى الأولى ٦٦٣هـ/٢٦ فبراير ١٢٦٥م أمر عساكره بالاستعداد ولبس آلة الحرب». وفي صباح الخميس ٩ جمادى الأولى/ ٢٧ فبراير بدأ حصاره لقيسارية «وذلك على حين غفلة من أهلها»،[٣٦] مما يعنى أنه نجح فى تكتم أنباء خروجه ، الأمر الذي هيأ له توجيه ضربة مفاجئة لها.

وقد أمدتنا المصادر العربية بتفاصيل حصار بيبرس لقيسارية. فقد تقدم الجيس المملوكى إلي السور الشرقى للمدينة حيث كانت توجد البوابة الرئيسية. واستمات المسلمون في حصارها فألقوا أنفسهم في خنادقها واستخدموا سكك الخيول والشبح[٣٧] فى تسلق الأسوار. ونجحوا فى الوصول إلى البوابة الرئيسية واختراقها والدخول إلي المدنية، وذلك فى نفس اليوم الذى بدأ فيه الحصار. وعندئذ أسرعت الحامية الصليبية الموجودة في المدينة بالفرار متجهة إلي القلعة التى كانت تعرف بأسم «الخضراء» وكانت هذه القلعة تمثل وحدة دفاعية مستقلة لأن مياه

البحر تفصلها عن المدينة.[٣٨]

وبالفعل استطاعت الحامية الصمود حوالي سبعة أيام أمام هجمات بيبرس عليها. وأصر بيبرس علي استرداد القلعة، وكان يباشر بنفسه عملية الحصار، وكان يقاتل بشدة، وعاد إحدى المرات وفي ترسه عدة سهام. وفى مواجهة القلعة كانت توجد كنيسة استخدمها بيبرس لتوجيه قواته من أعلاها ولكى يمنع الفرنج من الصعود إلى أعلى القلعة. وبعد أن يئست الحامية الصليبية من المقاومة ومن وصول أية نجدات إليها من عكا، استسلمت شريطة أن يغادر رجالها القلعة سالمين.[٣٩] ووافق بيبرس على ذلك، وسمح لهم بمغادرتها. ويوضح هذا الموقف الفارق بين ما اقترفه الصليبيون من مذابح عند استيلائهم علي قيسارية عام ١١٠١م/ ٤٩٤هـ وبين سلوك القائد المسلم عند انتصاره. وهكذا سقطت قيسارية فى أيد المسلمين فى ١٥ جمادى الأولى / ٥ مارس ١٢٦٥م بعد أن ظلت مايقرب من قرن ونصف من الزمان فى قبضة الصليبيين.[٤٠]

وثمة عدة تساؤلات تدور حول نتائج سقوط الإقطاعية، والوضع الذي أصبحت عليه بعد استرداد المماليك لها، بالإضافة إلى رد الفعل الذي حدث لدى الصليبيين في الأراضى المقدسة أو في الغرب الأوروبى. كانت أولى النتائج التى ترتبت على سقوط قيسارية، أنها تعرضت لتخريب جانب كبير من تحصيناتها، وخاصة أسوارها وقلعتها. فعقب سقوطها مباشرة أمر بيبرس بهدم هذه التحصينات، بل إنه شارك بنفسه في عملية الهدم، وكان بيبرس يدرك تماما مناعتها وقوتها، ولذلك بادر بتخريبها حتى لاتستخدم - اذا مانجح الصليبيون فى استردادها- كرأس جسر لمهاجمة المدن الداخلية الإسلامية وخاصة بيت المقدس، حيث كان الحجاج يمرون بقيسارية في طريقهم إليها ويلاحظ أن المؤرخين المسلمين بالغوا فى عملية هدمها. فقد ذكر المقريزى أنه تم تخريبها حتى أنه «لم يبق لها أثرا».[٤١] والواقع أن هناك مبالغة فيما ذكره المقريزى، فعند اكتشاف المدينة وجدت أجزاء سليمة من السور والقلعة أيضا.[٤٢] كما ترتب على سقوطها أن توابعها تساقطت جميعها

فيما عدا الأجزاء التى كانت تابعة للداوية والإسبتارية. وقد سبقت الاشارة الى أن هذه المناطق خرجت من تبعيتها لسادة قيسارية، وكان لمقدم الداوية في عثليت نفس حقوق سادة قيسارية وحيفا حيث كانت تقع قلعة الحجاج أو عثليت بين هاتين الإقطاعيتين.(٤٣)

والنتيجة الثالثة التى ترتبت علي سقوط قيسارية هى أنه اتضح لبيبرس مدى الضعف الذى كانت تعانى منه المملكة الصليبية. فقد صمدت الحامية الصليبية حوالى أسبوع دون أن يتجه أحد من الصليبيين سواء من عكا أو قبرص لنجدتها. أما النتيجة الرابعة لاسترداد المماليك لقيسارية فهى أنه أصبح بوسعهم التحرك في سهولة ويسر بعد أن تحكموا فى هذه المنطقة الإستراتيجية الهامة. وهذا ما حدث بالفعل. فقد وجه بيبرس عساكره في اليوم التالى لسقوطها - أى فى ١٦ جمادى الأولى / ٦ مارس - الى عثليت حيث تعرضت للتخريب. بل اتجه بنفسه إلى هناك فى ١٧ جمادي الأولى / ٧ مارس، وخرب المنطقة المحيطة بها. كذلك تعرضت حيفا وقلعتها للهجوم من جانب بيبرس، وكاد أن يستردها لولا حصانتها حيث كانت تقع فى بطن جبل الكرمل مما أتاح لها الحماية الطبيعية. ثم استكمل بيبرس إخضاع بقية توابع قيسارية الواقعة إلى الجنوب. واتجه إلى أرسوف التى تمكن من استردادها بعد حصار استمر من أول جمادى الآخر الى ٨ رجب ٦٦٣هـ.١٩ مارس إلي ٢٦ إبريل ١٢٦٥م.(٤٤) وبذلك استكمل السلطان استرداده للمنطقة الممتدة من أرسوف إلى قيسارية وقفل بعد ذلك عائدا إلى القاهرة فى ٢١ شعبان ٦٦٣هـ/ ٧ يونيو ١٢٦٥م، لك يستعد لمرحلة تالية فى جهاده ضد الفرنج واستكمال اخضاع بقية المعاقل والمدن الصليبية.

أما الاجابة عن التساؤل الثاني الذى سبق أن أثرناه، والخاص بوضع إقطاعية قيسارية بعد استرداد بيبرس لها، فقد اتجه سادتها السابقون إلي جزيرة قبرص الخاضعة لأسرة لوزنيان اللاتينية لكى يقضوا هناك بقية حياتهم. ولم نجد أى نشاط سياسي أو عسكرى لنيقولا أليمان الذى أصبح يحمل لقب « سيد

قيسارية» ـ وكان لقبا اسميا فقط. وظل حتى عام ١٢٧٧م/ ٦٧٥ ـ ٦٧٦هـ عندما قتل فى مشاجرة نتيجة ثأر قديم ضده. وآل اللقب من بعده إلى شقيقه توماس أليمان الذى كان آخر من حمل هذا اللقب. ولا نعلم على وجه التحديد سنة وفاته.(٤٤) وبذلك تنتهى الأسرة التى حملت لقب سادة قيسارية بعد أن انتهت إقطاعيتهم وأصبحت نسيا منسيا. وكان السلطان قد أمر عقب سقوط قيسارية بعمل حصر للإقطاعيات، وأستدعى قاضى دمشق شمس الدين بن خلكان ووكيل بيت المال بها، وتم توزيع هذه الإقطاعيات على أمرائه ومماليكه. وثمة عدة ملاحظات على هذه القائمة التى أوردتها أغلب المصادر العربية وهى :

أولا : أن بعض المراء حصل على إقطاعية كاملة دون أن يشاركه أحد فى ذلك مثل عتيل، وباقة الشرقية، تبان، وأم الفحم، وعلار. كما تم مناصفة بعض الإقطاعيات الأخرى مثل طوركرم، وقلنسوة، ،طيبة الاسم. وبورين ودنابة، والشوكية، عرعرا، وتم أيضا تقسيم اقطاعية زيتا بين ثلاثة من الأمراء.(٤٦)

ثانيا : اختلطت بعض توابع أرسوف مثل حانونا وحبلة وجلجولية فى هذه القائمة.

ثالثا : اقتصرت هذه القائمة على الإقطاعيات الواقعة فى الجزء الشرقى من إقطاعية قيسارية، أما المناطق الساحلية فقد احتفظ بها السلطان لنفسه، حيث كان مايخرج الى الشام، فيعسكر بها ويستخدمها كمراع لدواب الجيش.

رابعا : لم تعد قيسارية هى المركز الرئيسى ـ كما كانت هى المركز الرئيسى ـ كما كانت فى الفترة الصليبية ـ فقد أمر السلطان فى جمادى الآخرة ٦٦٥هـ /فبراير ١٢٦٧م بعمارة قاقون لكى تصبح المركز الرئيسى بدلا من قيسارية وأرسوف اللتين تم تخريبهما وبالفعل تم تقوية

قلعتها وتحويل كنيسة بها إلى مسجد وأوقف بيبرس له رتفا. وكان لوقوعها على الطريق التجاري أهمية كبرى، فسرعان ما تحولت إلى مركز تجاري ضخم ، وصارت بلدة عامرة بالأسواق.(٤٧)

واستمر السلطان بيبرس في محاولاته لاسترداد بقية المعاقل التي يوجد بها الداوية. والتي كانت ضمن اقطاعية قيسارية ففي عام ٦٦٤هـ/١٢٦٦م وجه الأمير ناصر الدين القيمري الى عثليت لمهاجمتها، ولكنه لم يحرز نجاحا في ذلك لمناعة هذه القلعة وقوة تحصيناتها(٤٨). وواصل بيبرس حملاته على المدن والمعاقل الصليبية، وتمكن خلال ثمان سنوات (٦٦١ - ٦٦٩هـ/١٢٦٣ - ١٢٧١م) من استعادة كل المنطقة من قيسارية إلى يافا، والمنطقة الجبلية الواقعة شمال وشرق عكا، وبالاضافة الى ثلث مقاطعة طرابلس وكل إمارة إنطاكية فيما عدا اللاذقية.(٤٩)

أما الاجابة عن التساؤل الثالث الخاص برد الفعل الذى حدث نتيجة سقوط قيسارية وغيرها من الإقطاعيات والمعاقل الصليبية. فقد جاء رد الفعل من جانب الغرب الأوروبي متأخرا إذ استجاب عدد كبير من الأمراء الانجليز للدعوة إلى حمل الصليب والتوجه إلى الأراضى المقدسة. وكان على رأس هؤلاء الأمير إدوارد ابن الملك هنرى الثالث. وكان لويس التاسع ملك فرنسا يحاول أن يعوض تلك الهزيمة التي لقيها سواء فى مصر أو الشام بشن حملة أخرى على تونس فى الشمال الأفريقى.(٥٠) واتجه ادوارد لمقابلة الملك الفرنسى فى باريس للإتفاق معه على مشاركته فى هذه الحملة والتوجه بعد ذلك إلى الأراضى المقدسة. وبالفعل تم الاتفاق بينهما علي طريقة تمويل الحملة وميعاد خروجها والمكان الذي سوف يتم التجمع عنده.(٥١) وعاد ادوارد إلى انجلترا لاستكمال الإستعداد للحملة. وتم الاتفاق على تسديد المبلغ للملك الفرنسى بأن تقدم الكنيسة ١/٢٠ من عشورها، وأعلن البابا كلمنت الرابع (١٢٦٥ -١٢٦٨م) موافقته على ذلك. كما أعلن هنرى الثالث تخليه عن قيادة الحملة لابنه ادوارد. وبالفعل أبحرت الحملة في

٥ أغسطس ١٢٧٠م/١٥ ذي الحجة ٦٦٨هـ الى مدينة إجمورت Aigues Mortes الفرنسية[٥٢] حسب الاتفاق السابق. ولكن إدوارد وجد أن الملك الفرنسي قد سبقه إلى تونس، التي وصلها في ١٠ نوفمبر / ٢٤ ربيع الأول، وعلم هناك بأمر الاتفاق الذي تم بين الجانبين ولكنه لم يرض عنه، فغادر تونس إلى صقلية لكي يقضي فصل الشتاء بها. وعندما بلغ هذه الجزيرة أعلن الأمراء الذين كانوا معه عن رفضهم الإبحار معه إلي الأراضي المقدسة، وطلبوا تأجيل الصليبية لمدة ثلاث سنوات. ولكنه أصر علي موقفه، وأعلن أنه لن يتراجع عن الذهاب إلى الأراضي المقدسة إلا في ثلاث حالات هي :اذا أحله البابا من قسمه بالذهاب إلى هناك، أو في حالة مرضه، أو وفاة ولده هنرى الثالث مما يستلزم وجوده في انجلترا. وعاد الأمراء الإنجليز تاركين هنري وأخاه إدموند ومعهما عدد قليل من الأتباع لايتعدى الألف.[٥٣] واتجه إدوارد بحملته هذه إلى قبرص التى كان يحكمها آنذاك هيو الثالث. وحدث خلاف بين الأمير الإنجليزي وأمراء وبارونات الجزيرة الذين أعلنوا رفضهم للاشتراك في حملة خارج الجزيرة، وذكروا على لسان جيمس ابلين المتحدث باسمهم، أنهم ليسوا ملزمين بالقتال خارج الجزيرة، وأن الخدمات التى يجب عليهم تأديتها تكون داخل الجزيرة فقط. وعندما ذكرهم إدوارد باشتراكهم في الحملات السابقة خارج الجزيرة، أعلنوا أن ذلك كان بناء علي موافقتهم، ولم يكونوا مجبرين على ذلك. وبعد أخذ ورد بين الجانبين أعلنوا عن موافقتهم على الاشتراك في الجيش الصليبي لمدة أربعة شهور فقط. أما بقية العام فسوف يكونوا تحت تصرف الملك القبرصي فقط.[٥٤] ويوضح ذلك إلي أى مدى أصبح هؤلاء الصليبيون يفضلون حياة الدعة والكسل بعد أن استطابوا الحياه فوق رقعة الشرق الأدنى وشمسه الدافئه، على الرغم من أن الحملة كانت قادمة من أجل نجدتهم من التدهور الذى آلت إليه المملكة الصليبية وبقية المدن الصليبية الأخرى.[٥٥] ويضاف إلى ذلك أن الغرب اللاتيني كان آنذاك في شغل شاغل عن الحركة الصليبية بسبب مشاكله الداخلية فضلا عن أن الفكرة الصليبية قد فترت في نفوس الناس في الغرب من كل الفئات والطوائف والطبقات، وأصبحوا يتشككون

فيها ويشكون في مدى فاعليتها وجدواها بعد أن ذاقوا الأمرين في الشرق وبعد أن ذهب زهرة شبابهم مابين أسير وقتيل وجريح دون أن يجنوا شيئا من وراء ذلك.(٥٦)

ومهما يكن ، فقد وصل إدوارد إلي عكا في ٩ مايو ١٢٧١م/٢٧ رمضان ٦٦٩هـ ، ولحق به هيو الثالث ملك قبرص. وكان إدوارد يأمل في تكوين جيش تكون قواته نواة له، ويضم مختلف الصليبيين في الأراضي المقدسة حتى يستعيد للمملكة المنهارة قوتها الضارية، ويدفع به هجمات بيبرس. ولكنه سرعان ما اصطدم بالواقع الذي يجرى هناك. فقد رفض كل من البنادقة والجنوية مبدأ منع تجارتهم مع المماليك وخاصة في السلع الإستراتيجية مثل الخشب والحديد، كذلك تجارة الرقيق الأبيض الذي كان يمثل عصب الجيش المملوكي. وعندما اتهمهم إدوارد بالخيانة أطلعوه على البراءات والمراسيم التي حصلوا عليها من المحكمة العليا في عكا والتي تتيح لهم حرية التجارة في مثل هذه الأشياء(٥٧). ويوضح ذلك، مرة أخري، أن هذه الجاليات الإيطالية لم يكن يعنيها سوى مصالحها الخاصة حتى ولو كانت على حساب الصليبيين.

على أية حال، كان بيبرس قد خرج من مصر إلى الشام في ١٠ جمادى الآخرة ٦٦٩هـ/ ٢٤ يناير ١٢٧١ لمهاجمة بعض القلاع والحصون الصليبية، وعندما علم بوصول إدوارد إلى عكا غير خط سيره، متجها إلي طرابلس ثم اتجه لمحاصرة حصن القرين Montfort الذى يعرف أيضا بأسم Starkenburg ، والذى كان المعقل الرئيسى لجماعة التيوتون.(٥٨) وحاول بيبرس أن يمنع مشاركة القبارصة في الحملة، فأرسل أسطولا إلى الجزيرة ولكن عاصفة هبت على الأسطول حطمت عددا كبيرا من قطعه وتعرضت بعض القطع للأسر.(٥٩).

اتجه إدوارد إلى قاقون ـ التى أصبحت المركز الرئيسى بدلا من قيسارية وأرسوف لمهاجمتها ومحاولة استردادها. وذلك في ٢٣ نوفمبر ١٢٧١م/١٨ ربيع

بالآخر ٦٧٠هـ. وقد استغل انشغال بيبرس برد غارة للتتار على شمال بلاد الشام. ويبدو أن ذلك كان متفقا عليه بين التتار والصليبيين.[٦٠] وهاجم الأمير الانجليزى المدينة، ولكن قلعتها استطاعت الصمود أمام هذه الغارة. وقتل الأمير حسام الدين استاذ دار، وفر والى قاقون بجكا العلائى. ووصلت الأنباء الى الأمير جمال الدين أقوش الشمسى، فخرج معه عسكر عين جالوت لنجدة قاقون. وبالفعل تمكن من مهاجمة الصليبيين، وبلغ جملة ما نفق من خيولهم خمسمائة رأس. وعندما عاد السلطان الى مصر أمر بالقبض على الأمراء الذين كانوا مجردين للدفاع عن قاقون نظرا لتقصيرهم فى الدفاع عنها. ولكنه عاد وأطلق سراحهم بشفاعة الأمراء فيهم.[٦١]

كان لابد من تحرك السلطان بنفسه لمواجهة الأمير الانجليزى وما أحدثه من تخريب في المناطق التى هاجمها. وبالفعل خرج فى شعبان ٦٧٠هـ/مارس ١٢٧٢م إلى الشام وأمر بشن الغارات على الصليبيين، وأدرك هؤلاء أنه ليس من صالحهم الوقوف أمام السلطان، فوصلت رسل عكا تطلب منه الهدنة. ووافق السلطان على ذلك فى ١١ رمضان ٦٧٠هـ/٢٢ مايو ١٢٧٢م. ولكن الملك الانجليزى لم يدخل فى هذه الهدنة التى عقدت لمدة عشر سنوات وعشرة شهور وعشر ساعات. واحتفظت فيها المملكة الصليبية بممتلكاتها التى كانت لاتزال فى حوزتها، والتى امتدت من السهل الساحلى الضيق أمام عكا حتى صيدا. كما أتفق على حق استخدام طريق الحجاج إلي الناصرة دون أن يتعرض المسيحيون لأيه أخطار من جانب المماليك.[٦٢] وبينما كان الأمير الانجليزى فى عكا، تمكن اثنان من الفداوية من الوصول إلي معسكره عن طريق حيلة تم تدبيرها، وقام أحدهما بطعنه بخنجر مسموم فى ذي القعدة ٦٧٠هـ/يونيو ١٢٧٢م. وكاد الملك يلقى حتفه في هذه المحاولة، ولكن تم إنقاذ حياته. وأرسل بيبرس سفارة يعرب فيها عن أسفه لما حدث متمنيا له الشفاء، ولكى يدفع عن نفسه تهمة محاولة قتل الأمير الانجليزى.[٦٣] ولم يعد إدوارد يشعر بالأمان فى الأراضى المقدسة، فقرر الرحيل عائدا إلى انجلترا، وغادر عكا فى ٢٢ سبتمبر ١٢٧٢م/٢٦ صفر ٦٧١هـ. وفى

الطريق علم بوفاة والده هنرى الثالث.(٦٤)

وهكذا انتهت إحدى المحاولات الصليبية دون أن تحقق أهدافها. ولم يكن منتظرا أن تحقق أي شيء، بل كانت هذه هى النتيجة المتوقعة فقد أدرك إدوارد مدى التدهور الذى أصاب الفكرة الصليبية، فلم يعد الاهتمام يتجه إلا لتحقيق المكاسب التجارية حتى ولو كان ذلك على حساب الصليبيين. كما أن الداوية والاسبتارية ظلوا في صراعهم التقليدى ، أما البارونات والامراء فقد استطابوا الحياة هناك، ولم يكونوا يرغبون فى أن يعكر هذه الحياة أيه شائبة حتى ولو كانت هذه القوات القادمة من الغرب لتقديم المساعدات لهم. وأبلغ دليل على ماوصل إليه الشرق اللاتينى من تدهوره، وأن هيو الثالث ملك قبرص وعكا ترك المملكة الصليبية الاسمية فى عام ١٢٧٦م/٦٧٣ ـ ٦٧٥هـ وعاد إلى قبرص دون أن يترك نائبا عنه فى عكا، مما يدل على مدى اليأس الذى شعر به الملك القبرصى تجاه إصلاح أحوال الصليبيين فى الأراضى المقدسة.(٦٥)

وهكذا وقبل وفاة السلطان المملوكى بيبرس فى صفر ٦٧٦هـ/يوليو ١٢٧٧م، يكون قد تمكن من استرداد أجزاء ضخمة من المملكة الصليبية ومن إمارتى طرابلس وأنطاكية، بل لقد وصل بجيوشه إلي آسيا الصغرى. وعلي حد تعبير ابن الفرات «ومن غريب ما أتفق وأعجبه أن أول ما فتحه الملك الظاهر بنفسه قيسارية (الساحل) وآخر مافتحه قيسارية (الروم) ».(٦٦)

وأعقب بيبرس فى السلطنة ابنه السعيد ناصر الدين أبو المعالى محمد بن بركة خان (٦٧٦ ـ ٦٧٨هـ/١٢٧٧ ـ ١٢٧٩م) ثم ابنه الثانى العادل بدر الدين سلامش (٦٧٨هـ./١٢٧٩م). ونجح المنصور سيف الدين قلاوون الألفى العلائى الصالحى فى اغتصاب السلطة، وذلك فى شعبان ٦٧٨هـ / ديسمبر ١٢٧٩م، لكى تبدأ صفحة جديدة فى العلاقات بين الجانبين الصليبى والاسلامى. فقد استغل قلاوون كافة المساعى الدبلوماسية والحربية لمواجهة خصومه. اذ تمكن فى مايو ١٢٨١م/ صفر ٦٨٠هـ من التوصل إلى معاهدة مع الداوية والاسبتارية وبوهمند السابع أمير

طرابلس، نصت على عدة شروط حددت العلاقات بين الجانبين.(٦٧) وقد أراد قلاوون ان يتفرغ لمواجهة خطر التتار، ثم بعد ذلك يواجه الصليبيين. وبالفعل نجح فى انزال الهزيمة بهم عند حمص فى ٣٠ أكتوبر ١٢٨١م/١٥ رجب ٦٨٠هـ وفر التتار عبر الفرات عائدين إلي بلادهم.(٦٧) وعقد قلاوون معاهدة أخرى مع عكا فى ٥ ربيع أول ٦٨٢هـ/ ٣ نوفمبر ١٢٨٣م حددت أملاك كل جانب والمناطق التابعة له، ونصت على أن تتبع « قيسارية وميناؤها وأعمالها.. وقلعة قاقون وأعمالها وبلادها المماليك » ، مما يعنى تبعية المدينة نهائيا لهم. كما نصت المعاهدة على بعض المناطق الواقعة داخل حدود الاقطاعية، والتى كانت تابعة للداوية والاسبتارية. فأعطاها قلاوون لهم بما فيها من اراضى لفلاحتها.(٦٩) ولكن الفرنج نقضوا المعاهدة عندما وقع اعتداء من جانب الصليبيين على تجار مسلمين. ورفض الفرنج طلباً من قلاوون بتسليمه الذين ارتكبوا جريمة الإعتداء. وهنا أمر المنصور قلاوون بشن الهجمات على الصليبيين. ولكنه المنية عاجلته واستكمل ابنه الأشرف خليل (٦٨٩ ـ ٦٩٣هـ / ١٢٩٠ ـ ١٢٩٣م) اخضاع بقية المعاقل الصليبية. مثل عكا وصور وصيدا وحيفا وبيروت وعثليت.(٧٠)

وهكذا ، انتهى الوجود الصليبى في منطقة الشرق الأدنى، التى أصبحت مرة أخرى إسلامية خالصة. وتمكن المماليك من فرض سيطرتهم على بلاد الشام، وعادت قيسارية وكل توابعها التى كانت تخضع لجماعة الفرسان الداوية والاسبتارية إلي المماليك. وبذلك تنتهى صفحة فى تاريخ هذه المنطقة، لكى تبدأ صفحة أخرى جديدة. إذ حاولت أسرة جديدة من قبرص في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين/ القرنين الثامن والتاسع الهجرى احياء لقب «سادة قيسارية» من جديد ولكنهم لم يكونوا من أسرة واحدة يوستاش جارنييه التى حكمت الاقطاعية خلال الفترة الصليبية. ولم يقدر لهذه المحاولة النجاح، فضلا عن أن ظروف العالم آنذاك لم تعد تسمح بذلك.

هوامش الفصل الخامس

(١) للمزيد عن أحوال الصليبيين في الك الفترة أنظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية، جـ٢ ، ص ١١٠٤ ـ ١١١١،

Runciman, op. cit., vol. III, pp 282- 4; Heyed, op. cit., vol., I, PP. 349 - 50; Duggan, op. cit., P. 241; king, op. cit., p. 258; Stevenson, op. cit., p. 332.

(٢) المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق ٢ ص ٣٩٨ ، وأيضا : سعيد عاشور : المرجع السابق ص ١١٠٤.

(٣) Annals de Terre Sainte, P. 446; Estoire d'Eracles, P. 442; Cf, also : Runciman, op. cit., vol. III. p. 282; Stevenson,op. cit., P. 332.

(٤) Runciman, op. cit., Vol. III. P. 311.

(٥) شافع بن علي : حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، لوحة ٧ ـ ٨.

(٦) الكتبي : عيون التواريخ . جـ . ٢ ، لوحة ١٧٩، المقريزي : السلوك ، جـ ١، ق٢، ص ٤٣، العيني: عقد الجمان، جـ١٨، مجلد ٥٤، لوحة ٤٣٢. أيضا : أحمد مختار العبادي : قيام دولة المماليك الأولى، بيروت ١٩٦٩، ص ١٦١ ـ ١٦٢، يوشع براور : المرجع السابق، ص ٩١.

(٧) Rothelin, Continuation de Guillaume de Tyr, in R.H.C.H. Occ, tII, P. 636, P. 61 Cf. also; Runciman, op. cit., Vol. III, PP. 311-13.

(٨) عن موقف المغول من صيدا أنظر : اسامة زيد : صيدا ، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٧.
وللمزيد من الآراء الجديدة حول هذا التحالف الصليبي المغولي انظر : حسن عبد الوهاب: المرجع السابق . ص . ٣٠٠ ـ ٣٠٥.

(٩) Atiya, op. cit., p. 23.

(١٠) سعيد عاشور : المرجع السابق، جـ٢ ص ١١٣٨ ـ ١١٣٨، العبادي : المرجع السابق ص ١٦٧ ، ١٦٨، يوشع براور : المرجع السابق، ص ٩١، وأيضا :
Runciman, op. cit., Vol. III, PP. 313-14; Stevenson, op. vit., P. 334.

(١١) تعرضت المماليك البحرية، للاضطهاد منذ فترة طويلة، وقتل زعميهم أقطاي مما أدي الى تفرق المماليك المعزية، وكان قطز واحداً منهم. ويضيف العيني موقف قطز من البحرية بأنه «الجأهم الى الهرب والهجاج والتنقل في الفجاج إلى غير ذلك من أنواع الهوان التي قاسوها والمشقات التي لابسوها». أنظر : عقد الجمان، جـ١٨، مجلد ٥٤، لوحة ٤٣٢. وقد اختلفت روايات المصادر العربية حول الطريقة التي قتل بها قطز والشخص الذي قتله. فقد ذكر بعض المؤرخين أن أنص سلاح دار تقدم إلى قطز يطلب منه مسألة، فاجابه قطز إليها، وعند ئذ تقدم أنص لتقبيل يده، وكانت هذه إشارة متفقا عليها. فتقدم الأمراء وقتلوه. وذكر البعض الآخر بأن الأمراء كانوا يعلمون مدى حب

قطز للصيد، فأطلقوا أمامه أرنبا بريا وأسرع وراءه لاصطياده فتقدم الأمراء وراءه وقام أنص بضربه ضربة خايف، ولكن بيبرس عاجله بضربة أخرى أودت بحياته. أما الرواية الثالثة فتقول أن بيبرس تقدم وطلب منه إمرأة من سبي التتار فوافق. وتقدم بيبرس لتقبيل يده وكانت هذه إشارة متفقا عليها فقبض على يده وتقدم بدر الدين بكتوت الجوكندار المعزى وضربه فوقع من فوق فرسه، ثم رماه الأمير بهادر المعزى بسهم فقتله. أما الرواية الرابعة فتذكر أن بيبرس هو الذى قام بقتل قطز دون أن يشاركه أحد فى ذلك. كما اختلفت روايات المصادر حول تاريخ قتل قطز فذكر بعضها ١٥، والآخر ١٦ ورواية ثالثة١٧ من ذى القعدة. ولكن أكثرها أتفق على ١٥ من ذى القعدة. للمزيد عن ذلك أنظر : بيبرس الداودار : زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة، جـ٩ ، لوحة ٣٣ . ٣٤، شافع بن على : حسن المناقب السرية، لوحة ٨، الذهبى : دول الاسلام جـ٢ ص ١٦٣، ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر، ص. ١٩ - ١٩٢ ، الكتبى : عيون التواريخ جـ. ٢، لوحة ١٨٤ ، ١٨٥، المقريزى : السلوك ، جـ١، ق ٢ ، ص ٤٣٥. ابن الشحنة : روض المناظر فى علم الأوائل والأواخر، ورقع ١٥٧، العينى : عقد الجمان جـ١٨، مجلد ٥٤، لوحة ٤٣٨.

(١٢) تصقيع الأملاك يقصد به إحصاء البيوت والعقارات، وذلك بفرض فرض ضريبة عليها . عن ذلك أنظر : المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ق٢، ص ٣٨٤ج٢.

(١٣) ابن دقماق : الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين، ورقة ١١٥، المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٥٢٥.

(١٤) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٣٥.

(١٥) Runciman, op.cit., Vol. III, P. 287.

كان ذلك هو الرأى القديم فيما يتعلق بنشاط التيوتون، ولكن أحدث الآراء توصلت إلى استمرار الجماعة الألمانية فى الأراضى المقدسة على الرغم من الصعوبات التى واجهتها منذ هزيمة الحزب الامبراطورى فى الأراضى المقدسة فى عام ١٢٤٣م. للمزيد أنظر : حسن عبد الوهاب : المرجع السابق، ص ٢٧٢ وما بعدها.

(١٦) المقريزى : السلوك ، جـ١، ق ٢ ، ص ٤٣٨، وأيضا العبادى : المرجع السابق ، ص ١٧٨.

(١٧) شافع بن على : حسن المناقب السرية، لوحة ٢١ . ٢٢

(١٨) تقع زرعين إلى الشمال الشرقى من عين جالوت، أما تبنين فهى بلدة فى جبال بنى عامر المطلة على بانياس فيما بين دمشق وصور. أنظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ٢ ص ١٤.

(١٩) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر، ص ١١٨، بيبرس الداودار : زبدة الفكر، جـ٩، لوحة ٤٩ ، ٥٠، شافع بن على : حسن المناقب السرية، لوحة ٣٣ . ٣٤، المقريزى : السلوك ،

جـ١ ، ق ٢ ، ص ٤٦٣ ، ٤٦٤.

(٢٠) المقريزي : نفس المصدر ، ص ٤٨٣ ، ٤٨٤.

(٢١) المقريزي : نفس المصدر، ص ٤٨٢ ، وأيضا : العبادي : قيام دولة المماليك ، ص ٢٠٠.

(٢٢) المقريزي : نفس المصدر ، ص ٤٨٣.

(٢٣) Annales de Terre Sainte, P. 450; Estoire d'Eracles. P. 443; Cf. also: Röhricht, Geschichte. P. 923 ; Runciman, op. cit., Vol. III, P. 317.

وأيضا : العمري : مسالك الأبصار، جـ٢٧، ق٤، لوحة ٣٢٧، شافع بن علي : حسن المناقب السرية ، لوحة ٥٣ ، محي الدين ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٠١.

(٢٤) المقريزي : المصدر السابق، ص ٤٨٣ ـ ٤٨٦.

(٢٥) بلد بالأردن بينه وبين طبرية ٢١ ميلا وإلى الرملة ٤٠ ميلا. أنظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ١٣ ـ ١٤.

(٢٦) الأمير ناصر الدين أبو المعالي حسين بن عزيز بن أبي الفوارس القيمري الكردي، وكان مقدم العساكر بالساحل وتوفي في ٦٦٥هـ/١٢٦٦م. أنظر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٧ ، ص ٢٢٢.

(٢٧) لم تحدد المصادر العربية اسمه، واكتفت بهذه الإشارة عنه. ولا نعلم ماإذا كان المقصود به يوحنا أليمان سيد الإقطاعية في هذه الفترة، أم شخصا آخر أرسله نيابة عنه، وقد اختلفت آراء المصادر ، من عربية وأجنبية، حول تاريخ هذه الإغارة فبينما ذكرت المصادر الأجنبية أنها وقعت في يناير ١٢٦٤م/ربيع أول ٦٦٢هـ، ذكر ابن عبد الظاهر وشافع بن علي أنها جرت في رمضان ٦٦١هـ.يوليو ١٢٦٣م. أما المقريزي فذكر أنها وقعت في رمضان ٦٦٢هـ / يوليو ١٢٦٤م. ولاشك أن ابن عبد الظاهر وشافع بن علي أصدق باعتبارهما معاصرين لأحداث تلك الفترة من الزمن. وللمزيد عن ذلك أنظر :

Estoire d'Eracles, P. 444; Annals de Terre Sainte, p. 450; Cf. also : Stevenson; op. cit., pp. 259-60; Röhricht, Geschichte, P. 024; Runciman, op. cit., Vol. III, P. 318.

وأيضا : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٠١ ، شافع بن علي : حسن المناقب السرية، لوحة ٥٣، المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق ٢ ص ٥١٢ ، ٥١٣.

(٢٨) Rey, Les Familles, P. 284; LaMonte, Lords of Caesarea, p. 159, n. 97; Rohricht, Geschichte, P. 924.

(٢٩) Stevenson, op. cit., P. 337.

(٣٠) أورد ياقوت أكثر من موضع يحمل هذا الاسم. فهي بلدة تقع بالقرب من سميساط وليها

قلعة عامرة على نهر الفرات. أما الموضع الثاني الذي يحمل نفس الاسم فهو يقع فيما بين نابلس وبيت المقدس. والثالث من قرى كفر طاب. ولكن المقصود هنا هو الموقع الأول. أنظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ١، ص ٥٢٦ ، المشترك وضعا والمفترق صقعا ، ص ٧٥ ـ ٧٦.

(٣١) شافع بن علي : المناقب السرية ، لوحة ٦٢ ، ٦٣.

(٣٢) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر، ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤و الكتبي : عيون التواريخ ، جـ ٢، لوحة ٢٥٥، العمري : مسالك الابصار ، جـ ٢٧، ق ٤ ، لوحة ٣٢٨، العيني : عقد الجمان، جـ١٨، مجلد ٥٤، لوحة ٥١٤، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك، جـ١١، المجلد الرابع، لوحة ٦٦.

(٣٣) ذكر ياقوت الحموي أن العوجاء نهر ما بين أرسوف والرملة، كما أشار الى أنه توجد عدة مواضع تحمل هذا الاسم دون أن يحددها. والمفهوم من خط سير الظاهر أن العوجاء تقع على الطريق مابين دمشق وقيسارية. أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ٤، ص ١٦٦، المشترك وضعا والمفترق صقعا، ص ٣١٨،.

(٣٤) ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، جـ١١ ، المجلد الرابع ، لوحة ٦٦أ.

(٣٥) صحتها دير الاساور أو دير العيون . وعن موقعها أنظر خريطة رقم ٣ وأيضا :
Beyer, Das Gebiet Caesarea, PP. 38 - 9.

(٣٦) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٢٩.

(٣٧) السكك جمع سكة وهي الوتد الذي يربط مقود الحصان، أما الشبح فهو جمع شبحة وهي عبارة عن السلسلة التي يربط فيها قدم الحصان، وفيها عروة توضع في قدم الحصان وفي طرفها الآخر وتد يدق في الأرض. أنظر المقريزي : جـ١، ق٢،ص٥٢٦،ح٣،.

(٣٨) انظر ماسبق ص ١٨١ من الفصل الرابع.

(٣٩) تكاد تجمع المصادر العربية على أن بدء حصار المماليك لقيسارية كان في ٩ جمادي الأولى ٦٦٣هـ/٢٧ فبراير ١٢٦٥م، فيما عدا ابن ابي الفضائل والكتبي وابن أيبك الذين ذكروا أن ذلك يوم الأربعاء ٨ جمادى الأولى / ٢٦ فبراير. غير أن المصادر المعاصرة مثل ابن عبد الظاهر وشافع بن علي والعمري ذكروا أن ذلك كان يوم الخميس ٩ جمادى الأولى/ ٢٧فبراير. ونرى أن ذلك أقرب الى الصحة. أما المصادر الأجنبية فلم تمدنا بالمزيد من التفاصيل حول استرداد المماليك لقيسارية. بل أنها أخطأت في الشهر والسنة أيضا. فقد أشار مرينو سانودو إلى سقوطها في يناير ١٢٦٤م/ ربيع أول ٦٦٢هـ، كما أشار البعض الآخر إلى أنها سقطت عام ١٢٦٦م/٦٦٤هـ. أنظر :
Rey, Les Familles d'Outre-mer, p. 284.

(٤٠) اختلفت المصادر العربية حول تاريخ سقوط القلعة في يد بيبرس، فذكر البعض ١٥

جمادى الأولى/ ٥ مارس، وأشار البعض الآخر الى ١٧ من نفس الشهر/ ٧ مارس كما وردت إشارة أخرى إلى سقوطها بعد عشرة أيام من حصار المدينة ، أي في يوم ١٨ جمادى الأولى/ ٨ مارس. وتفسير ذلك الخلاف بين المصادر العربية أن القلعة سقطت بالفعل في يوم ١٥ جمادى الأولى، وأمر بيبرس بهدم المدينة والقلعة، وبدء بالفعل في ذلك العمل الذي شارك فيه بنفسه ثم اتجه إلى عثليت حيث هاجمها وخرب المناطق المحيطة بها، وعاد بعد ذلك إلى قيسارية في ١٨ جمادى الأولى/ ٨ مارس حيث استكمل هدم المدينة. ومن هنا جاء الاختلاف بين هذه المصادر في ذكر سقوط القلعة .

أما المصادر الأجنبية فقد ذكر بعضها ٥ مارس/١٥ جمادى الأولى والبعض الآخر ٧ مارس / ١٧ جمادى الأولى. للمزيد عن ذلك أنظر : ابن عبد الظاهر الروض الزاهر، ص ٢٣٠ ـ ٢٣٤، بيبرس الداودار: زبدة الفكرة، جـ٩ ، لوحة ٩١، ابن ايبك : درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان ، جـ ٢٩ ورقة ٦٤ ، شافع بن علي : حسن المناقب ، لوحة ٦٥، العمري،مسالك الأبصار، جـ٢٧، ق ٤، لوحة ٣٢٨، ٣٢٩، ابن أبي الفضائل : النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، تحقيق بلوشية، باريس ١٩١١ ـ ١٩١٢، جـ١، ص ٤٧٤ ـ ٤٧٥، الكتبي : عيون التواريخ، جـ ٢ ، لوحة ٢٥٦، ابن دقماق : الجوهر الثمين، ورقة ١١٦، ابن الشحنة : روض المناظر، ورقة ١٦٠ ـ ١٦١، المقريزي السلوك، جـ١، ق٢، ص ٥٢٥ ـ ٥٢٦، العيني : عقد الجمان، لوحة ٥١٤، بامخرمة : قلادة النحر، ورقة ٣٧٤، ٣٧٥. وأيضا أنظر :

Estoire d'Eracles, P. 441; Annals de Terre Sainte, P. 452; Les Gestes des chiprois, P 758; Cf. also: Beyer, Das Gebiet Caesarea, PP. 4 - 5; LaMonte, Lords of Ceasarea, P. 159; Röhricht, Geschichte, PP. 925-6, n.5.

(٤١) المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٥٢٧.

(٤٢) أنظر اللوحتين رقم ٢ ، ٣ .

(٤٣) تمتع مقدم الداوية في عثليت بهذه الحقوق لأول مرة عام ١٢٥٠م/٦٤٧هـ ٦٤٨هـ، عندما ذكر أسمه بين سادة قيسارية وحيفا كشريك كامل، أنظر.

Beyer, Das Gebiet Caesarea, P. 64.

(٤٤) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٣٥، بيبرس الداوداري : زبدة الفكرة، جـ٩، لوحة ٩٢، العمري : مسالك الأبصار ، جـ٢٧، ق ٤ لوحة ٣٢٩، شافع ابن علي : حسن المناقب السرية ، لوحة ٦٥، المقريزي : السلوك ، جـ١، ق ٢، ص ٥٢٨ ـ ٥٢٩. وأيضا أنظر :

Estoire d'Eracles, P. 446. ; Annals de Terre Sainte, pp. 450 - 2, Cf. alsi . Röhricht, Études sur les derniers temps du royaume de jerusalem; Les combats du Sultan Bibars contre Les Chrétiens en Syrie (1261 - 1277), in A.O.L.t II PP 387-8; Stevenson; op. cit., p. 338; Runciman.

op. cit., Vol. III, PP. 317 - 19.

(٤٥) Rey, Les Familles, PP. 284-5;LaMonte, Lords of Caesarea, P. 159; Röhricht, Geschichte, P. 970 .

(٤٦) عن مواقع هذه الإقطاعيات انظر الملحق السادس فى آخر الكتاب والخريطة رقم ٣.

(٤٧) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٧٥، المقريزى : السلوك ، جـ١ ق٢، ص ٥٥٧، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة، جـ٧، ص ١٩٥ وأيضا أنظر :
Beyer, Das Gebiet Caesarea; PP. 41, 56 -7; Stevenson, op. cit., P. 339; Röhricht, Geschichte, p. 936.

(٤٧) Estoire d'Eracles, P. 450; Annals de Terre Sainte, P. 452.

(٤٩) Richard, op. cit., vol. II, P. 369.

(٥٠) Joinvillie, Memoris, PP. 524-28;Cf, also: Röhricht; Les combats du Sultan Bibars, P. 397; Runciman. op.cit., vol. III, pp. 291-2.

(٥١) تم الاتفاق على أن يقدم لويس مبلغ ٧٠ ألف جنيه فرنسى يتم تخصيص ٢٥ ألفا منها لأحد الأمراء، والباقى يحصل عليه ادوارد ، على أن يتم تسديد المبلغ على دفعات. كما تم الاتفاق على تجميع الحملة فى اجمورت ويقوم ادوارد بإرسال أحد أبنائه إلى لويس لكى يضمن وفاءه بالتعهد ، أنظر :
Röchricht; La Croisade du prince Édouard D;Angleterre, in, A.O.L., Vol. II, PP. 618 - 20.

(٥٢) تقع فى الجنوب الغربى لفرنسا، وبالتحديد غرب مرسيليا على البحر المتوسط. ولفظة Aigues Mortes مشتقة من اللاتينية وتعنى المياه الراكدة. أنظر :
Muir's Historical Atlas, Ancient Medieval Modern. London, 1976, P. 20.

(٥٣) Röhricht, La Croisade du prince Edouard, PP. 618 - 20.

(٥٤) LaMonte, Feudal Monarchy, PP. 156-7.

(٥٥) Annals de Terre Sainte, P. 455; Cf. also: Röhricht, La Croisade du prince Edouard, p. 620; idem, Geschichte, pp. 957 - 8; Duggan, op. cit., p. 264.

وأيضا : مصطفى الكنانى : المرجع السابق، الكتاب الثانى ، ص ٢٧٠.

(٥٦) جوزيف نسيم يوسف : دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى (الاسكندرية) ، ص ٤٨ - ٤٩.

(٥٧) Röhricht, op. cit., p. 620

(٥٨) أنظر ماسبق ص ٢٠٣ من الفصل الرابع عن موقع هذه القلعة .

(٥٩) النويرى : نهاية الارب ، جـ٢٨ ، ورقة ٥٥ ، ٥٦، المقريزى : السلوك ، جـ١، ق ٢، ص ٥٩٣، ٥٩٤، العينى : عقد الجمان، جـ٢١، لوحة ٢٤.

(٦٠) ذكر المقريزى أن الغارة على قاقون تمت «بمواعدة التتار» . أنظر السلوك، جـ١، ق٢، ص ٦٠٠.

(٦١) بيبرس الداودار : زبدة الفكرة ، جـ٩، لوحة ١٠٥، ابن ايبك: كنز الدرر ، جـ٨، ق٢، لوحة ١٤٨، ابن بهادر : فتوح النصر، ورقة ٢٦٦، المقريزى : السلوك ، جـ١، ق٢، ص٦٠١.

(٦٢) Estoire d'Eracles, P. 461; Annals de Terre Sainte, p. 456; Cf. also : Röhricht, Geschichte, PP. 962-3 ; Stevenson, op. cit., pp. 344-5.

(٦٣) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر، ص ٣٩٦، ٣٩٧، مفضل ابن أبى الفضائل : النهج السديد، ص ٥٤٦، ٥٤٧، الكتبى : عيون التواريخ. جـ٢، لوحة ٣٤٦ وأنظر :
Röhricht, La Croisade du prince Edourad, pp. 626-7, Richard, op. cit., vol. II. pp. 397 -8

(٦٤) كان ادوارد قد وطد العزم على العودة إلى الأراضى المقدسة مرة أخرى ، ولكنه عندما عاد إلى هناك رفضت البابوية أن تجدد منح ١/١٠ من عشور الكنائس لصالح صليبية جديدة ولعل هذا يوضح أيضا موقف البابوية من الفكرة الصليبية فى هذه الفترة وظل إدوارد يعمل على انقاذ الشرق اللاتينى ، ولكنه لم ينجح فى ذلك . أنظر.
Röhricht, op. cit., pp. 226 - 29.

(٦٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ٢، ص ١١٥٩.

(٦٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، جـ٧ ، تحقيق قسطنطين رزيق، بيروت ١٩٤٢، ص ٨٤. وكانت قيسارية الروم تكتب «قيصرية» أو «قيصرية كبادوكيا» تمييزا لها عن قيسارية فلسطين أو قيسارية الشام. أنظر الفصل الأول ص ٥٣ من هذا الكتاب.

(٦٧) المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ق٣، ص٦٨٥.

(٦٨) بيبرس الداوارد : زبدة الفكرة ، جـ٩ ، لوحة ١٧٩، النويرى : نهاية الارب ، جـ٢٩، ورقة ١٥، المقريزى : السلوك، جـ١ ، ق ٣، ص ٦٨٢، ٦٩١ - ٦٩٣.

(٦٩) المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ق٣، ٧١٣، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، جـ٧، ص١٦١، القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشا، القاهرة ١٩١٣، جـ١٤، ص ٥١ وما بعدها. راجع أيضا :

Beyer, Das Gebiet Caesarea, PP 65-66.

(۷) عن سقوط هذه المعاقل أنظر : بيبرس الداودار : زبدة الفكرة. جـ۹ ، لوحة ۲۸۹، ابن أيبك : كنز الدرر، جـ۸،ق۳ ، لوحة ۲۷۱ - ۲۷۳، ابن بهادر : فتوح النصر، ورقة ۳٦٥، المقريزى : السلوك ، جـ۱، ق ۳. ۷٦۳ - ۷٦٥، العينى : عقد الجمان، جـ۲۱، لوحة ۲۰، ۲۱، ابن الشحنة : روض المناظر ، لوحة ۱٦۲، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك، جـ۸، تحقيق د. قسنطنطين رزيق، ود . نجلاء عز الدين، بيروت ۱۹۳۹، ص ۱۱۳-۱۱. وأنظر أيضا :

Annals de Terre Sainte, PP. 460 1. Cf. also Richard, op. cit., Vol II, PP. 424 - 28; Runciman, op. cit., Vol. III, PP. 417 23 , Stevenson, op. cit., PP 352 55.

الخاتمة

- بعض جوانب العلاقات الأخري بين اقطاعية قيسارية وجيرانها المسلمين، وعلاقة سادتها بالمسلمين واليهود في داخلها.
- نظرة شاملة للقوي المتصارعة فوق رقعة الشرق الأدني ابان الفترة الزمنية موضوع البحث.
- تقييم قضايا البحث وأهم الآراء والاستنتاجات التى تم التوصل اليها.
- قيسارية بعد استرداد المماليك لها.

استعرضنا على مدى فصول الكتاب العلاقات السياسية بين اقطاعية قيسارية تحت حكم اللاتين لها وجيرانها المسلمين والتى كانت تتأرجح بين الحرب والسلام ، وأن كانت في أغلبها، تحمل صفة العداء. لقد ساهم سادة الاقطاعية بدور واضح فى هذه العلاقات من خلال الحروب التى شاركوا فيها أو السفارات التى اتجهت لعقد المعاهدات مع المسلمين، وذلك كممثلين لمملكة بيت المقدس الصليبية. ولم تقتصر هذه العلاقات على الجانب السياسى، بل امتدت الى النواحى الأخرى من اقتصادية واجتماعية وثقافية وغيرها. غير أن المصادر سواء أكانت عربية أم أجنبية، لاتمدنا بمعلومات تشفى الغليل فى هذا الخصوص. وإذا كانت هناك اشارات متناثرة هنا وهناك في بطون المنابع والأصول ، فهى تمثل النزر اليسير، وتحمل في معظمها صفة التعميم. ففى الناحية الاقتصادية ، مثلا، نجد أن قيسارية كانت لها شهرتها قبل استيلاء الصليبيين عليها. آية ذلك تلك الكميات الهائلة من الفلفل التى عثروا عليها فيها. وقد وصف أحد الحجاج المسيحيين. وهو فيتلوس Fetellus، والذى كان قد زار الأراضى المقدسة في الربع الأول من القرن الثانى عشر الميلادى/ أوائل القرن السادس الهجري، وصف المدينة بعد دخول الصليبيين فيها بقوله «وعند التجول في المدينة بين الحدائق وجدت كهوفاً صغيرة مشيدة من الحجارة، حيث اختلطت التوابل برماد النيران».[١].

وعندما مر فوشيه أوف شارتر بقيسارية بصحبة بلدوين الأول ، قبل أن يصبح الأخير ملكا على بيت المقدس، وأشار الى شهرتها فى انتاج الخبز الأبيض من القمح الذي كان يزرع فى أراضيها الخصبة.[٢] كما اشتهرت بالموالح، وأشار الى ذلك ابن واصل عندما كان يصف هجوم المعظم عيسي صاحب دمشق عليها. قال : « وأغاروا على قيسارية من الساحل، وكانت يومئذ بيد الفرنج، فأسرعوا وقتلوا وعادوا مظفرين منصورين، ومعهم من ثمار قيسارية أترج كثيرة وليمون»[٣] . كذلك كان للمدينة شهرتها وبخاصة التين.[٤] كما وردت اشارات في الوثائق الصليبية عن السوق Funda والمحلات التى كانت تابعة للصليبيين من سكانها، أو

للجماعات الرهبانية العسكرية.[٥] هذه هي بعض الاشارات التي وردت عن أهمية قيسارية من الناحية الاقتصادية، ولاشك انها لم تكن تصل إلى مكانة يافا الواقعة إلى الجنوب منها أو عكا وصور في شمالها. ولعل عدم وجود ميناء صالح لرسو السفن حتي الربع الأول من القرن الثالث عشر الميلادي/ الربع الأول من القرن السابع الهجري، يفسر لنا عدم تمتعها بنفس المكانة التي تمتعت بها المدن الأخرى. لذا فان العلاقات الاقتصادية بينها وبين جيرانها المسلمين لم تكن على نطاق واسع مثل بقية المدن الصليبية الهامة. وفيما يتعلق بالعلاقات الاجتماعية والثقافية بين قيسارية وجيرانها المسلمين، فقد اغفلتها المصادر تماما.

ومع ذلك كانت هناك علاقات من نوع آخر داخل الاقطاعية ذاتها. فقد ضمت نوعيات سكانية مختلفة وهي : الصليبيون القادمون من الغرب وكانوا هم السادة بطبيعة الحال، والمسلمون، واليهود. أما فيما يتعلق بالصليبيين من سكان الاقطاعية، فقد اتخذ سيدها مقرا حصينا لاقامته، ثم انتقل الي القلعة بعد انشائها في القرن الثالث عشر الميلادى/ السابع الهجرى. وكان من حقه اصدار العملة. كما عثر على عدة خواتم تحمل شعار بعض سادتها، وكان بلاط قيسارية يماثل بلاط بيت المقدس اللاتيني. وقد احتفظت لنا الوثائق بأسماء العديد من موظفيه، والذين كانوا مكلفين بتنفيذ أوامر سيدها، ومراقبة النواحي المالية.[٦] أما من الناحية الادارية فقد تم تقسيم الاقطاعية الى أربعة أقسام هي : قيسارية، المركز الرئيسى، وقلنسوة فى القسم الجنوبى، وقاقون فى القسم الأوسط، ودور أو مرل Merle نسبة إلى الأسرة التى كانت تقيم فيها فى القسم الشمالى. ثم أضيفت قلعة الحجاج أو عثليت التى أصبحت تابعة للداوية.[٧] كما أقامت عائلات صليبية بأكملها فى القلاع والحصون المنتشرة فى طول الاقطاعية وعرضها.[٨] وكانت مهمتها هى ضمان السيطرة على الريف الذي كان يقطنه المسلمون، وللسيطرة على الطرق التى كانت تمر فيها.[٩]

كذلك احتفظ الجنوية بجانب من المدينة، وذلك حسبما كان يقضى الاتفاق المعقود مع الملك بلدوين الزول. كما كانت لهم كنيسة عرفت باسم كنيسة القديس

لورنزو، وشارع تجاري.[١٠] ولكن قيسارية لم تجذب اهتمامهم بالقدر الذى اجتذبته المدن الأخرى. وبخاصة الكبرى. ومع ذلك فقد شاركوا في الدفاع عنها عندما تعرضت للهجوم من جانب المعظم عيسى.[١١] كما كان للداوية والاسبتارية بعض القلاع والأبراج ومساحات من الأراضى في الاقطاعية. وقد حصلوا عليها اما عن طريق الهبات أو الشراء من سادتها.[١٢].

أما العنصر الثانى من عناصر السكان فى قيسارية، فهم المسلمون، وكانوا هم أصحاب البلاد الأصليين، ولكنهم انتقلوا الى الريف بعد سقوط قيسارية في قبضة الصليبيين. ولما كانت الزراعة في الإقطاعية تمثل جانبا هاما من الموارد الاقتصادية فيها، فقد أصبح للمسلمين وضعهم المتميز. وقد أوضح ابن جبير العلاقة التى كانت قائمة بين الجانبين وعلى الرغم من أنه لم يزر المدينة، الا أنه ذكر أن ذلك انما كان يسري على كل المدن الخاضعة للصليبيين. فقال انه كان علي السكان المسلمين التابعين للصليبيين أن يقوموا بتقديم نصف المحصول عند ضمه، وجزية على كل رأس وخمسة قراريط، كما كانت هناك ضريبة تحصل علي ثمار الأشجار بكافة أنواعها.[١٣] أما عن شئون الحياة اليومية مثل الميراث والزواج والطلاق وغيرها، فقد ترك الصليبيون للمسلمين حرية تصريف هذه النواحي. كما كانت العلاقات التجارية تتم بين الجانبين في أوقات السلم والحرب أيضا. وكثيرا ماتضمنت المعاهدات بينهما ـ وخصوصا فى القرن الثالث عشر الميلادى / القرن السابع الهجري، بنودا لصالح التجارة وحقوق التجار وتوفير الضمانات اللازمة لهم وتأمين خطوط سير القوافل التجارية وغيرها.[١٤] وكانت العلاقة بين هؤلاء السكان المسلمين وبين الصليبيين علاقة تبعية وخضوع. وعندما كانت قيسارية تتعرض للهجوم من جانب المسلمين، كان هؤلاء السكان يتخذون أحيانا موقفا سلبيا ، أو ينضمون الي جانب المهاجمين المسلمين.[١٥] أما العنصر الثالث من السكان في الاقطاعية فهو اليهود. وعلى الرغم من انهم كانت لديهم قوانينهم الخاصة بهم، إلا أنهم أجبروا على دفع ضريبة الرأس ـ مثل المسلمين ـ ، وقد فرضت على كل يهودي تعدى الخامسة عشر من عمره. وبلغ متوسط عدد العائلات اليهودية في قيسارية

حوالي ثلاثمائة.(١٦)

تلك هى الأهمية التى تمتعت بها قيسارية فى ظل الحكم اللاتينى لها، والعناصر السكانية التى اشتملت عليها. وإذا أردنا أن نقيم محصلة العلاقات السياسية بين قيسارية وجيرانها المسلمين خلال المائة والأربعة والستين عاما التى تراوحت فيها المدينة مابين الصليبيين والمسلمين، فاننا نجد أنها اتسمت بالعداء الشديد بين الجانبين حسبما أسلفنا كما ساهم سادتها فى التوصل الي بعض الاتفاقيات بين طرفى الصراع الصليبى والاسلامى مثال ذلك دور هيو سيد قيسارية في المعاهدة التى عقدت مع الفاطميين فى عام ١١٦٧م/٥٦٢هـ. وقد أمد هيو المؤرخ وليم الصوري بالكثير من التفاصيل عن وصف قصر الفواطم وخليفتهم، كما زوده بتفاصيل حملة عام ١١٦٧م/٥٦٢هـ التى قام بها عمورى ضد مصر.وكان هيو شاهد عيان لكل ماجري فى هذه الحملة بل أنه وقع في أسر المسلمين.(١٧) كما حاول شخص آخر أسمته المصادر العربية بـ «وزير قيسارية» ان يتفاوض مع المماليك في عام ٦٦١هـ/١٢٦٣م بشأن التوصل الى اتفاق. ولكنها للأسف لم تذكر لنا اسم هذا الشخص.(١٨) وثمة مسألة هامة يجب توضيحها، وهي أن هذه العلاقات السياسية كانت تتم فى اطار مملكة بيت المقدس الصليبية باعتبار قيسارية تحت حكم اللاتين أحد توابعها. ولكن كان على الاقطاعية، فى بعض الأحايين، أن ترد بنفسها بعض الاغارات التى تعرضت لها من جانب المسلمين في القرن الثالث عشر الميلادى/ القرن السابع الهجري.

وقد اتضح بجلاء مدي توافق دور قيسارية مع كفتى الميزان فى الصراع بين الجانبين الاسلامي والصليبى. ففي الفترة الأولى من الحكم الصليبى لها، والتي استمرت حوالي ستة وثمانين عاما، اتخذت الاقطاعية فى هذه المرحلة دورا هجوميا. وساعدها على ذلك التفوق في الصراع لصالح الصليبيين فبينما كان مركز الثقل يميل بقوة الي جانبهم. وشارك روساء أساقفتها وسادتها فى الحملات على شمال بلاد الشام أو دمشق. بل انهم شاركوا أيضا فى حملات الملك عمورى على مصر. ولكن الميزان بدأ يميل لصالح المسلمين وذلك عندما بدأت حركة الافاقة

الاسلامية على يد عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود. ثم تمكن صلاح الدين من أن يجعل الميزان يميل بقوة لصالح المسلمين. ونتيجة لذلك سقطت قيسارية وتوابعها في قبضته. وظلت حوالي أربع سنوات الى ان تمكن الصليبيون من استعادتها مرة ثانية. وفي خلال الفترة الثانية من الحكم الصليبى لها بدت السياسة التي تتبعها مغايرة عما كانت عليه في الفترة الأولى. لقد تراوحت هذه المرة مابين سياسة الهجوم تارة والتزام الجانب الدفاعي تارة أخرى. ويكشف عن ذلك المرات العديدة التي جري فيها تحصينها . وكان مركز الثقل يتأرجح بين الصليبيين والمسلمين وفقا لمقتضيات الظروف والأحوال لدى كل منهما. ولكن الميزان سرعان ماتحول بشكل نهائى وحاسم لصالح المماليك وكانت قيسارية أولى الاقطاعيات الصليبية التى تمكن بيبرس من استردادها.

وعلي امتداد فصول الكتاب الخمسة، طرحنا العديد من التساؤلات التى فرضت نفسها ملحة في طلب الاجابة عليها في ضوء ماورد في مصادر البحث وأصوله. ونخص بالذكر وضع المدينة أثناء الصراع بين السلاجقة والفاطميين، وهل ظلت تابعة للدولة الفاطمية أم أن السلاجقة تمكنوا من فرض نفوذهم عليها. كما كان لزاما علينا أن نجد اجابة عن متي حصل يوستاش جارنييه - أول سادة الاقطاعية - على اقطاعيته وما هى علاقته بالمملكة الصليبية في بيت المقدس. كما أن التساؤل الذى كان يفرض نفسه دائما هو : هل اشترك سادة قيسارية في الأحداث التى كانت تجرى فوق رقعة الشرق الأدنى. ولماذا أحجموا في بعض الأحيان. وغير ذلك من التساؤلات التى ثارت علي مدى فصول الكتاب. ومن بين النتائج التي أمكن التوصل اليها أن قيسارية ظلت تابعة للفاطميين خلال الصراع الذي دار مع السلاجقة في جنوب بلاد الشام. ولكنها تمتعت باستقلال شبه ذاتى مما أتاح لها ثراء واسعا. كما أمكن التوصل الى تحديد تاريخ حصول يوستاش جارنييه عليها كاقطاعية من بلدوين الأول ملك بيت المقدس الصليبى. لالإضافة إلى انها لم تتعرض خلال الفترة الأولى من الحكم الصليبى لها حتى استرداد صلاح الدين لها إلا لاغارة واحدة من فرسان حامية عسقلان. أما الفصل الثانى فقد

وضح دور رؤساء أساقفتها، وهو دور آخر يضاف الى ماقام به سادتها فى العلاقات السياسية مع المسلمين. كما وضح الدور الذي قام به بعض سادة قيسارية في المعارك ضد المسلمين، مثل الدور الذى قام به صاحبها هيو في حملات الملك الصليبى عمورى علي مصر والتسابق الذي تم بينه وبين أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبى على امتلاكها. ومن بين النتائج الهامة أيضا علي امتداد فصول الكتاب أن العلاقة بين سادة الاقطاعية وملوك بيت المقدس اللاتين كان لها انعكاسها علي مشاركتهم في أحداث المملكة الصليبية. فعندما تكون العلاقة وثيقة نجد مشاركة فعالة من جانبهم في هذه الأحداث، ويظهر ذلك من خلال توقيعاتهم المتكررة على الوثائق الصليبية. أما اذا كانت العلاقة تشوبها أية شوائب فلانجد ظهورا لهؤلاء السادة بصفة كثيرة. كما أن ترتيب توقيعه على الوثائق يوضح مكانته بين أقرانه الآخرين من السادة الاقطاعيين في المملكة.

ومن بين نتائج الفصل الثالث التحديد الزمنى لفترة استرداد صلاح الدين لقيسارية، وهي الفترة التى امتدت أربع سنوات (١١٨٧ ـ ١١٩١م / ٥٨٣ ـ ٥٨٧هـ). وكذلك حصول جودفرى لوزنيان شقيق الملك جاى لوزنيان على قيسارية، وحق وراثتها لأبنائه من بعده شريطة تقديم ماعليها من التزامات للملك الصليبى. ولكن الظروف سرعان ماتبدلت، فلم يستمر جاى لوزنيان في المملكة الصليبية الاسمية وانما انتقل الي جزيرة قبرص حيث جرى تعويضه بالجزيرة بدلا من المملكة الصليبية في عكا. وتمكنت جوليانا الوريثة الشرعية للاقطاعية من استردادها بعد أن لجأت الى صلاح الدين الأيوبى. كذلك، فقد استمرت أسرة يوستاش جارنييه تحكم الاقطاعية، ولكن هذا الحق آل إلي الاناث من أفرادها بعد أن مات جوتييه الثانى دون أن يترك وريثا من بعده.

أما الفصل الرابع فقد أشرنا إلى النتائج التى ترتبت على انشاء قلعة قيسارية، ومحاولة تحديد تاريخ الهجوم الذي تعرضت له من قبل المعظم عيسى صاحب دمشق، والذى ثار حوله الكثير من الجدل والخلاف. كما أبرزنا تفسيرا لتضاؤل دور قيسارية خلال هذه المرحلة الثانية من الحكم الصليبى لها في العلاقات

الصليبية الاسلامية. وذلك لانشغال سادتها بما حصلوا عليه من اقطاعيات في قبرص، والصراعات الداخلية في المجتمع الصليبي والتي كثيرا ماكانوا طرفا فيها.

وفي الفصل الخامس والأخير من الكتاب حاولنا تتبع مراحل العلاقات بين المماليك والاقطاعية وبخاصة في الفترة التى سبقت استردادها ببضع سنوات. وأمكن تحديد بعض بنود معاهدة عام ٦٥٩هـ/١٢٦١م بين الظاهر بيبرس والصليبيين والتى أستقيناها من مختلف المصادر العربية. ومن بين النتائج التى كشفت عنها هذه الدراسة، هى ان سقوط قيسارية كانت له نتائجه الخطيرة علي الصليبيين فى بقايا مملكة بيت المقدس وعلي بقية الامارات والمعاقل الصليبية الأخري فى الشام . فقد أصبح فى مقدور الظاهر بيبرس أن يتحرك فى سهولة إلى شمال بلاد الشام ويمنع أيه امدادات قد تصل إلى يافا التى أصبحت محاصرة من الشمال والجنوب بقواته. وكذلك حلت قاقون بعد أن تم تحصينها محل قيسارية التي خربت. وحاول الأمير ادوارد الانجليزى استردادها في عام ١٢٧١م/ ٦٧٠هـ، ولكنه فشل في ذلك.

أما عن قيسارية خلال تبعيتها للمماليك، فقد تدهورت ولم تعد مدينة مزدهرة مثلما كانت فى الفترات السابقة سواء في العصر الروماني أو البيزنطى أو الاسلامي أو الصليبي. فقد حلت قاقون محلها، وظلت المنطقة المحيطة بها تابعة لسلاطين المماليك الذين جعلوا منها مراعي لدواب وخيول الجيش المملوكى عندما كان يخرج من مصر الى بلاد الشام . وكثيرا ماعسكر الظاهر بيبرس فى المنطقة مابين أرسوف وقيسارية.(١٩) وعلى الرغم من سقوط عكا فى قبضة المماليك فى عام ١٢٩١م/ ٦٩٠هـ، فان ذلك لم يعن انتهاء الحروب الصليبية، إذ أخذ الدعاة فى الغرب الأوروبى يحاولون احياءها مرة ثانية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين/ القرنين الثامن والتاسع الهجريين. وكانت الدعوة هذه المرة لا تعتمد علي الخطب البليغة المؤثرة في جموع الصليبيين، وانما كانت على شكل مؤلفات وكتب ومذكرات أرسلت الى الباباوات والأمراء والملوك الأوروبيين لشرح الحملة. والدعوة لها، ،خطة تمويلها، وخط سيرها، وهدفها ، والطرق المقترحة،

وغير ذلك من الآراء والأفكار. وتضمنت مؤلفات الدعاة من أمثال بطرس ديبوا Pierre Dubois ، ورامون لال Ramon Lull وبيركارد من جبل صهيون Burcard of Mount Sion ، وبطرس دى توما Pierre de Thomas ، وفليب دى مزيير Phillipe de Mézicre وهمبرت أوف رومانز Humbert fo Romans ، الأفكار السابقة.(٢٠)

على أية حال، كانت جزيرة قبرص، بما تمثله من موقع فريد في مواجهة ساحل الشام، وبما كان لملوكها من دور أثناء الحروب الصليبية، الملجأ الذى اتجه اليه الصليبيون بعد سقوط عكا فى قبضة المماليك . وظهرت الفكرة الصليبية مرة أخرى تراود بطرس الأول لوزنيان ملك قبرص اللاتينى (١٣٥٩ - ١٣٦٥م - ٧٦١ -٧٦٧هـ) لتوجيه حملة صليبية. وبالفعل تم اختيار الاسكندرية لكى تكون هدفا للحملة . ولسنا هنا بصدد الدخول فى تفاصيلها، ولكن يهمنا ماترتب عليها من نتائج. فقد ظهر لقب «سيد قيسارية» مرة أخرى بعد أن كان آخر من حمله هو توماس أليمان فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى / أواخر القرن السابع الهجرى. ولكن هذه المرة لن يكن سادتها السابقون هم حملته، بل كانت أسرة أخرى جديدة. وكان أول من ظهر يحمل هذا اللقب هو جان دى نيفيليه Jean de Nevilles فى عام ١٣٨٤م/٧٨٦هـ. كما ورد جان جوارب Hean Gorap وهو يحمل نفس اللقب فى أكتوبر ١٣٨٩م/شوال ٧٩١هـ، وذلك ضمن الاتفاقية المعقودة بين قبرص والبندقية. كما وردت اشارة أخرى من شخص يحمل لقب «سيد قيسارية»، وذلك فى عام ١٤٣٢م/ ٨٣٥ - ٨٣٦هـ.(٢١) وواضح أن اللقب كان لقبا اسميا فقط دون أن تكون قيسارية آنذاك تابعة لقبرص، وربما كان لذلك دلاته في أن الصليبيين كانوا يأملون العودة مرة ثانية، ولكن حلمهم لم يتحقق.

على أيه حال، لقد أخذت المدينة فى التدهور بعد استرداد المماليك لها، ووصفها القرماني بانها «مدينة جليلة على ساحل بحر الشام، كانت من أمهات المدن العظام، والآن خراب وبها مرسى صغير يسع مركبا واحدا ... ذكر الشيخ محيى الدين مررت بقيسارية عام ٨٤٠هـ (١٤٣٦م) فوجدت مكتوبا على حايط بها هذه الأبيات :

هذه بليدة قضى الله ياصاح		من كان بها من شيوخ وشباب
عليها كما تـرى بالخـراب		واعتبر أن رحلت يوما اليها »[٢٢]

واستخدمت أحجار المدينة في بناء المدن المجاورة مثل عكا، ومسجدها الذى عرف باسم مسجد الجزار.[٢٣] وهكذا يسدل الستار على صفحة في تاريخ تلك المدينة التى كان لها شأنها في العصور التاريخية المختلفة، وبصفة خاصة في عصر الحروب الصليبية.

(١) Fetellus, Description of jerusalem and the Holy Land, p. 84.

(٢) Fulcher of Chartres, op. cit., P. 131.

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص ٢١٧.

(٤) Prawer, op. cit., PP. 358 - 61.

(٥) Benvenisti, op. cit., pp. 144 - 5.

(٦) من أمثلة هؤلاء الموظفين : جوتييه ، وريتشارد كونت قيسارية، وجريفيبه الفيكونت ، وهيو المستشار "Senecalcus" وسيبو فيكونت قيسارية . أنظر :

LaMonte, Lords of Ceasarea, PP. 159 - 60; Rey, Les Familles, PP. 284 - 5.

(٧) Beyer, DasGebiet Caesarea, P. 68.

(٨) من أمثلة هذه القلاع أليمان ، والسيد املريك، والسيد الجلبرت، كذلك عرفت دور باسم مرل Merle نسبة الى الأسرة التى كانت تقطنها وكانت تعرف بهذا الأسم . أنظر الملحق السادس من هذا الكتاب.

(٩) وجد نوعان من الطريق يمران عبر قيسارية. الأول وهو الطريق الرئيسي الذى يعرف باسم «طريق البحر Via Maritima وكان يمتد من أقصى الشمال من انطاكية الى مصر جنوبا. وكان قسم منه يمر عبر قيسارية. أما النوع الآخر فهو الطرق الداخلية. وكانت قاقون مركزا لتجمع عدد كبير منها حيث كانت تتفرغعأما الى نابلس أو الرملة أو غيرها من المدن الداخلية.

Cf. Benvenisti, op. cit., PP. 309 - 11

(١٠) أنظر الفصل الأول ، ص ٨٣

(١١) أنظر الفصل الرابع ، ص ١٨٦ ـ ١٨٨

(١٢) أنظر الفصل الرابع ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١

(١٣) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، بيروت (بدون تاريخ) ، ص ٢١٠ ، ٢١١.

(١٤) من أمثلة هذه المعاهدات المعاهدة التى عقدت بين المنصور قلاوون والصليبيين فى عام ١٢٨٣م/٦٨٢هـ. أنظر النص الكامل للمعاهدة فى أسامة زيد : صيدا ، الملحق الخامس، ص ٢٩٣ ـ ٣٠١.

(١٥) Smail, op. cit., p. 66.

(١٦) Röhricht, Regesta, doc. 1114, Benvenisti, op. cit., P. 18; Prawer, op.

cit., PP. 58 - 9; Richard, op. cit., Vol. I. P. 135; Conder, op. cit., P. 248.

(١٧) انظر الفصل الثانى ص ١٣٢

(١٨) انظر الفصل الخامس ص ٢٣١.

(١٩) أنظر الفصل الخامس من الرسالة ص . ٢٤.

(٢٠) جوزيف نسيم يوسف : دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، الأسكندرية ، ص ٤٦ والمؤلف القيم للدكتور عزيز سوريال عطية. أنظر : Atiya, op. cit.

(٢١) Rey, Les Famillies d'Outre-Mer, Les Seigneurs Titulaires de Césaré, p. 287.

(٢٢) القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول ، لوحة ١٥٧.

البيتان بهما اضطراب فى الترتيب ، ومن المرجح أن صحتهما :

هذه بليدة قضى الله ياصـــا ح عليها كمـــا ترى بالخـــراب

واعتبر ان رحلت اليهــــــا من كان بها من شيوخ وشباب

(٢٣) مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلطسين ، جـ١ ، ق ١ ص ١٤٦.

الملاحق

الملحق الأول : وصف المؤرخ اللاتيني البرت دكس للإغارة التي تعرضت لها قيسارية من قبل حامية عسقلان الفاطمية في عام ١١٠٤م/ ٤٩٧هـ. نقلا عن :

Albert d'Aix, Historia Hierosolymitana, in R.H.C. - H. Occ. IV. Paris ; 1879. PP. 608 - 9.

الملحق الثاني : وصف إغارة المعظم عيسى صاحب دمشق على قيسارية في ظل حكم اللاتين لها، أثناء الحملة الصليبية الخامسة على مصر (١٢١٨ - ١٢٢١م/ ٦١٥ - ٦١٨هـ) نقلا عن :

L' Estoire d'Eracles Empereur et la conqueste de la Terre d'Outremer., in R.H.C. - H. Occ. Vol. II., Paris; 1859, P. 334.

الملحق الثالث : نص المؤرخ العيني عن مهاجمة الظاهر بيبرس لقيسارية في ٩ جمادي الأولى ٦٦٣هـ/ ٢٧ فبراير ١٢٦٥م. ونجاحه في استردادها من الصليبيين. نقلا عن العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، مخطوط، جـ ١٨ ، مجلد ٥٤، لوحة ٥١٤ - ٥١٥.

الملحق الرابع : أسماء سادة قيسارية وتسلسل نسبهم. نقلا عن :

LaMonte, J.Lords of Caesarea, P. 145 f.; H-Hazard, Caesared and the Crusades, pp. 93 - 4.

الملحق الخامس : اسماء رؤساء أساقفة قيسارية . نقلا عن :

Rey, Les Familles d'Outre - Mer de Du Cange, paris, 1869, PP. 757 - 9.; Hasard, op. cit, p. 89.

الملحق السادس : أ ـ توزيع اقطاعية قيسارية أثناد تبعيتها للاتين، نقلا عن :

Beyer, G., Das Gebiet Caesarea, in Z D P V, 1936, PP. 5 ff.

ب ـ التوابع الأخرى التى وردت في مرسوم التمليك الذى أصدره الظاهر بيبرس لحصر هذه التوابع، مع عقد مقارنة لأسمائها من واقع خمسة من المصادر العربية الخطية والمطبوعة.

تتصل هذه الملاحق الستة اتصالا وثيقا بموضوع البحث، وتسلط الأضواء على العديد من مغاليقه وخباياه ، أو تكشف الغموض عن بعض قضاياه بمزيد من التفاصيل. والملحق الأول نص مأخوذ من كتاب البرت دكس المعنون « تاريخ بيت المقدس» والذى قمنا بنقله للمرة الأولى من اللاتينية الى اللغة العربية. وهو يزودنا بتفصيلات المحاولة الوحيدة التى قامت بها حامية عسقلان الفاطمية لمهاجمة قيسارية بعد استيلاء الصليبيين عليها بحوالي ثلاث سنوات، وحتى نجاح صلاح الدين الأيوبى في استردادها في عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ. وتتمثل أهمية هذا النص في أن المؤرخ اللاتينى البرت دكس هو الوحيد الذى انفرد بذكر هذه الحادثة دون غيره من المؤرخين اللاتين. فقد كانت الأخبار تصل إليه عن طريق الصليبيين العائدين الى أوروبا مما أتاح له تسجيل بعض الوقائع التى لم يعن المؤرخون الذين كانوا فى الشرق اللاتينى آنذاك بتسجيلها.

أما الملحق الثانى فهو نص مقتبس من تاريخ هرقل ويتناول بعض تفاصيل هجوم المعظم عيسى صاحب دمشق على قيسارية، ولم يتضمن تحديد تاريخ هذا الهجوم، وان كان قد ذكره أنه جرى أثناء عبور الصليبيين البحر المتوسط متجهين لحصار دمياط. مما يعنى انه كان في عام ١٢١٨م/٦١٥هـ. وقد قمنا بنقله ، هو الآخر ، من لغته الأصلية وهى الفرنسية القديمة الى اللغة العربية. وقد سبق مناقشة آراء المؤرخين من قدامى وحديثين، حول تحديد تاريخ هذه الاغارة على المدينة وذلك في الفصل الرابع من هذا الكتاب. ولكن اذا عقدنا مقارنة بين الملحقين الأول والثانى يتضح مدى التغير الذى حدث فى ميزان القوى فى الصراع بين المسلمين والصليبيين. ففى الهجوم الذي قام به المعظم على قيسارية تمكن من الوصول الى المدينة نفسها ومهاجمتها وتخريبها. أما فى الاغارة الأولى فلم يصل فرسان حامية عسقلان إلا إلى أسوار المدنية فقط. وعادوا محملين بالغنائم والمواشى فقط، بل أن بلدوين استردها منهم.

ويتناول الملحق الثالث وصف المؤرخ بدر الدين العينى لاسترداد الظاهر بيبرس مدينة قيسارية وتوابعها. وهو ينشر لأول مرة من مخطوطه «عقد الجمان في

تاريخ أهل الزمان» وقد أضفنا إليه بعض التصويبات والتفسيرات فى الحواشى.

أما الملحقان الرابع والخامس فيتناولان أسماء سادة ورؤساء أساقفة قيسارية وقد سبق لجون لامونت J. Lamonte نشر أسماء سادة قيسارية، ولكننا استكملنا بعض الأسماء لتصبح القائمة كاملة. كما حرصنا على اثبات تاريخ حكم كل منهم بالتقويمين الهجري والميلادى، وقد راعينا ترتيب أسماء رؤساء الأساقفة ترتيبا زمنيا على الرغم من عدم معرفة رئاسة كل منهم للأسقفية على وجه التحديد.

وأخيرا، يتناول الملحق السادس قائمة بتوابع قيسارية من خلال مقالة للكاتب الألماني جوستاف باير G. Beyer، والتى حصرها من مختلف المصادر الصليبية. كما رتبنا هذه التوابع في الملحق بناء على موقعها الجغرافى من الشمال الى الجنوب في الاقطاعية، وكما هو وارد فى الخريطة المرفقة. أما فيما يتعلق بأسماء توابع الاقطاعية التى وردت في مرسوم التمليك الذي أصدره الظاهر بيبرس بعد استرداد قيسارية، فقد قمنا بعمل مقارنة لها من واقع خمسة من المصادر العربية هى مؤلفات ابن ايبك «كنز الدرر وجامع الغرر» وشافع بن على «حسن المناقب السرية» وابن ابى الفضائل «النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد» والمقريزى «السلوك» والعينى «عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان» وقد أوردناها حسب ترتيبها في المرسوم. كما حاولنا جاهدين التوصل الى الأسماء الصحيحة لهذه التوابع من خلال مقارنة هذه النصوص بعضها البعض.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصف المؤرخ اللاتيني البرت دكس للاغارة التي تعرضت لها قيسارية من قبل حامية عسقلان الفاطمية في عام ١١٠٤م/٤٩٧هـ. نقلا عن :

Albert d' Aix, Historia Hierosolymitana, in R.H. C. - H. Occ. Vol. IV. PP. 608 - 9.

النص اللاتيني :

De sexaginta Arabitis, Urbem Caesaream depraedantibus, quos Baldewinus rex superavit.

Abhinc diebus septem vix evolutis, sexaginta Arabitae viri militares, nomen pariter gloriae et victoriae aliquo insigni facto sibi asquirere volentes, iter moverunt versus civitatem Caesaream in die natalis apostoli et evangelistae Matthaei. Si forte illis occurrerent aligui incauti ex Christianis. Sed nemine illis obviam facto, praedam boum oviumque Christianorum ante urbis moenia in pascuis repertam abduxerunt, ut vel hac occasione Chrisiani ab urbe egressi, et insequentes, ex hostill industria punirentur. Hance itaque praedam abducentibus, Christiani cives urbis Caesareae ira commoti, ab urbe ferme ducenti sunt progressi cum solo equite, qui diu etiam febre correptus, vehementer elanguit, et adhuc parum asnitatis recuperaverat, ac milites Arabitas in arcu, sagitta et lances longius sunt persecuti, ut praedam excuterent et reducerent. Econtra Arabitae, fortiter repugnantes ac praedam abducentes, pedites Christianos saepius in fugam remittebant; quin etiam equitem adhuc languidum, proximo cursu equi nimium eos urgentem, peremerunt, ipsius capite amputato et secum deportato in sacculis armigerorum suorum, in quibus equorum pabula ferre consueverant. Nec mora,

regi Baldewino, Japhet, Vel Joppe, commoranti, divulgatum est quoniam Ascalonitae milites sexaginta Caesaream depraedandi causa divertissent. Qui solum quadraginta equites secum habens, divisit eosdem per decem, ac direxit eos per montana, universas semitas praevonire per quas eos sperabat reversuros. Ipse quidem, decem assumptis, recto tramite quo ab Joppe itur Caesaream est profectus, si forte sibi obvenirent praefati sexaginta milites, ut eis malum quod fecerant Caesareae digna vice possent rependere. Igitur, dum plerumque itineris Rex et sui peregissent in armis et lorica, armigeri et servi Arabitarum, praemissi cum praeda et capite christiani militis, Rege nescio ac Regis nescii, obviam facti sunt; a long subsequebantur. Rex autem suigque, armigeros apprehendentes ac consulentes unde illis iter sit, sarcinas quoque eorum aperientes, in sacco unius illorum caput christiani militis invenerunt, Quo viso et cognito, Ascalonitarum crudelitas propalata est. Rex statim apprehensos armigeros coegit minis et terroribus suppliciorum ut omnem rem gestam aperirent : quod si nollent, capitali sententia universos comminatus est ibidem punire. Qui ilico professi sunt dominos suos subsequi eodem itinere quo et ipsi venerant, ac per montana Japhet reditum suum constituisse. Rex, hoc audito, protinus obducto pectori clipeo et hasta arrepta, cum decem sociis via cepta ac nimium festinata, in hostes tetendit, metuens ne forte aliqua fama declinarent ab hac via.

Nec multo abhinc spatio sexaginta Arabitae appropinquantes, super Regem et suos incaute irruerunt, Regem nequaquam aut aliquas illic insidias suapicantes. His etenim inter manus Regis tam incaute oblatis, Rex fortiter tundens latera equi, suique non minus tundentes, viros subito clamore aggressi ac impetu, per medios irruperunt, alios lancea perforantes, alios ab equis deicientes, et non parce in caede illorum gladio saevientes. Tandem omni virtute Rege invalescente,et Arabitas ut stipulam penetranteac ac dispergente, hostes, ultra pondus certaminis sustinere non valentes, terga

verterunt. De quibus decem capti et retenti sunt, absque his qui armis interierunt. Equi etiam illorum non minus quadraginta capti sunt, quin arma et spolia eorum, cum quibus Rex Joppem in gloria magna et ultione sui militis decollati reversus est.

الترجمة العربية

ستون عربيا يهاجمون قيسارية، وانتصار بلدوين (الأول) عليهم.

بعد مرور سبعة أيام ، تحرك ستون عربيا من الفرسان، يحدوهم الأمل في تحقيق المجد والنصر ، نحو مدينة قيسارية وذلك في عيد الرسول متى الانجيلي.[٢] واندفعوا يهاجمون أولئك المسيحيين فجأة وعلي غرة. وتمكنوا من أخذ غنيمة من الثيران والأبقار الخاصة بالمسيحيين، والتى كانت ترعى أمام أسوار المدينة . وانطلق المسيحيون في إثرهم لكى يستردوا منهم الثيران والأبقار، ومعاقبتهم على فعلتهم هذه. وبينما كان الفرسان يقتادون الغنيمة، واستبد الغضب بالمواطنين في قيسارية. فخرج مائتان من أهالى المدينة ومعهم فارس واحد كان مصابا بالحمى مما أدى إلى ضعفه.[٣] وعندما شعر بتحسن طفيف في صحته، خرج ومعه الجنود لمطاردة الفرسان المسلمين. واستطاعوا استرداد الغنائم التي حصل عليها هؤلاء الفرسان. ولكن الفرسان المسلمين أعادوا الكرَّة ، مرة أخرى ، واستولوا على الغنائم ثانية ،أرغموا مشاة المسيحيين علي الفرار. وشددوا حملتهم حتى أنهم لم يرحموا الفارس المريض الذى أخذ يناضل ويقاوم بشدة. ولكنهم ضربوا عنقه وحملوا رأسه معهم فى أحدى الحقائب التى اعتادوا أن يضعوا

---

(١) تعرض الملك بلدوين الأول فى عام ١١٠٣م/٤٩٦هـ لهجوم من جانب المسلمين وذلك أثناء عودته من مهاجمة عكا. وأصيب اصابة خطيرة كادت تودى بحياته . ولكنه تعافى بعد ذلك بعدة شهور، وقام بمهاجمة المسلمين الذين كانوا يقطنون شمال قيسارية. وقد أشار كل من فوشيه أوف شارتر ووليم الصورى إلى هذه الحادثة. أما البرت اكس فقد ذكر أن هؤلاء الذين هاجموا الملك عند قيسارية كان يبلغ عددهم ستين فارسا وهم من عكا وعسقلان ، ولكن بلدوين أمر فرسانه بالتصدى لهم ونجحوا بالفعل فى رد الفرسان المسلمين. غير أن البرت يخلط هنا بين ماحدث فى عام ١١٠٣م/ ٤٩٦هـ ، وما وقع سنة ١١٠٤م/ ٤٩٧هـ. وهى الحادثة التى نوردها هنا بالتفصيل. أنظر الفصل الأول ص من هذا الكتاب.

(٢) يقع فى ٢١ سبتمبر ١١٠٤م.

(٣) لم يشر البرت إلى اسم هذا الفارس، كما اننا لم نستطع التوصل إليه.

فيها طعام خيولهم. وعندما بلغ الملك بلدوين (الأول) والذى كان آنذاك فى يافا ، أن ستين جنديا عسقلانيا[٤] هاجموا قيسارية من أجل نهبها، خرج ولم يأخذ معه سوي أربعين فارسا وقسمهم إلى عشرات،[٥] ووزعهم عبر الطرق الجبلية التى توقع أن يعود منها الفرسان المسلمون. أما الملك نفسه فقد انطلق على رأس عشرة من الفرسان إلى أحد الممرات الجبلية الذي يمتد من يافا إلى قيسارية، وذلك احتمالا لعودة الفرسان المسلمين منه، لكى يجعلهم يدفعون ثمن ما اقترفوه من جرائم ضد قيسارية. وبالفعل اتخذوا نفس الطريق وهم يحملون الغنائم التى حصلوا عليها ورأس الجندى المسيحى. ولم يكن الملك (بلدوين) يعرفهم، ولكنه عندما استوقفهم وفتح الحقيبة التى كانت فيها رأس الجندى المسيحى، علم انهم هم الذين هاجموا قيسارية. وعندما طلب منهم الاعتراف بما اقترفوه رفضوا. ولكنه هدد بانزال أشد العقاب بهم وقطع رؤوسهم. وعندما سمعوا ذلك اعترفوا بأن سادتهم هم الذين فعلوا ذلك، وانهم يتبعون فى نفس الطريق عائدين إلى يافا. وعندما علم الملك بهذه الأنباء ، أمسك رمحه وتقلد درعه على صدره وانطلق فى اثر العدو، وكان يأمل ألا تصل الأنباء اليه حتى يتخذ طريقاً آخر.

---

(٤) أصبح على عاتق حامية عسقلان متابعة الإغارات على المدن والمعاقل الصليبية، وذلك بعد أن فشل الفاطميون فى معارك الرملة فى تحقيق الانتصار على بلدوين الأول. وكانت الامدادات ترسل من مصر إلى عسقلان لكى تقوم الأخيرة بهذا الدور. وساعدها على ذلك حصانة المدينة ، وقوة أسوارها، وقربها من المدن والمعاقل الصليبية. وبالفعل تمكنت المدينة من الصمود أمام هجمات الصليبيين ، فكانت آخر الثغور الاسلامية التى تسقط فى قبضتهم وذلك فى عام ١١٥٣م/٥٤٨هـ. للمزيد عن ذلك أنظر : اسامة زيد : حملات الرملة الثلاث ضد الصليبيين فى عهد الوزير الفاطمى الافضل (١١٠١ . ١١٠٥م/٤٩٥ . ٤٩٩هـ)، فصلة من مجلة كلية الاداب العدد ٢٩ لسنة ١٩٨١ الاسكندرية وكذلك الفصل الثانى من هذه الكتاب ص.

(٦)تم تقسيم الاربعين فارسا إلى قسمين : الأول من ثلاثين فارسا، والعشرة الباقين بقيادة الملك نفسه ، أنظر :

Albert d'Aix, op. cit., ch. xxxl, p. 609, n. 10.

وبينما كان العرب يقتربون، اندفعوا حيث كان الملك ومعه فرسانه العشرة. وكانوا يتقدمون في رعونه إذ لم يكونوا يعلمون بأمر الملك والكمائن الأخرى المتربصة لهم. وعندما أصبحوا بين قوات الملك، هز (بلدوين) جواده في شجاعة، وحمل ومعه فرسانه فى شجاعة علي المسلمين واندفعوا بين صفوفهم، وأخذ يقذفون البعض برماحهم، ويلقون البعض الآخر من فوق ظهور جيادهم، وتمكنوا من قتل البعض الآخر. وكانت هذه مذبحة قاسية. وأخيرا، أستطاع الملك أن يجبر العرب على الفرار، ووقع عشرة منهم فى الأسر. كما تمكن من الحصول على مايقرب من أربعين جوادا، بالإضافة إلى ماحصل عليه من أسلحتهم وعاد بها إلى يافا مكللا بمجد عظيم.

الملحق الثاني

وصف إغارة المعظم عيسى صاحب دمشق على قيسارية فى ظل حكم اللاتين لها، اثناء الحملة الصليبية الخامسة على مصر (١٢١٨ ـ ١٢٢١م/٦١٥ ـ ٦١٨هـ نقلا عن :

L'Estoire d'Eracles Empereur et la conqueste de la Terre d'Outremer, in R.H.C. - H. Occ. Vol. II, P. 334.

النص الفرنسى

En celui esté, aine que li crestien passassent le flum, li Coradins, por voir se il porroit doner entente as crestienz, ala asseger le chastel de cesaire, et fist drecer devant. III. perrieres, qui getoient de jor et de nuit. Li chateauz estoit petit et maù garni. si fu moult gregé en poi de tens. Garnier l'Alemant, qui estoit a Acre en lue dou roi, assembla et les comunes et les autres gens et lor reguist sue por aider le chastel. Li Genoeis, qui moult amoient Gautier le seignor de cesaire, et qui savoient que il avoit requis au roi que il li rendist, et li rois ne li voloit rendre, se il ne li paeit ce que il y avoit despendu au fermer, distrent a Garnier l'Alemant que se il le lor voloit livrer que il le garniroient et le deffendroient; il le lor bailla. Il y envoierent gens et armeures et viandes et autres choses, qui mestier y avoient. Quant il furent la venus, il recurent le chastel, et en firent paritir touz qui y estoient et i furent. IIII. jorz; et au quint manderent a Acre que l'en les en venist oster, car il ne le poeent plus retenir, que li ronpeor des Turs estoient dedens le mur. Lor gens lor envoierent vaisseauz et les en firent oster une nuit. Lendemain li Turc orent faussé le mur, et entrerent enz et n'itroverent nului. Le soutan fist abatre le chastel.

الملحق الثاني

الترجمة العربية

حاصر المعظم (عيسى)[1] قيسارية خلال الصيف الذى عبر أثناؤه المسيحيون البحر (لمهاجمة دمياط) بهدف مضايقتهم.[2] وقام بوضع قاذفات الأحجار أمام المدينة، وظل يقذفها ليلا ونهارا. ولما كانت المدينة صغيرة والحامية التى بها أيضا قليلة العدد ، تمكن (المعظم) من الحاق اضرار كثيرة بها. وعندما بلغت هذه الانباء (جارنييه أليمان) (أو الألمانى)، والذى كان نائبا عن الملك (جان دى بريين) في عكا، أمر رجال الشعب وغيرهم بتقديم المساعدة للمدينة المحاصرة. وكان الجنويون[3] يقدرون جوتييه (الثالث)[4] صاحب قيسارية. فطلبوا من نائب الملك اعطاءهم قلعة المدينة نظيرا امدادها بما تحتاج إليه من المؤن والاسلحة. وكانت هذه القلعة مثار خلاف بين الملك (جان دى بريين) وجوتييه الثالث، حيث كان الملك قد رفض اعطاءها له إلا إذا دفع جوتييه (الثالث) نفقات بنائها.[5] ووافق

(جارنييه اليمان) على اعطائهم القلعة، وقاموا بارسال المقاتلين والأسلحة والمؤن وأشياء أخرى كانت فى حاجة إليها. وعندما وصلوا إلى هناك، استلموا

---

(١) حكم دمشق فى الفترة من ٦١٥ إلى ٦٢٥هـ/ ١٢١٨ - ١٢٢٧م.

(٢) أبحرت طلائع الحملة الصليبية الخامسة متجهة إلى دمياط في ٢٤ مايو ١٢١٨م/٢٦ صفر ٦١٥هـ.

(٣) كان للجنوية ثلث المدينة ، بالإضافة إلى شارع وكنيسة عرفت باسم كنيسة القديس لورنزو فى قيسارية، وذلك نظير ماقدموه من مساعدات عند الاستيلاء على المدينة. أنظر الفصل الأول   من هذا الكتاب.

(٤) حكم قيسارية فى الفترة من ١٢١٣ إلى ١٢٢٩م/ ٦١٠ - ٦٢٦هـ.

(٥) تم انشاء قلعة للمدينة لأول مرة فى تاريخها منذ استيلاء الصليبيين عليها، وذلك فى فبراير ١٢١٨م/ ذى القعدة ٦١٤هـ. للمزيد عن ذلك أنظر الفصل الرابع   من

القلعة من الحامية، وقاموا باخلاء كل من بداخلها. وظلوا أربعة أيام ، وفى اليوم الخامس طلبوا من عكا ارسال قوات أخرى، لأنهم لم يتمكنوا من المحافظة عليها. ويرجع ذلك إلي أن المسلمين كانوا قد تمكنوا من اختراق أسوارها. وبالفعل أرسلت إليهم المراكب فى أثناء الليل. وتمكنت من اخلاء الحامية. وفى اليوم التالي (السادس) تمكن الترك من اختراق أسوارها، ولم يجدوا فيها أحد. وأمر السلطان (المعظم) بتدمير القلعة.[٦]

(٦) كان صلاح الدين هو أول من بدأ سياسة تخريب المدن والمعاقل الصليبية التي استردها منهم عقب موقعه حطين، وكان يهدف إلى عدم استفادتهم منها إذا تمكنوا من استردادها ثانية. وتعرضت قيسارية للتخريب بالفعل على يد صلاح الدين. وقام الصليبيون باعادة تحصينها عدة مرات بعد استردادهم لها. أنظر الفصل الثالث من هذا الكتاب

الملحق الثالث

نص المؤرخ العينى عن سقوط قيسارية فى يد الظاهر بيبرس (٦٦٣هـ/١٢٦٥م)

نقلا عن : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان،جـ١٨، مجلد ٥٤، لوحة ٥١٤ , ٥١٥

... وردت هذه الأخبار استبشر السلطان (بيبرس) ، وثنى العنان قاصدا بلاد الفرنج فنزل على قيسارية. ذكر فتوح قيسارية الشام نزل السلطان عليها يوم الخميس تاسع جمادى الأولى (٦٦٣هـ)، وللوقت نصب عليها المجانيق وأطلقت بها العسكر، وعمدوا إلى سكك الحديد[1] فجعلوها أوتادا، وتعلقوا فيها من كل جانب، وطلعوا إليها، ونصبوا السناجق السلطانية عليها، وحرقت أبوابها،وهتك حجابها. فهرب أهلها إلى قلعتها، فجدّ العسكر فى الحصار. فلما كانت ليلة الخميس منتصف جمادى الأولى ، هربت الفرنج وأسلموا القلعة بما فيها[3]، فتسلق المسلمون إليها من الأسوار واستولوا عليها، ورسم السلطان بهدم مبانيها فهدمت. وهى أول فتوح السلطان الملك الظاهر رحمه الله. ثم توجه السلطان إلى جهة عثليت جريدة، وبث عساكره تشن الغارات/ وتقول ياللثارات، لوحة ٥١٤.

---

(١) السكك جمع سكة، وهى الوتد الذى يربط به مقود الحصان. أنظر ماسبق الفصل الخامس ص ٢٣٤، من هذا الكتاب

(٢) كان لقيسارية ثلاثة أبواب هى : الباب الشرقى وهو الباب الرئيسى للمدينة، وباب البحر فى السور الجنوبى، وباب الشمال فى السور الشمالى. أنظر تخطيط المدينة فى العصر الصليبى : لوحة رقم ٣ ، رسم تخطيطى رقم ٢.

(٣) ذكرت المصادر الصليبية أن حامية المدينة اشترطت لتسليم القلعة أن يخرجوا سالمين وبالفعل وافق بيبرس على ذلك، وسمح لهم بمغادرتها دون أن يتعرض لهم. أنظر ماسبق الفصل الخامس من هذا الكتاب

وجرد عسكره إلى حيفا[1] فدخلوها فنجى العرس[2] بأنفسهم إلى المراكب، وأخربت المدينة وقلعتها في يوم واحد.[3] ووصل إلى عثليت وعاد عنها وقد ترك أهلها في حبس منها فنزل على أرسوف. لوحة ٥١٥.

---

(١) توجه الأمراء سنقرا السلاح دار، وعز الدين الحموى ، وسنقرا الألفى، على رأس هذه القوة لمهاجمة حيفا وذلك فى ١٦ جمادي الأولى ٦٦٣هـ/ ٦ مارس ١٢٦٥م.

(٢) صحتها الفرنج

(٣) ففر الفرنج الى المراكب وتركوا قلعتها ، فدخلها الأمراء بعد ماقتلوا عدة من الفرنج وبعد مأسروا كثيرا ، وخربوا المدينة والقلعة وأحرقوا أبوابها فى يوم واحد، وعادوا بالأسرى والرووس والغنائم سالمين والمقريزى، السلوك ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٥٢٧ ـ ٥٢٨.

الملحق الرابع

أسماء سادة قيسارية وتسلسل نسبهم

نقلا عن LaMonte, J., Lords of Caesarea, P. 145, ff.

١ ـ بلدوين الأول (الملك)[١] Balduin I(١١٠١ ـ ١١١٠م/٤٩٤ ـ ٥٠٤ هـ)

٢ ـ يوستاش الأول جارنيه Eustache I (١١١٠ ـ ١١٢٣م/٥٠٤ ـ ٥١٧هـ)

٣ ـ جوتييه الأول Gautier I (١١٢٣ ـ ١١٤٩م/٥١٧ ـ ٥٤٤هـ)

٤ ـ يوستاش الصغير الراهب دير القديس لعازر
Eustache monk of St. Lazar (١١٤٩ ـ ١١٥٤م/ ٥٤٤ ـ ٥٤٩هـ)

٥ ـ هيو Hugh (١١٥٤ ـ ١١٦٨م/٥٤٩ ـ ٥٦٣هـ)

٦ ـ ؟ (١١٦٨ـ١١٧٤م / ٥٦٣ ـ ٥٦٩هـ)

٧ ـ جاى Guy (١١٧٤ ـ ١١٧٦م/ ٥٦٩ ـ ٥٧٢هـ)

٨ ـ فترة وصاية ربما يكون جاى صاحب بيروت تولى فيهاحكم قيسارية ، ولذلك بحكم زواجه من جوليانا(١١٧٦ ـ ١١٨٢م/٥٧٢ـ٥٧٨هـ)

٩ ـ جوتييه الثانى : Gautier II
سيد فعلى للاقطاعية لقب ١١٨٢ ـ ١١٨٧م/٥٧٨ – ٥٨٣ هـ)
اسمى لسقوطها فى قبضة صلاح الدين (١١٨٧ ـ ١١٩١م/٥٨٣ـ ٥٨٧هـ)

١٠– جود فري لوزنيان[٣] Geoffrey Lusignan (١١٩١ـ١١٩٢م/ ٥٨٧ـ٥٨٨هـ)

---

(١) ظلت قيسارية من عام ١١٠١م إلى عام ١١١٠م/٤٩٤ الى ٥٠٤هـ تابعة للملك بلدوين الأول أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب

(٢) لم يتسن معرفة من تولى الإقطاعية فى هذه الفترة والتى يبدو انها كانت لاتزال تحت وصاية أحد أفراد أسرة يوستاش جارنييه.

(٣) حصل جود فردى لوزنيان شقيق الملك جاى لوزنيان على قيسارية ويافا نظير دوره فى حصار مدينة عكا، وذلك فى الاتفاق الذى تم التوصل إليه مع الملك الانجليزى رتشارد قلب الأسد أنظر الفصل الثالث من هذا الكتاب.

١١ - جوليانا سيدة قيسارية وحصول زوجها ايمار لايرون على لقب سيد قيسارية بحكم زواجه منها(٤)

(١١٩٢-١٢١٣م/ ٥٨٨-٦١٠هـ) Julianne of Caesarea, Aymar de lairon

١٢ - جوتييه الثالث Gautier III (١٢١٣ - ١٢٢٩م/ ٦١٠ - ٦٢٦هـ)

١٣ - يوحنا Jean (١٢٢٩ - ١٢٤١م/ ٦٢٦ - ٦٣٨ هـ)

١٤ - مارجريت سيدة قيسارية وزوجها يوحنا أليمان

(١٢٤٣ - ١٢٦٥م/ ٦٤١-٦٦٣هـ) Marguerite, John Aleman

ب - سادة حملوا اللقب دون الأرض (سادة إسميون من أسرة يوستاس جارنييه)

١٥ - نيقولا أليمان Nicholas Aleman (١٢٦٥ - ١٢٧٧م/ ٦٦٣ - ٦٧٦هـ)

١٦ - توماس أليمان Thomas Aleman (١٢٧٧ - ؟ م / ٦٧٦ - ؟ هـ)

جـ - سادة اسميون حملوا لقب قيسارية في القرنيين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين / القرنيين الثامن والتاسع الهجريين.

١ - جان من نيفيليه Jean de Nevilles (١٣٨٤ - ؟ م/ ٧٨٦ - ؟ هـ)

٢ - جان جوارب Jean Gorap (١٣٨٩ - ؟ م/ ٧٩=٧٢ - ؟ هـ)

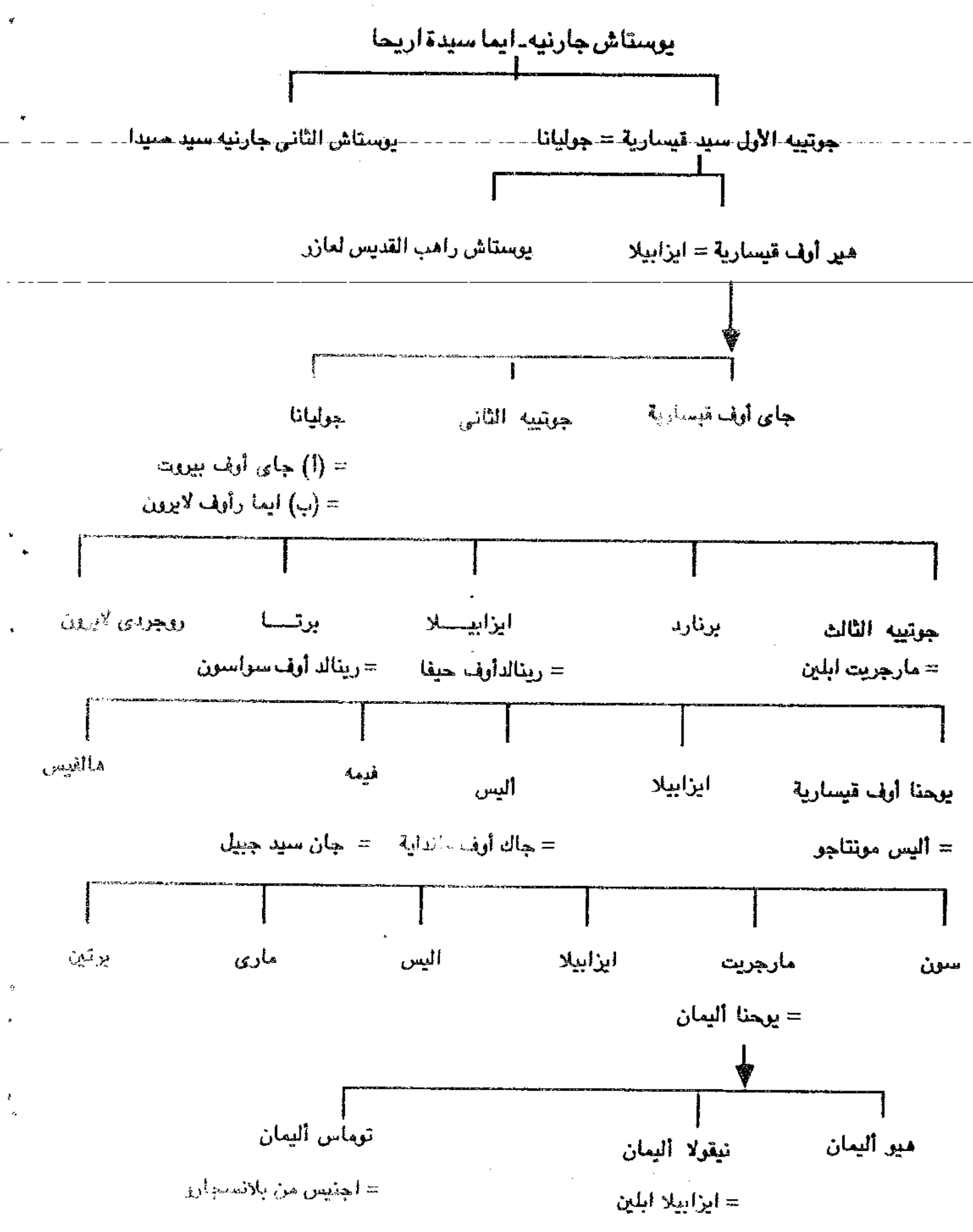
٣ - ظل لقب «قيسارية» موجودا في قبرص حتى عام ١٤٣٢م/ ٨٣٥-٨٣٦هـ)، وذلك عندما أشار «ري» Rey إلى شخص يحمل هذا اللقب دون أن يحدد اسمه.

---

(٤) يبدأ من هذه الفترة حكم الاناث من أسرة يوستاش جارنيه حيث آل حق وراثة الإقطاعية لهن بعد وفاة جوتييه الثانى دون أن يترك ذكرا يخلفه فى حكم قيسارية

(٥) لم يكن هولاء الاشخاص من الأسرة الأصلية التى حكمت الإقطاعية فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين/ القرنين السادس والسابع الهجريين.

(ثانيا) تسلسل نسب سادة قيسارية



الملحق الخامس

رؤساء اساقفة قيسارية (1)

نقلا عن : Rey, Les Famillies d'Outre - Mer, pp. 757 - 9.; Hazard, op. cit, p. 89.

١ ـ بلدوين الأول (١١٠١ ـ ١١٠٨م)	Baudouin
٢ ـ ابرمار أو ايفرمار (١١٠٨ ـ ١١٢٩م)	Evermer or Ebremer
٣ ـ جود نتيوس (١١٢٩ ـ ١١٤٢/٤١م)	Gaudentius
٤ ـ بلدوين الثانى (١١٤٢/٤١ ـ ١١٥٧/٥٦م)	Baudouin
٥ ـ هرنسيوس أو هرفسيوس (١١٥٧ ـ ١١٧٥م)	Heresius or Hermesius
٦ ـ هرقل (١١٧٥ ـ ١١٨٠م)(٢)	Heraclius or Eracleus
٧ ـ ايمار دى كوربيزي (١١٨٠ ـ ١١٨٤م)(٣)	Aymar
٨ ـ موناخوس	Monachus
٩ ـ برثولوميو (١١٩٤ ـ ١١٩٨م)	

---

(١) اعدت ترتيب هذه القائمة بعد أن حصلت على مقالة هازرد عن قيسارية والصليبيين اثناء وجودى بـ بالمملكة المتحدة.

(٢) تولى منصب بطريكية بيت المقدس فى (١١٨٠ ـ ١١٩٠م) Rey, op. cit., p. 758

(٣) تولى منصب بطريكية بيت المقدس (١١٩٤ ـ ١٢٠٢م)

١٠ - بطرس (١١٩٩ - ١٢٣٧م) Pierre

١١ - برتراند (١٢٣٧ - ١٢٤٤/٤٣م) Bertrand

١٢- جوسلين جوسلين (١٢٤٤ - ١٢٥٦/٥٥م) Joscelin

١٣ - لوكياميس (١٢٥٦ - ١٢٦٥م) Lociaume

الملحق السادس

توابع اقطاعية قيسارية

نقـــلا عن : Beyer, G., Das Gebiet Caesarea, PP. 5ff.

الاسم العربى	الاسم الأجنبى الصليبى	الاسم العربى	الاسم الأجنبى الصليبى
١ ـ بوستــــرى	Destrictum	١١ ـ خربة المعصرة (٤)	Chasteillon Meseraa
٢ ـ قلعة الحجاج أوعثليت (١)	Cast. Peregrinorum	١٢ ـ خربة بيت رأس	Betherias
٣ ـ خربة ملاحة	Mellaha	١٣ ـ خربة كبار	Pain perdu
٤ ـ صرفنــــــد	Sarepta in Judaea	١٤ ـ خربة البركة	Braicaet
٥ ـ كفــــرلات (٢)	Cafarlet	١٥ ـ صابريــــن	Sabbaghin
٦ ـ دور	Dor - Merle	١٦ ـ كفريــــن	Caforana
٧ ـ الطنطـــــورة	et - tantura	١٧ ـ خربة منصور العقاب	Marien Kapelle
٨ ـ خربة الدرهم	Eomus Ruberti	١٨ ـ قلعة الضريح المقدس	Cas. S. Sepulchri
٩ ـ خربة أم الطوس (٣)	Hautefie	١٩ ـ خربة القصبى	Canet
١٠ ـ خربة السلماني	Solimania	٢٠ ـ خربة الملات	Turris Salinarum

(١) اصبحت تابعة لجماعة الفرسان الداوية.

(٢) من توابع الداوية ـ أنظر الفصل الرابع من هذا الكتاب

(٣)، (٤) من توابع الفرسان الاسبتارية فى القرن الثالث عشر الميلادى / القرن السابع الهجري.

الاسم العربى	الاسم الأجنبى الصليبى	الاسم العربى	الاسم الأجنبى الصليبى
٢١ـ خربة الشومرية	Feniculi	٣٥ـ ؟	Laasina
٢٢ـ خربة العبيرى	Abeiria	٣٦ ـ قلعة الجليل أو كركور	C. Galilaea
٢٣ـ قانور	Helenpolis	٣٧ـ ارض سامرا	Cas. rubeum
٢٤ـ قلعة القديس يوحنا	Cas. S. John Sebastinsis	٣٨ـ قلعة السيد املريك أو خربة المسعدى	Cas. Domini Amalrici
٢٥ـ خربة بيت دفوص	Deffeisse	٣٩ـ ؟	Megar
٢٦ـ قلعة الغابة	Cas. de la Forest	٤٠ـ خربة زيدة	Zdbelellum
٢٧ ـ قلعة القديس ميخائيل أو خربة الزرقانى	Cas. S. Michaelis	٤١ـ تل عفرين	Aronia
٢٨ـ خربة بابلون	Bufles, Bufalis	٤٢ـ ؟	Gedida
٢٩ـ خربة صابرين	Sabarin	٤٣ـ فاقين	Fakin
٣٠ـ قلعة الداوية	Cas. Templi	٤٤ ـ خربة بين سامة	Bezzemel
٣١ـ قلعة القديسة آن أو برج القراني	Cas. S. Annae	٤٥ـ قلعة أليمان	Cas. Alemanni
٣٢ـ حديدون	Hadedun	٤٦ ـ قلعة انجلبرت	Cas. Engelberti
٣٣ـ قلعة هيو	Cas. d. Hugonis Feustelli	٤٧ ـ برج عطوت	Turris rubea
٣٤ـ ؟	Daviet	٤٨ ـ قاقون	Caco, Facho

(ب) توابع من قيسارية واقع المرسوم الذى أصدره الظاهر بيبرس بعد استرداده لقيسارية ٦٦٣هـ/١٢٦٥م

يبدأ المرسوم بحمد الله وشكره ، والثناء على نبيه والصلاة والسلام عليه، ثم يذكر ما قام به الظاهر بيبرس من أعمال، وامتداح لصفاته. وبعد ذلك يبدأ بذكر أسماء الأمراء والمماليك وما حصلوا عليه من توابع إقطاعية قيسارية وهى : .

١ ـ عتيل	وردت هكذا فى النهج السديد والسلوك . أما ابن أيبك فذكرها «عتبل» ، بينما أوردها شافع بن علي «عسل»، ووردت عند العينى «عسل» ونرجح الصيغة الأولى لأنها وردت فى المصادر الأجنبية "Hatil" وهى مقارية للصيغة الأولى.
٢ ـ ريتا	النهج السديد والسلوك وعقد الجمان، أما ابن أيبك فيذكرها «ذيتا »، أما شافع فذكرها «ريتا » والأولى أقرب إلى الصحة.
٣ ـ افراسين	أجمعت المصادر عليها.
٤ ـ باقة الشرقية	أجمعت المصادر عليها، فيما عدا ابن أيبك الذى ذكرها «ناحية الشرقية» والتسمية الأولى هى الصحيحة.
٥ ـ قلنسوة	أجمعت المصادر عليها، فيما عدا ابن أيبك الذى ذكرها «قلسوة» والأولى أصح.
٦ ـ طيبة الأسم	أجمعت المصادر عليها.
٧ ـ أم الفحم	ابن الفضائل والمقريزى والعينى وشافع بن على، فيما عدا ابن ايبك الذى أوردها «أم العجم» والأولى أصح.

٨ - بورين — ابن العميد والمقريزى العينى، أما ابن ايبك فقد ذكرها «تودين» وشافع بن على «نورين» والأولى هى الأصح.

٩ - بيزين — اجمعت المصادر عليها، فيما عدا العينى الذى ذكرها «تيزين» ، والتسمية الأولى هى الأصح.

١٠ - بتان — أجمعت المصادر عليها، فيما عدا شافع الذى ذكرها على انها «نتان» ، بينما أسماها العينى «تبان» والأولى هى الأصح.

١١ - حلبة — ابن أبي الفضائل والمقريزى ، ابن أيبك «جبلة»، والعينى «حَلَة»، أما شافع فغير واضحة والتسمية الأولى هى الأصح.

١٢ - البرج الاحمر — ابن أبى الفضائل والمقريزى وشافع بن على، أما العينى وابن أيبك «المرج الأحمر» والأولى هى الأصح.

١٣ - يَما — ابن أبى الفضائل والمقريزى، أما شافع بن على فذكرها بدون نقطتين «يما» ، أما ابن أيبك فذكرها «نما» والأولى أصح.

١٤ - دنّابة — ابن أبى الفضائل والمقريزى ، اما العينى «دُنَابة» وذكرها شافع «دنابة» ، بدون تشكيل ، أما ابن ايبك «دبابة» ناقصة، وصحتها دنّابة.

١٥ - دير الغصون أودير الأساور — وردت بصيغ مختلفة . فذكرها ابن أيبك «دير القصور» أما شافع فذكرها «دير العصول» أما ابن أبى الفضائل والمقريزى فذكراها «دير القصون» والعينى «دير العصفور» و«دير الغصون» هى الأرجح.

١٦ - الشويكة — ابن ابى الفضائل وابن أيبك والعينى والمقريزى «الشويكة» أما شافع فذكرها «الشوبا» و«الشويكة» هى الأصح.

١٧ - طبرس — أجمعت عليها المصادر، فيما عدا العينى الذى ذكرها « طرس » والأولى هى الأصح.

١٨ ـ عـلار — ابن أبى الفضائل والمقريزى والعينى «علار» و أما شافع فذكرها بدون تشديد «علار» ووردت محرفة فى ابن أيبك «علاى»، والتسمية الأولى هى الأصح.

١٩ ـ فرعون — أجمعت المصادر عليها، وهى التسمية الصحيحة.

٢٠ ـ عرعرا — أجمعت المصادر عليها وهى التسمية الصحيحة.

٢١ ـ ارتاح — العينى وابن الفضائل والمقريزى «ارتاح» ، أما شافع فأوردها بصيغتين «ارياح» و«ارباح» و واما ابن أيبك فذكرها «ارياح» والتسمية الأولى هى الأرجح «ارتاح».

٢٢ ـ باقة الغربية — ابن ايبك وابن الفضائل والمقريزى ، أما العينى فذكرها« ياقة الغربية» ، وذكرها شافع «ناقة الغربية» والأولى هى الأصح.

٢٣ ـ القصير — ابن ابى الفضائل والمقريزي، أما ابن أيبك فقد ذكرها «القصير»، وذكرها العينى «الفصير»، وأوردها شافع «الفصر» ، والتسمية الأولى هى الأرجح.

٢٤ ـ اخصاص — أجمعت المصادر عليها، وهى التسمية الصحيحة.

٢٥ ـ قفين — ابن أبى الفضائل وشافع بن على والمقريزى، أما العينى فقد ذكرها «قفير» وأوردها ابن أيبك «غير واضحة» والأولى هى الأرجح.

٢٦ ـ كفر راعى — اجمعت المصادر عليها، فيما عدا ابن أيبك الذى ذكرها «كفر سراعى» ، والتسمية الأولى هى الأرجح.

٢٧ ـ فرديسيا — اجمعت المصادر عليها، فيما عدا العينى الذى أوردها «افردسينا» ، والأولى هى الأرجح.

٢٨ ـ طوركرم	اجمعت المصادر على هذه التسمية.

٢٩ ـ كسبفا	شافع بن علي ، أما ابن أيبك فقد ذكرها «كسنا» وهى أقرب إلى التسمية الأولى، أما المقريزى فأوردها «كستا» ، والعينى «كسبفا» والتسمية الواردة فى شافع هى الأرجح.(١)

(١) وردت صيغة هذا المرسوم فى مختلف المصادر العربية من معاصرة متأخرة ، وعن صفحات المصادر الخمسة التى رجعنا إليها في مقابلة أسماء الاقطاعيات، أنظر : ابن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر، جـ٨ ، ورقة ١١٥ ـ ١٢٠و شافع بن على : حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرة، لوحة ٦٨ ـ ٧١ ، ابن أبى الفضائل : النهج السديد فيما عدا تاريخ ابن العميد، جـ١ ، ص ٤٨١ ـ ٤٨٤، المقريزى : السلوك، جـ١ ، ق٢، ص ٥٣٠ ـ ٥٣٤، العينى : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، جـ١٨، مجلد ٥٤، لوحة ٥١٦ ـ ١٥٨. وهناك ملاحظة عامة وهى ان ناسخى المخطوطات ربما أخطأوا عند وضع التنقيط فى بعض أسماء هذه المواضع مما جعلها تبدو فى صيغة مختلفة.

بيان المختصرات

A.O.L.	:	Les Archives de L'Orient Latin.
P.P. T.S.	:	Palestine Pilgrims' Text Society.
R. H. C.- Doc. Arm.	:	Recueil des Historiens des Croisades- Documents Armeniens.
R. H. C-H. Occ.	:	Recueil des Historiens des Croisades- Historiens Occidentaux.
R. H. G. F.	:	Recueil des Historiens des Gaules et de la France.
R.O. L.	:	Revue de L'Orient Latin.
Z. D. P. V.	:	Zeitschrift des Deutschen Palastina Verein.

أولا : المجموعات الرئيسية للحروب الصليبية.

Recueil des Historiens des Croisades, publié par les soins de l'Académie des Inscriptions et Belles - Lettres, in 16 huge folio vols. Paris. 1841 - 1906.

I - Historiens Occidentaux, 5 tomes (1844 - 1895);

II - Historiens Orientaux, (Arabs), 5 tomes (1872-1906);

III- Historiens Grece, 2 tomes (1865 - 1881);

IV - Documents Armeniens, 2 tomes (1869 - 1906).

Les Archives d l'Orient Latin, publiées par la Societe de l'Oriente Latin. 2 vols. Paris. 1881-1887.

Palestine Pilgrims' Text Society. 13 vols. and general Index. London, 1887 - 1897.

Revue d l'Orient Latin, publiées sous la direction d MM. Le Marquis de Vogué et Ch. Schefer. Paris, 1893 - 1911.

ثانيا : المصادر الصليبية

Albert d'Aix, Historia Hierosolymitana, Ed. R. H. C. - H. Occ., IV.. Paris. 1879. pp. 264 - 713.

Ambroise, The Crusade of Richard Lion-Heart trans. from the Old French by Merton Jerome Hubert, with notes and documentation by J. L. La Monte. New York, 1941.

Anne Comnen, The Alexiad, trans, from the Greek by E.R. A. Sewter, London, 1979.

Annals de Terre Sainte 1095 - 1291, publieés par R. Röhricht et G. Raynaud. in A. O. L., II., pp. 419 - 461.

Anonymous Pilgrims, I-VIII, (11 -12 centuries) in, P.P,T.S. vol. VI London. 1894.

Antoninus Martyr, The Holy places Visited by Antonius Martyr, trans. by Aubrey Stewart, in P. P. T. S., vol. II London, 1887.

Balduini III. Historia Nicaena vel Antiochena, Ed. R. H. C.-H.

Occ., Vol. V, pp. 133 - 185.

Benedicti Petroburgensis Abbatis,
Vita et Gestis Henrici II Angliae Regis.. Ed. R. H. G. F., Paris, 1818, Vol. XVII. pp. 406 - 546.

Caffaro Caschifelone, De Liberatione Civitaum Orientis Liber. Ed. R. H. C. - H. Occ. Vol. V, pp. 47-73.

Daniel Abbot, Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy Land. (1106 - 7) anntotated by C.W. Wilson. London, 1888, vol. IV.

Eracles,L'Estoire de Eracles Empereur et la Conqueste de la Terre d'Outremer - Ed. R. H. C. - H. Occ., vol II. Paris 1859, pp. 1-481.

Ernoul, Chronique d'Ernoul. Ed. Röhricht, Genve, 1882.

Estoire de Jerusalem et d'Antioche. Ed. R.H.C. - H. Occ., vol. v, pp. 621-648.

Fulcher of Chartres, A History of the Expedition to jerusalem. (1095-1127). Trans, By Frances Rita Ryan (Sisters of St. Joseph). Edited with An Introduction by Harold S. Fink. Knouville, U.S. A. 1969.

Fetellus, Description of the Holy Land. Cf. P.P.T.S. vol. I. London, 1892.

Galteril Cancellarii, Bella Antiochena. Ed. R. H. C. - H. Occ vol. v. pp. 81-132.

Hethoum, Comt. de Gorigos, Table chronilogique. Ed. R. H. C.- Doc. Arm., vol. I. Paris, 1869, pp. 471 - 490.

Iblien, Jean d' Assises de jerusalem, 2 vols. Paris, 1841 - 3.

Jacques de Vitry, The History of Jerusalem. (A. D. 1180) translated from the Original Latin by Aubrey Stewart. London, 1896.

Jerome, The Pilgrimage of the holy Paula, trans. by Aubrey Stewart, in P.P.T.S., Vol. I, London, 1887.

Joinville, Jean de, Memoris of Louis IX. King of France (commonly called Saint Louis) An English translation by Colonel Johnes of Hafod. Cf. Chronicles of Crusades. Bohn's ed. pp. 341 - 556. London, 1848.(1)

Les Gestes des Chiprois. Ed. R. H. C. - Doc. Arm. Paris, Vol. II, 1906.

Matthieu d'Edesse, Chronique (692-1136), in Bibiotheque Historique Arménienne par Dulaurier, Paris, 1858.

Matthew Paris's, English History from the year 1235 to 1273, trans. from the latin by J.A. Giles. 2 vols. London, 1852 - 3.

Oliver of Paderborn, the Capture of Damietta, trans. by john J. Gavian. Philadelphia, U. S, A., 1948.

St. Pathus, Guillauma de, Vie de Saint Louis. Ed. R. H. G. F., vol. XX, pp. 58 - 121.

Radulphi Coggeshalae Abbatis, chronico Anglicano. Ed. R.H. G. F., XVIII.,

Raìmundi de Aguilers, Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem. Ed. R. H/ C. H-. Occ. vol. III. pp. 231 - 309.

Roger of Hoveden, Annals. comprising the History of England and other countries of Europe from A. D. 732 to A. D. 1201. trans. from the latin with notes and illustrations by Henry T. Riley. 2 vols. London, 1883.

Roger of Wendover, Flowers of History. Comprising the History

of England from the Descent of the Saxons to A. D. 1235. trans. from the Latin by J. A. Giles, 2 vols. London, 1848.

Rothelin, Continuation de guillame de Tyr dite du manuscrit de Rothelin (1229 - 1261). Ed. R. H. C. - H. Occ., vol. II. Paris, 1859. (pp. 489 - 649).

St. Fathus, Guillame de, Vie de Saint Louis. Ed. R.H. G.F., vol. XX., pp. 58-121.

Wiegler, P. The Infidel Emperor and His Struggles Against the Pope. A chronical of the 13 th century. trans. by Brian W. Downs. London, 1930.

William of Tyre, A History of the Deeds done beyond the Sea, trans and annotated by E.A. Babcock and A. C. Kery. 2 vols. New York, 1943.

ثالثا : المصادر العربية

(١) المخطوطات والمخطوطات المصورة[١]

ابن ابى السرور : (ت : ١٠٢٨م/ ١٦١٩م) محمد بن محمد بن أبى السرور زين الدين البكرى :
«النزهة الزهية فى ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية» . دار الكتب المصرية . رقم ٢٢٦٦ تاريخ.

ابن ايبك : (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) ابو بكر بن عبدالله :
١ . «درر التيجان وغرر تواريخ الازمان » . دار الكتب المصرية . رقم ٤٤٠٩ تاريخ
٢ . «كنز الدرر وجامع الفرر» . ٩ج . دار الكتب المصرية . رقم ٤٦٤٣ تاريخ[٢]

ابن بهادر (عاش فى القرن التاسع هـ/الخامس عشر الميلادي) محمد بن محمد بن بهادر :«فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر» . دار الكتب المصرية . رقم ٤٩٧٧ تاريخ.

ابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ/ ١٤٠٧م) صارم الدين ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلائى
١ . «نزهة الانام في تاريخ الاسلام . القطعة الأولى . حوادث ٦٢٨هـ إلى ٦٥٩هـ دار الكتب المصرية . رقم ١٧٤٠ تاريخ.
٢ . الجوهر الثمين فى سير الملوك و

---

(١) أشرنا الي المخطوط بـ (ورقة) والمصور بـ (لوحة)

(٢) تم تحقيق الاجزاء السابع والثامن والتاسع من كنز الدرر، غير أننا اعتمدنا علي المخطوط لعمل المقارنة بينها وبين بعض المصادر الاخرى، خاصة فى تحقيق اسماء توابع الإقطاعية.

السلاطين ـ دار الكتب المصرية ـ رقم ١٥٢٢ تاريخ.

ابن الشحنة الحلبى (ت ٨١٥ هـ/١٤١٢م) ابو الوليد محب الدين محمد بن محمد : «روض المناظر في علم الأوائل والأواخر» ـ دار الكتب المصرية ـ رقم ٤٥م تاريخ

ابن الفرات (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٥م) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن علي : «تاريخ الدول والملوك» ـ ١٨ مجلد ـ دار الكتب المصرية ـ رقم ٣١٩٧ تاريخ ـ تصوير شمسى.

بامخرمة (عاش في القرن العاشرهـ/ السادس عشر م) ابو محمد بن عبد الله بن احمد بن علي :
« قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر» ـ ٦ جـ ـ دار الكتب المصرية رقم ٤٤١٠ تاريخ.

بيبرس الداودار (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) الامير ركن الدين بيبرس المنصورى :
«زبدة الفكرة في تاريخ أهل الهجرة» ـ جـ ٩ مكتبة جامعة القاهرة ـ رقم ٢٤٠٢٨ تاريخ تصوير شمسى.

شافع بن علي (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) شافع بن علي بن عباس بن اسماعيل بن عساكر الكنانى العسقلاني المصرى:
حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية ـ دار الكتب المصرية ، رقم ٢٢٢٤ تاريخ

العمري(ت٧٤٨هـ ١٣٤٨هـ) بن فضل الله.
مسالك الابصار فى ممالك الأمصار ـ جـ ٢٧ فى ٤ مجلدات دار الكتب المصرية ـ رقم ٥٦٠ معارف عامة ـ «تصوير شمس.

العيـــني (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) بدر الدين أبو محمد محمود بن احمد

بن موسى : «عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان» - ٢٣ جـ فى ٦٩ مجلدا - دار الكتب المصرية - رقم ١٥٨٤ تاريخ «تصوير شمس».

الفيـــومـــى (ت حوالي ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م) احمد بن محمد بن على ك «نشر الجمان في تاريخ أهل الاعيان «المجلد الأول والثاني - دار الكتب المصرية - رقم ١٧٤٦ تاريخ.

القـرمـانى (ت ١٠١٩هـ/ ١٥٥٧م) ابو العباس احمد جلب بن يوسف بن أحمد : اخبار الدول وآثار الأول. دار الكتب المصرية - رقم ١٩٢١ تاريخ.

الكتبـــــى (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م) محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن فخر الدين «عيون التواريخ» - ١٦ مجلد - دار الكتب المصرية - رقم ١٤٩٧ - تاريخ «تصوير شمس»

النويـــرى (ت ٧٣٢هـ / ١٣٢٢م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد : «نهاية الارب في فنون الادب» - ٥٥ مجلدا - دار الكتب المصرية - رقم ٥٤٩ معارف عامة - تصوير شمس.

(٢) المصادر العربية المطبوعة

ابن ابى الفضائل : .(توفي في منتصف القرن الثامن هـ/ منتصف القرن الرابع عشر م) مفضل : النهج السديد والدرر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد . نشر المستشرق بولشيه.[1]

(١) نشر المستشرق الفرنسي بلوشيه الكتاب تحت اسن :

Moufazzal Ibn Abil - Fazil, Hisoire des Sultans Mamlouks. Text Arabe puplié et Traduit en Francais par E. Blochet 2 vols. Paris 1911 - 12.

ابن الاثير الجزري : (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م) ابو الحسن على بن ابى الكرم

الملقب عز الدين :
١ ـ الكامل فى التاريخ ، ٩ جـ ، دار الفكر ـ بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
٢ ـ التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية (بالموصل) ، تحقيق د. عبد القادر أحمد طليمات ، القاهرة ١٩٦٣.

ابن تغرى بردي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) جمال الدين أبو المحاسن بن يوسف :
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ١٢ جزء ـ دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٩ ـ ١٩٥٦.

ابن جبير (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م) أبو الحسن محمد بن أحمد الكنانى الاندلسى : «رحلة ابن جبير» ـ بيروت (بدون تاريخ)

ابن الجوزى (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦م) شمش الدين ابن المظفر يوسف بن قزاوغلي التركى الشهير بسبط لبن الجوزى :
مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان ، جـ ٨ ، ق ١ ، ٢ ، ط. أولى ـ حيدر أباد ـ الهند ـ ١٩٥١ ـ ١٩٥٢.

ابن حوقل (عاش فى القرن الرابع الهجرى / القرن العاشر الميلادى) ابو القاسم محمد بن على الموصلى الحوقلى البغدادى : صورة الأرض ـ أو كتاب المسالك والممالك والمغاوز والمهالك، بيروت ، (بدون تاريخ.

ابن شاهين (ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م) غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري
كتاب زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك، أعتنى بنشره وتصحيحه بولس روايس ـ باريس ١٨٩٤م

ابن شداد (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٨ ـ ١٢٣٩م) بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة :

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين تحقيق د. جمال الدين الشيال . ط . أولى القاهرة ١٩٦٤

ابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢ هـ/ ١٢٩٢م) محي الدين :
«الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر» تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض ١٩٧٦.

ابن العبري (ت ٦٨٥هـ.١٢٨٦م) العلامة غريغوريون ابو الفرج بن أهرون الطبيب المظلي :
تاريخ مختصر الدول . بيروت . (بدون تاريخ).

ابن العديم (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) كمال الدين ابى القاسم عمر بن احمد بن هبة الله :
زبدة الحلب من تاريخ حلب، نشر وتحقيق سامى الدهان، المعهد العلمى الفرنسى للدراسات العربية دمشق، جـ١ ، ١٩٥١، جـ ٢ ـ ١٩٥٤، جـ ٣ ـ ١٩٦٧.

ابن القلانسى : (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) ابو يعلى حمزة بن أسد بن على بن محمد : «ذيل تاريخ دمشق، تتلوه نخب من تواريخ ابن الازرقى الفارقى وسبط ابن الجوزى والحافظ الذهني . بيروت ، ١٩٠٨.

ابن كثير القرشى : (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م) عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن عمر : البداية والنهاية فى التاريخ ـ ١٤ جزء فى ٧ مجلدات ، ط . ثانية، بيروت، ١٩٧٧.

ابن منقذ : (ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م) مؤيد الدولة ابو المظفر أسامة بن مرشد: كتاب الاعتبار ـ نشر فيليب حتى، برنستون ،

.١٩٣٠

ابن ميسر : (ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨ ـ ١٢٧٩م) محمد بن على بن يوسف بن جلب : تخبار مصر، اعتنى بنشره هنرى ماسيه، ٢ جـ، القاهرة ١٩١٩.

ابن واصـل : (ت ٦٩٧هـ.١٢٩٨م) جمال الدين ابو عبدالله محمد بن سالم ابن واصل :
مفرج الكروب ف تخبار بنى ايوب ـ الأجزاء ١ ـ ٣ تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٣ ـ ١٩٦٠، جزء ٤ ـ ٥ تحقيق د. حسنين محمد ربيه ومراجعة د. سعيد عبد الفتاح عاشور. القاهرة ١٩٧٢، ١٩٧٧.

ابو شامة : (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م) شهاب الدين ابى محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسى الشافعى :
١ ـ الروضتين فى اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ٢ جـ مطبعة وادى النيل ١٢٨٧ ـ ١٢٨٨هـ.
٢ ـ تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتيت نشر السيد عزت العطار الحسينى. ط. ثانية، بيروت ١٩٧٤.

ابو الفـدا : (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١ ـ ١٣٣٢م) الملك المؤيد عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن على :
١ ـ المختصر فى أخبار البشر، ويعرف بتاريخ أبى الفدا ـ ٤أجزاء كل جزءان فى مجلد واحد ، ط ثانية، القاهرة ١٩٠٦.

٢ ـ تقسيم البلدان، نشر رينو وويلسون، باريس ١٨٤٠م.

صورة بالاوفست ـ مكتبة المثنى ببغداد.

أبو المحاسن : (انظر ابن تغرى بردى).

الاشراف الفسانى : (ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠١م) عماد الدين أبو العباس اسماعيل ابن العباس :
العسجد المسبوك والجوهر المحكوك فى طبقات الخلفاء، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، بغداد ، ١٩٧٥م.

الاصفهانى : (ت ٥٩٧هـ.١٢٠١م) عماد الدين محمد بن محمد بن حامد : الفتح القسى فى الفتح القدسى، تحقيق محمد محمود صبيح، القاهرة ١٩٦٥.

البنداري : (ت ٦٢٢هـ. ١٢٢٥م) الفتح بن على :
سنا البرق الشامى. (اختصار كتاب البرق الشامى للعماد الكتاب الاصفهانى)، تحقيق د. فتحية النبراوى، القاهرة ١٩٧٩.

البلاذرى : (ت ٢٧٥هـ/٨٩٢م) ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر : فتوح البلدان ، بريل ١٨٦٦.

الدمشقى : (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٧م) محمد بن أبى طالب الانصارى الصوفى المعروف بشيخ الربوة والمكنى بالدمشقى :
نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ليبزج ١٩٢٣.

الذهبى : (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان قايماز شمس الدين :
١ ـ دول الاسلام ، ٢ جـ فى مجلد واحد، تحقيق فهيم محمد شلتوت، ومحمد مصطفى ابراهيم ـ القاهرة ١٩٧٤.

٢ ـ العبر في خبر من غبر، الجزء الثالث، تحقيق فؤاد سيد الكويت ١٩٦١، جـ٤ تحقيق د. صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٦٣.

القزوينـــي : (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) ابو عبدالله زكريا بن محمد محمود : آثار البلاد واخبار العباد، بيروت ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

القلقشنـــدي : (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) ابو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود : صبح الاعشى في صناعة الانشا ـ ١٤ جـ القاهرة ١٩١٣ ـ ١٩٢٠م.

المقدســـي : (عاش في القرن الرابع الهجري / القرن العاشر الميلادي) شمس الدين ابو عبد الله المعروف بالبشاري :
أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، صورة بالزوفست عن طبعة ليدن ـ بريل ١٩٠٦م، بغداد.

المقريـــزي : (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) تقي الدين ابو العباس احمد :
١ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزءان الاول والثاني، كل جزء في ثلاثة أقسام. تحقيق د. محمد مصطفي زيادة. القاهرة ١٩٣٩ ـ ١٩٥٨.
٢ ـ اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء + جـ١، نشر وتحقيق د. جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٤٣، جـ٢ . جـ٣ نشر وتحقيق د. محمد حلمي احمد، القاهرة ١٩٧١.
٣ ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، صورة بالاوفست عن طبعة بولاق ١٢٧٠هـ.

ناصر خسرو علوي : (ت ٤٥٣هـ / ١٠٦١م) ابو معين الدين :
سفر نامة ـ نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه د. يحيى

الخشاب القاهرة ١٩٤٥.

ياقوت الرومي الحموي :

(ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله شهاب الدين :

١ ـ معجم البلدان ، ٥ أجزاء ، بيروت ١٩٧.

٢ ـ المشترك وضعا المفترق صقعا. مكتبة المثني ببغداد (بون تاريخ).

رابعا : المراجع الاجنبية

Atiya, A.S., The Crusade of the Later Middle Ages. London, 1938.

Benvenisti, M., The Crusaders in the Holy Land, Second Printing London. , 1979.

Beyer, G., Das Gebiet der Kreuzfahrehreschaft Cawsarea in Palastina siedlungs - und territorial - gesxhihtli in ZDPV, 1936.

Cahen, G., La Syrie de Nord a l'Epoque des Croisades et la principaute Franque d'Antioche. Paris, 1940.

Chalandon, F., Histoire de la Premiére Crpisade. Paris, 1925.

Conder, C.R. The Latin Kingdom of Jerusalem. London, 1897.

Duggan, A., The story of the Crusades. London, 1963.

Grousset. R. Histoire des Croisades et du Royaume France de Jerusalem, 3 Vols. Paris, 1948.

Hagen mayer, H.,

- Chronologie de la Premiére Croisade., in R.O.L., Vol. VII. Paris, 1900 - 1.
- Chronologie d l'histoire du royaume de jerusalem. Regne de Baudouin I (1100 - 1118) in R.O.L. Vol. VIII, Paris, 1900-1.

Heyd, W., Histoire du commerce du levant. 2 vols. Amasterdam, 1967.

King. E.J., The Knights Hopitallers in the Holy Land. London - 1931.

La Monte, J. L.,

- Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem - 1100- 1291. Massach usetts, 1932.
- The Lords of Caesarea in the Period of the Crusades, in Speculm, vol. XXII. Cambridge,1947.

Mayer. H. E., The Crusades. trans. by J. Gillingham. Oxford, 1972.

Muir's Historical Atlas (ancient and classical) London, 1976.

Müller, W., Catles of the Crusaders. London, 1966.

Ostrogorsky. History of the Byzantine State, trans. by J. Hussey, Oxford, 1959.

Prawer, J., The Latin Kingdom of Jerusalem. European Colonialism in the Middle Ages. London, 1972.

Rey, E.G., Les Famillies d'Outre-mer de Du Cange, Publiées par M.E.G. Rey. Paris, 1869.

Riant, C., Inventaire critique des lettres historiques de croisades - in A. O. L., t. I., Paris, 1881.

Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, translated by J. Shirley, 2 vols. Amsterdam 1979.

Röhricht, R.,

1 - Geschichte des Königreichs Jerusalem (1100-

1291). Innsbruck, 1889.

2 - Regesta Hierosolymitani. Innsbruck, 1893.

3 - Geachichte des Ersten Kreuzzuges. Innsbruck,1901.

4 - Geschichte des Funften Kreuzzuges. Innsbruck. 1901.

5 - Etudes sur les derniers temps du royaume de Jerusalem. Les combats du Sultan Bibars contre les chrétiens en Syrie (1261- 1277) in A. O.L. t. II. Paris. 1887.

6 - La Croisade du prince Edouard d'Angleterre (1270-1274), in A. O. L. t. I. Paris, 1881.

Rotthier, M. B.,

Ancient and Modern Palesting. From the French of Brother Lievin de Hamme. Fourth Edition. 2 vlos. New York, 1898.

Runciman, s., The History of the Crusades, 3 vols. London, 1971.

Schlumberger,

1 - Campanges du roi Amaury de Jerusalem en Egypte an XII siecle. Paris, 1906.

2 - Monnaie inédite de Cirard ou Gérard Comte de Sagéte ou Sidon. in, A. O. L. t. I. pp. 673-5.

Setton, (EA.), A history of the Crusades. 4 vols, Philadelphia,

1958.

Smail. R. c.,

1 - The crusaders in Syria and the Holy Land. London, 1973.

2 - Crusading warfare 1097 - 1193. London, 1956.

Smith, G.A., Historical Geography of the Holy Land. London, 1909.

Stevenson, W. B., The Crusaders in the East. Beirut, 1968.

Tarn and Griffith, Hellenistic Civilization, London, 1974.

Terece. H., The Crusades, New Youk, 1964.

Vasilliev, A., History of the Byzantine Empire, 2 vols. Madison, 1973.

خامساً : المراجع العربية والمعربة

ابراهيم خميس ابراهيم (دكتور)

جماعة الفرسان الداوية وعلاقاتهم السياسية بالمسلمين فى الشرق الادنى حتى نهاية حكم صلاح الدين الايوبى.

(١١١٨ ـ ١١٩٣م) ٥١٢ ـ ٥٨٩هـ)

رسالة ماجستير لم تنشر بعد، الاسكندرية ١٩٨.

احمد مختار العبادى :(دكتور)

قيام ددولة المماليك الأولى فى مصر، بيروت ، ١٩٦٩.

اسامة زكى زيد : (دكتور)

صيدا ودورها فى الصراع الصليبى الاسلامى، الاسكندرية ، ١٩٨١.

بيرسمالى : المؤرخون فى العصور الوسطى، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، القاهرة ١٩٧٨.

جوزيف نسيم يوسف : (دكتور)

١ـ العرب والروم في الحرب الصليبية الاولي. ط. ثانية، الأسكندرية ١٩٦٧.

٢ ـ العدوان الصليبى على مصر. هزيمة لويس التاسع فى المنصورة وفارسكور . الاسكندرية ١٩٦٩.

٣ ـ العدوان الصليبى على بلاد الشام. هزيمة لويس التاسع فى الاراضى المقدسة الاسكندرية ١٩٧١.

٤ ـ الوحدة وحركات اليقظة العربية ابان العدوان الصليبى . الاسكندر ١٩٦٧.

٥ ـ دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى الاسكندرية (تحت الطبع)

حسن جبشي : (دكتور)

نور الدين محمود والصيبيبيون ، القاهرة ١٩٤٨.

حسن عبد الوهاب حسين (دكتور): تاريخ جماعة الفرسان التيوتون فى الأراضى المقدسة. الاسكندرية ١٩٨٩.

حسين أمين : (دكتور)

تاريخ العراق فى العصر السلجوقى . بغداد، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

حسين عطية (دكتور)

امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسة بالدول الاسلامية المجاورة . ١٠٩٨ . ١١٧١م/٤٩٢ . ٥٧٦هـ الاسكندرية ١٩٨١ (رسالة ماجستير لم تنشر بعد)

درويش محفوظ النخيلى : (دكتور) :

فتح الفاطميين للشام في مرحلته الاولى من ٣٥٨ إلى ٣٦٢هـ، دراسة فى المصادر والمراجع . الاسكندرية، ١٩٧٩.

السيد العرينى : (دكتور)

مصر فى عصر الايوبيين ، القاهرة ١٩٦٠.

السيد عبد العزيز سالم : (دكتور)

١- طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى، الاسكندرية، ١٩٦٧.

٢ - دراسة فى تاريخ صيدا فى العصر الاسلامى، بيروت ١٩٧٠.

٣ - البحرية الاسلامية فى عصر الضعف الفاطمى، فى تاريخ البحرية المصرية، الاسكندرية ١٩٧٣.

سعيد عبد الفتاح عاشور : (دكتور):

١ - الحركة الصليبية - صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى، جزءان ، القاهرة ١٩٦٣.

٢ - أوربا العصور الوسطى، التاريخ السياسى، القاهرة ط. خامسة، ١٩٧٢.

٣ - مصر فى عصر دولة المماليك البحرية، القاهرة ، ١٩٥٩.

سهيل زكـــار :

مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ط ثالثة، بيروت ١٩٧٥.

عبد المنعم ماجد : (دكتور) :

١ - التاريخ السياسى للدولة العربية فى عصر الخلفاء الامويين، ط. سادسة ، القاهرة ١٩٧١.

٢ - ظهور خلافة الفاطميين فى مصر وسقوطها ، التاريخ السياسى، القاهرة ١٩٧٧.

عبد الرحمن زكى : (دكتور):

القلاع فى العصور الوسطى - مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد السابع، سنة ١٩٥٨.

عمر كمال توفيق : (دكتور) :

١ - مقدمات العدوان الصليبى، الامبراطور حنا تزيمسكس وسياسته الشرقية، الاسكندرية ١٩٦٦.

٢ - المؤرخ وليام الصورى . مجلة كلية الاداب، جامعة الاسكندرية، العدد ٢١ . ١٩٦٧، ص ١٨١ - ٢٠٠ .

٣ - مملكة بيت المقدس الصليبية، الاسكندرية ، ١٩٥٨.

علي محمد فهمي :

دور الصناعة والمراكز البحرية في سورية وافريقية وكريت مقال في تاريخ البحرية المصرية ، الاسكندرية ١٩٧٣.

فتحي عثمان : (دكتور)

الحدود الاسلامية البيزنطية ، ٣ أجزاء ، القاهرة ١٩٦٦.

قاسم عبده قاسم : (دكتور) :

دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي ، عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٧٩.

محمد جمال الدين سرور : (دكتور) :

١. دولة الظاهر بيبرس في مصر ، القاهرة ١٩٦٠.

٢ ـ مصر في عصر الفاطميين ، القاهرة ١٩٦٠.

٣ ـ سياسة الفاطميين الخارجية، القاهرة ١٩٦٧.

محمد عبد الهادى شعيرة : (دكتور) :

الرملة ورباطاتها السبعة في القرن الرابع الهجرى قبيل الحروب الصليبية ـ نظام دائرى ـ مقال في مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية. المجلد ١٥، القاهرة ١٩٦٩.

محمد محمد مرسى الشيخ : (دكتور)

الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها. الاسكندرية ١٩٧٤.

محمد كرد علي :

خطط الشام ـ ٦ أجزاء في ثلاث مجلدات ، ط. ثانية بيروت

١٩٦٩ ـ ١٩٧٢.

محمود سعيد عمران : (دكتور) :

الحملة الصليبية الخامسة ـ حملة جان دى برين على مصر.
(١٢١٨ ـ ١٢٢١م/ ٦١٥ ـ ٦١٨هـ). الاسكندرية ١٩٧٨.

مصطفي حسن محمد الكنانى : (دكتور):

١ ـ العلاقات بين جنوه والفاطميين فى الشرق الأدنى (١٠٩٥ ـ ١١٧١م/٤٨٨ ـ ٥٦٧هـ) . الاسكندرية ١٩٨١.

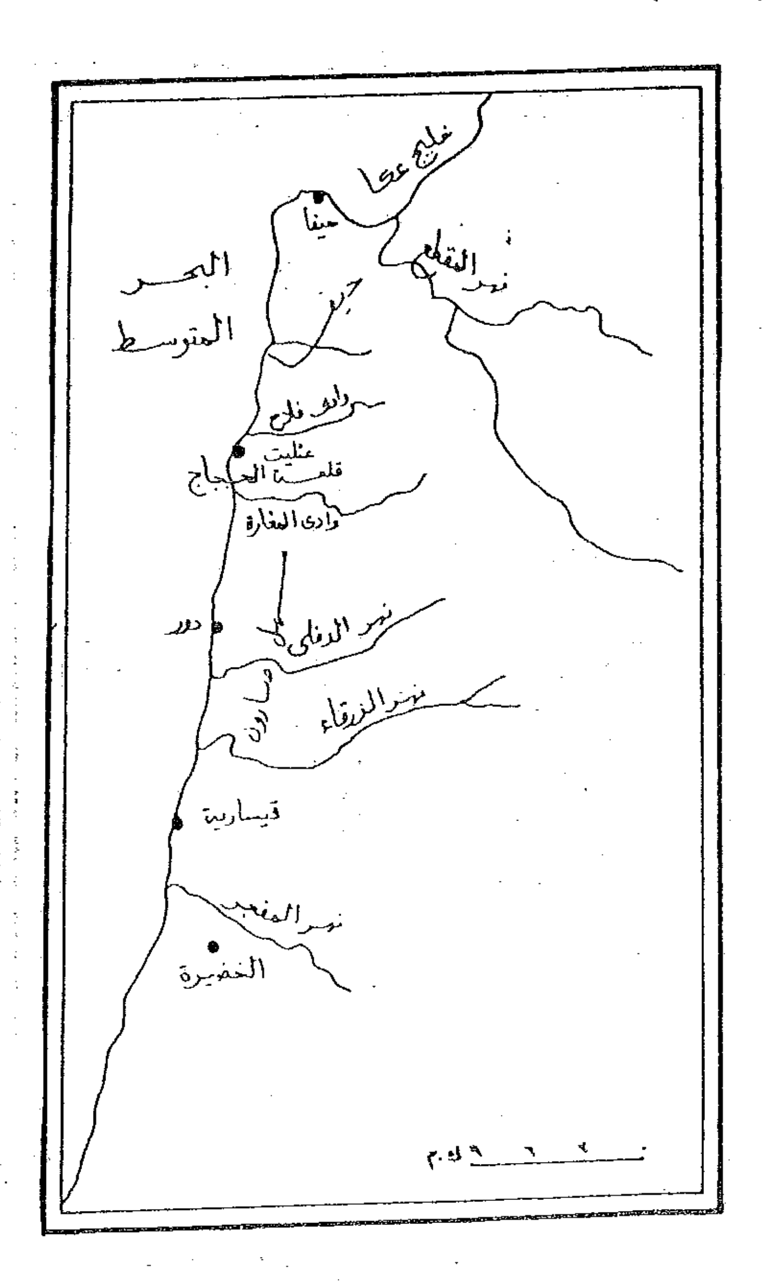
مصطفي مراد الدباغ:

بلادنا فلسطين ـ الجزء السابع ، الجزء التاسع، بيروت، ١٩٧٤، ١٩٧٥.

يوشع براور :

عالم الصليبيين . ترجمة وتعقيب د. قاسم عبده قاسم، د. محمد خليفة حسن، القاهرة ١٩٨٢.

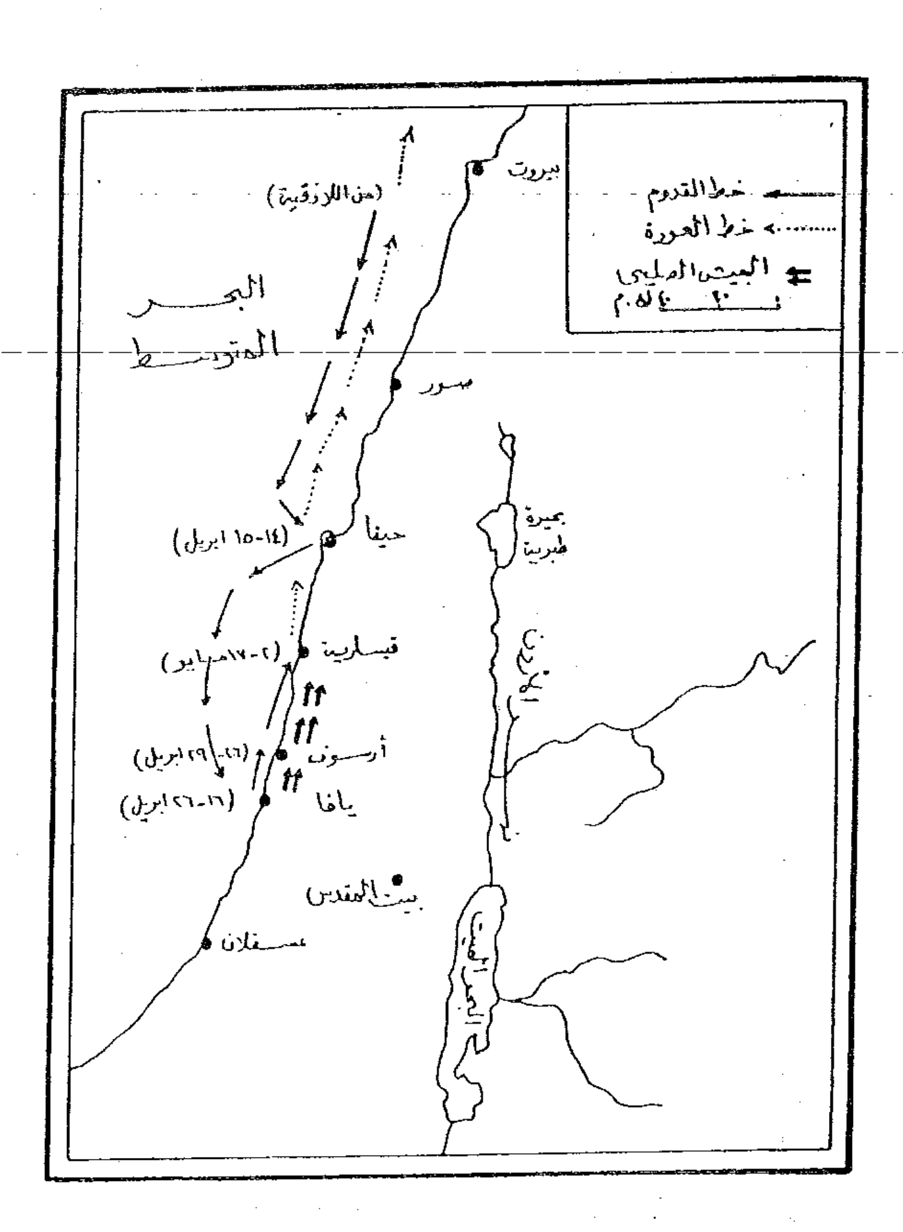
خريطة رقم (١)



أهم الأنهار التي تجري في إقطاعية قيسارية

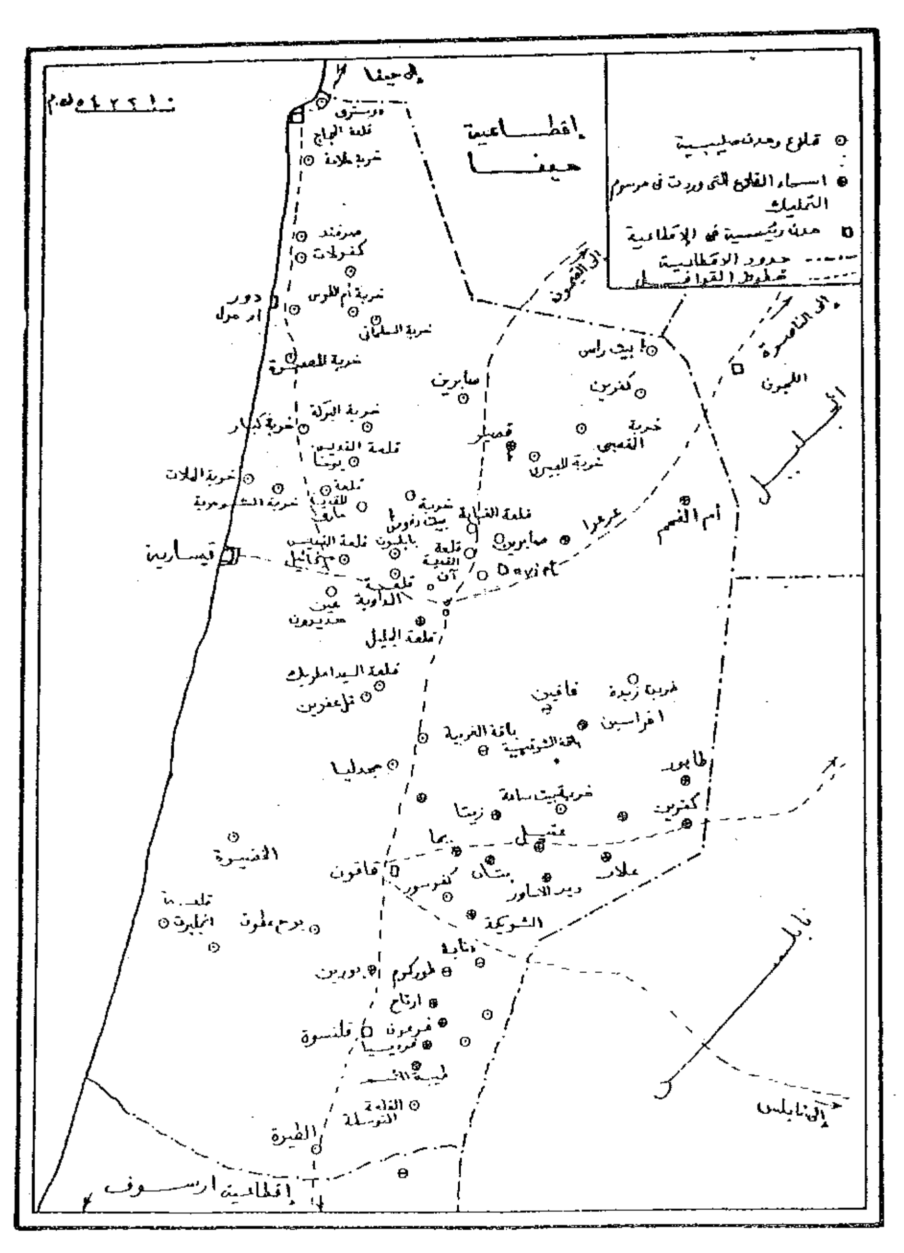
نقلا عن : مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين ، جـ ٧، ق ٢، ص ٤٦٦

خريطة رقم (٢)



خريطة توضيح مسير الجيش الصليبي والاسطول الجنوي للاستيلاء على قيسارية في ٤٩٤هـ / ١١٠١م

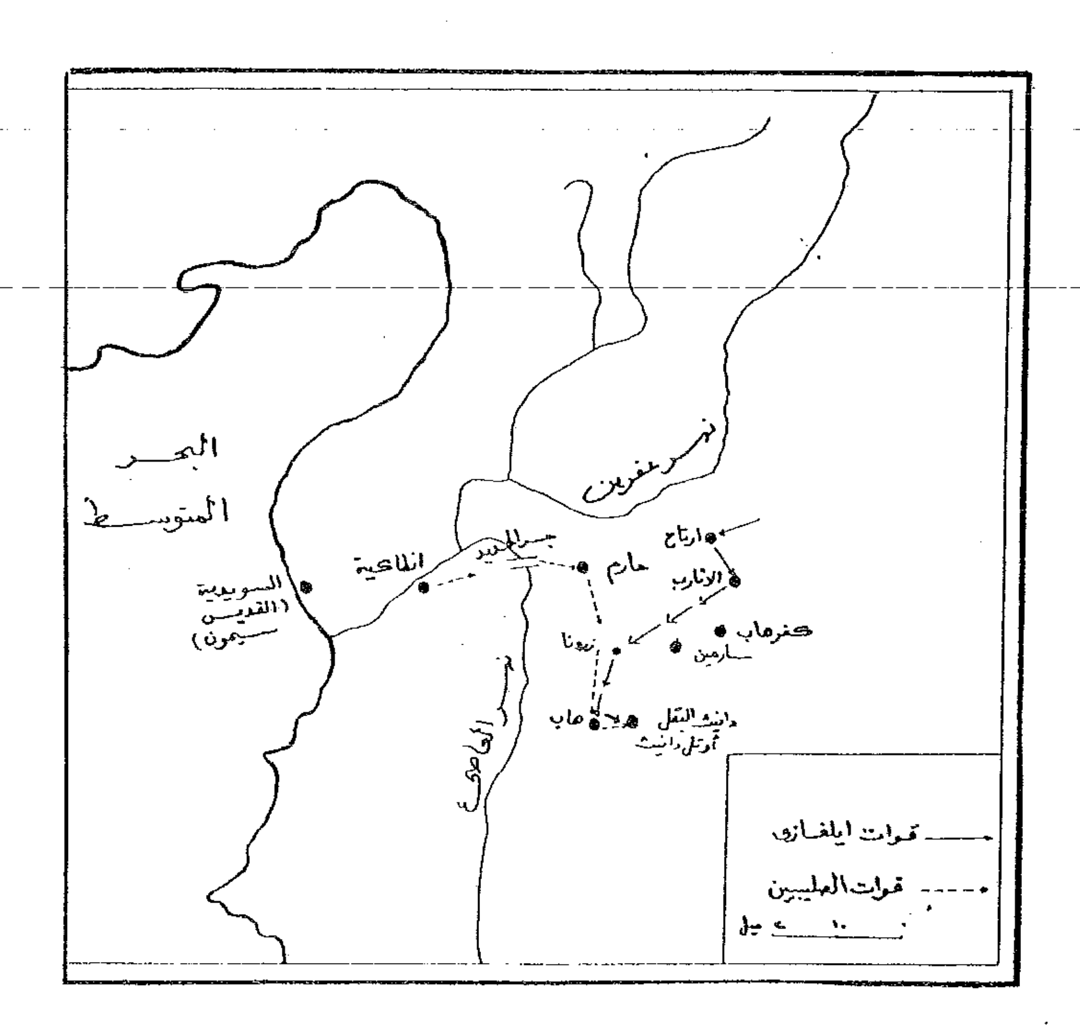
خريطة رقم (٣)



أقطاعية قيسارية فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلادى

القرن السادس والسابع الهجرى . نقلا عن : Beyer : op. cit.

خريطة رقم (٤)

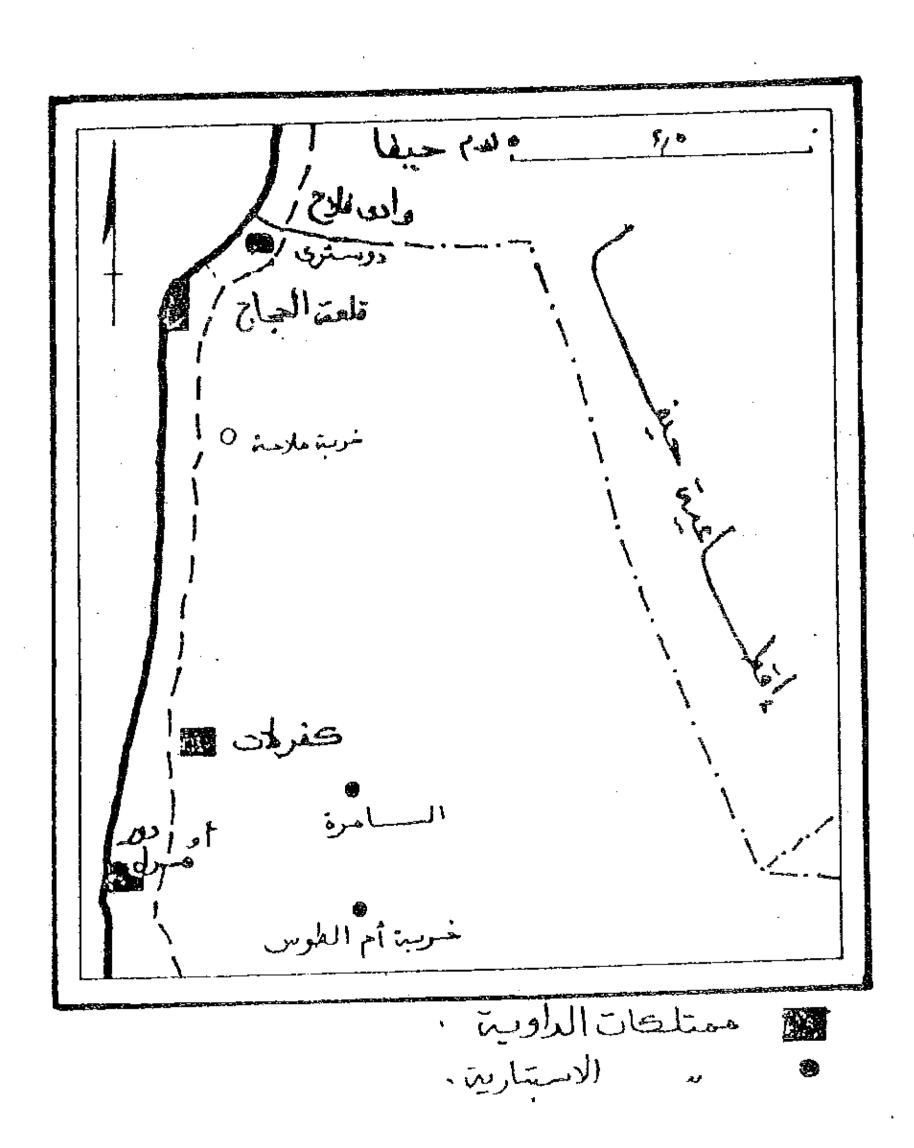


خط سير بلدوين الثاني ملك بيت المقدس وايلغازي

صاحب ماردين في معركة تل دانيث (أغسطس ١١١٩م/ جمادى

الأولى ٥١٣هـ)

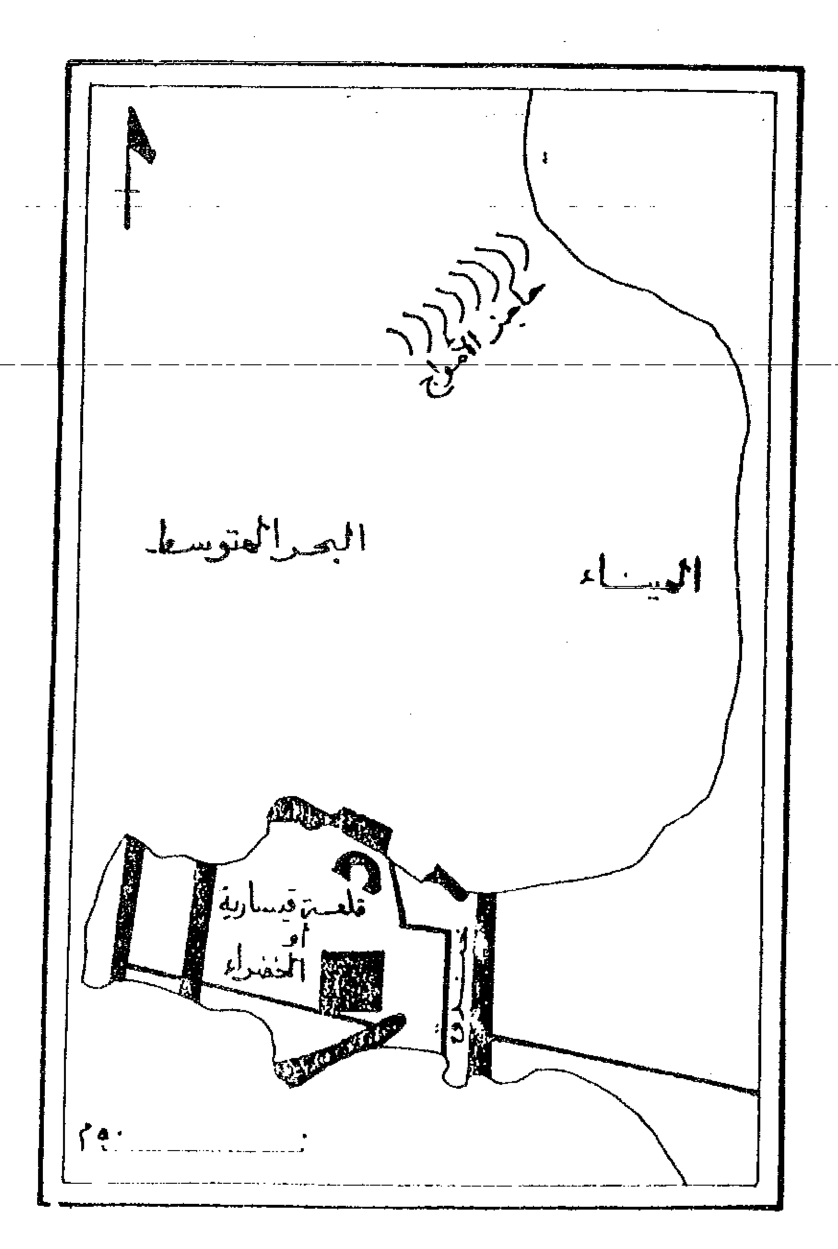
خريطة رقم (٥)



ممتلكات جماعتي الفرسان الداوية والاسبتارية فى شمال إقطاعية قيسارية فى القرن الثالث عشر / القرن السابع هـ نقلا عن :

Beyer, op. cit., pp. 8 - 9.

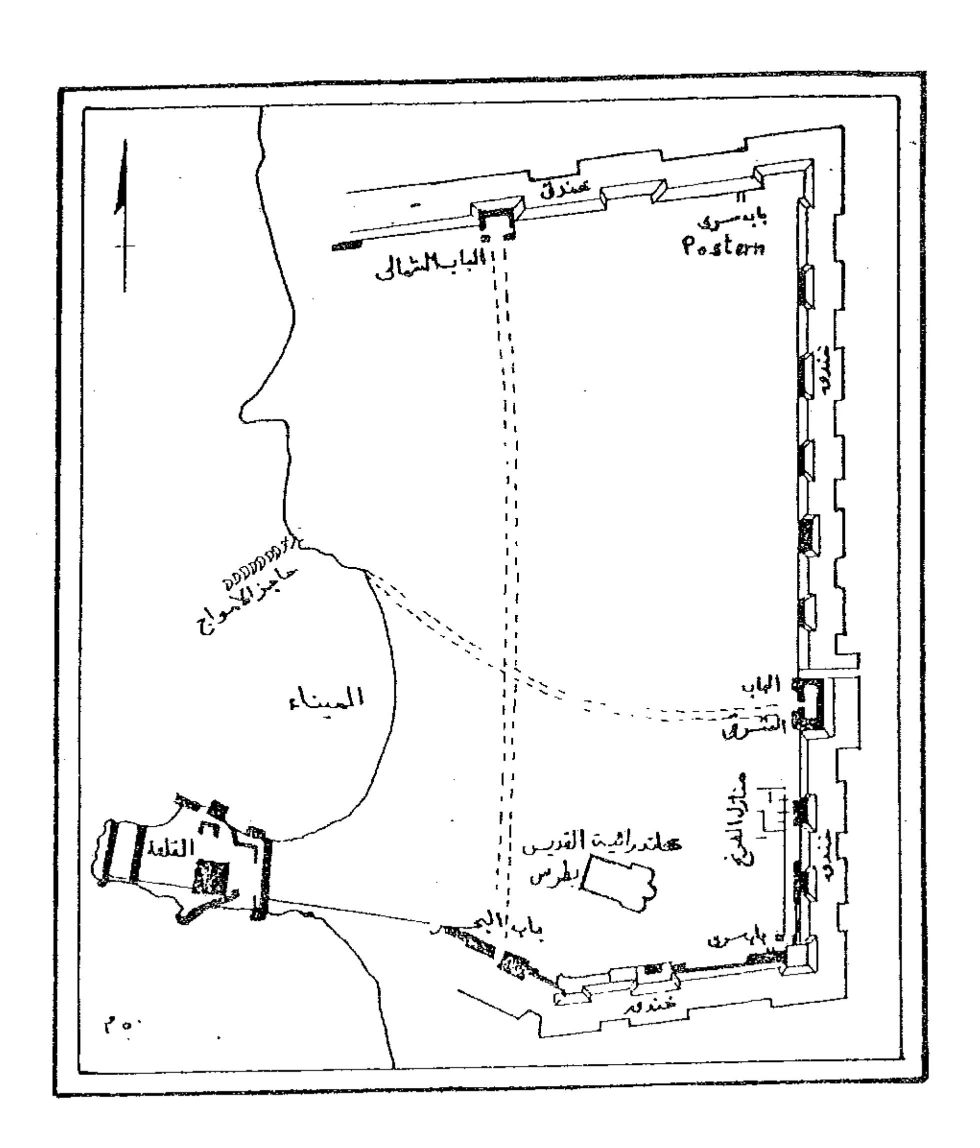
رسم تخطيطي رقم (١)



قلعة قيسارية أو «الخضراء»

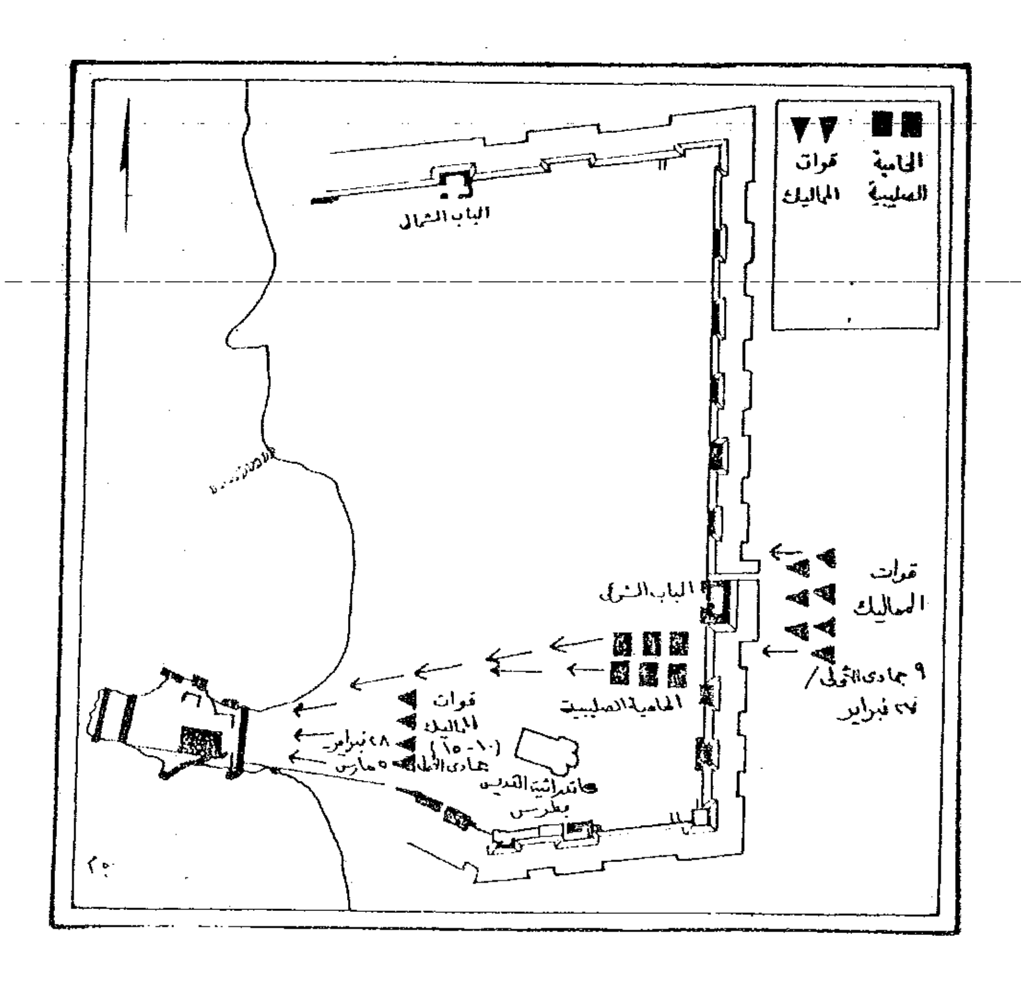
نقلا عن Benvenisti, op. cit., p. 140

رسم تخطيطى رقم (٢)



تخطيط مدينة قيسارية بعد إستكمال لويس التاسع لبنائها فى عام ١٢٥٢م / ٦٥٠هـ. نقلا عن Benvenisti, op. cit., p. 140

رسم تخطيطي رقم (٣)



حصار المماليك لقيسارية في ٩ ـ ١٥ جمادي الأول . ٢٧ فبراير ـ ٥ مارس .

محتويات الكتاب

،مؤلف مجهول.

- ثانيا : المراجع :

١ ـ المراجع الثانوية الأجنبية.

٢ - المراجع الثانوية العربية.

الفصل الأول

استيلاء الصليبيين على قيسارية وتأسيس اقطاعية صليبية بها (١١٠١ـ ١١١٠م/ ٤٩٤ ـ ٥٠٤هـ).

- عرض موجز لتاريخ المدينة منذ انشائها حتى قبيل الحركة الصليبية.
- الصراع بين السلاجقة والفاطميين في بلاد الشام، وموقف المدنية من هذا الصراع قبيل مقدم الحملة الصليبية الأولى.
- علاقة جود فرى دى بويون (١٠٩٩ ـ ١١٠٠م/٤٩٢ ـ ٤٩٣هـ) حاكم بيت المقدس بمدن الساحل الاسلامي ومن بينها قيسارية.
- سياسة بلدوين الأول (١١٠٠ ـ ١١١٨م/٤٩٣ ـ ٥١١هـ) ملك بيت المقدس تجاه مدن الساحل الاسلامي :

أ. اتفاق مارس ١١٠١م/ جمادى الأول ٤٩٤هـ مع هذه المدن، ومن بينها قيسارية

ب ـ وصول الأسطول الجنوى إلى يافا فى ابريل ١١٠١م/ جمادى الأخرة ٤٩٤هـ، ودوره فى مساعدة بلدوين الأول للإستيلاء على قيسارية.

- محاولة الفاطميين استرداد قيسارية فى عام ١١٠٤م/٤٩٧هـ على قيسارية بعد سقوطها فى قبضة الصليبيين.

- آراء المؤرخين القدامى والحديثين حول تاريخ منح بلدوين الأول الإقطاعية ليوستاش جارنييه، وعلاقة الإقطاعية بمملكة بيت المقدس الصليبية.
- إقطاعية قيسارية الصليبية : جغرافيتها وطبوغرافيتها وموقعها وحدودها، وأهمية ذلك بالنسبة لموضوع البحث.

الفصل الثانى

فترة الحكم الصليبى لإقطاعية قيسارية فى ظل حكم أسرة يوستاش جارنييه (١١١٠ ـ ١١٨٢م/ ٤٠٤ ـ ٥٧٨هـ).

- تولى يوستاش جارنييه حكم الإقطاعية (١١١٠ ـ ١١٢٣م/ ٤٠٥ ـ ٥١٧هـ) وعلاقاته بالمسلمين.
- مشاركة ايفرمار رئيس أساقفة قيسارية في معركة تل دانيث ضد ايلغازى صاحب ماردين فى عام ١١١٩م/٥١٣هـ.
- وفاة يوشتاس جارنييه وتولى ابنه جوتييه الأول حكم قيسارية (١١٢٣ ـ ١١٤٩م/٥١٧ ـ ٦٤٤هـ)، ودوره في أحداث الحملة الصليبية الثانية.
- يوستاش الصغير سيد الإقطاعية (١١٤٩ ـ ١١٥٤م/ ٥٤٤ ـ ٥٤٩هـ)، وأسباب عدم مشاركته فى أحداث المملكة الصليبية، وظهور بلدوين رئيس أساقفة قيسارية بدلا منه فى أحداث استيلاء الصليبيين على عسقلان آخر المعاقل الفاطمية فى عام ١١٥٣م/٥٤٨هـ.
- هيو سيد الاقطاعية (١١٥٤ ـ ١١٦٨م/٥٤٩ ـ ٥٦٣هـ)، ودوره فى الصراع الدائر بين نور الدين محمود وعمورى ملك بيت المقدس للإستيلاء على مصر.

- جاى سيد الاقطاعية (١١٧٤ - ١١٧٦م/ ٥٦٩ - ٥٧٢هـ)، ودوره في أحداث المملكة الصليبية.

الفصل الثالث

الفترة الانتقالية - إقطاعية قيسارية بين المسلمين والصليبيين (١١٨٢ - ١٢١٣م/٥٧٨ - ٦١٠هـ)

- جوتييه الثاني سيد قيسارية (١١٨٢ - ١١٨٧م/٥٧٨ - ٥٨٣هـ)، ودوره فى أحداث المملكة الصليبية.
- استرداد صلاح الدين الأيوبى لقيسارية وتوابعها (١١٨٧ - ١١٩١م/ ٥٨٣ - ٥٨٧هـ)، والنتائج المترتبة على ذلك ، بينما ظل جوتييه يحمل لقبه كسيد اسمى على قيسارية خلال هذه الفترة.
- نجاح ريتشارد قلب الأسد فى استردلد قيسارية، ومنحها إلى جودفرى لوزينان فى أغسطس ١١٩١م/شعبان ٥٨٧هـ.
- لجوء جوليانا وريثة الاقطاعية إلى صلاح الدين الأيوبى. ، ونجاحها فى استرداد توابعها فى عام ١١٩٢م/ ٥٨٨هـ.
- حصول ايماردى لايرون زوج جوليانا على لقب سيد قيسارية (١١٩٣ - ١٢١٣م/ ٥٨٩ - ٦١٠هـ)، ودوره فى احداث المملكة الصليبية الاسمية.

الفصل الرابع

فترة الحكم الصليبى الثانية لإقطاعية قيسارية (١٢١٣ - ١٢٦٥م/ ٦١٠ - ٦٦٣هـ)

- تولى جوتييه الثالث حكم إقطاعية قيسارية (١٢١٣ -

١٢٢٩م/ ٦١٠ ـ ٦٢٦هـ)، ودوره في العلاقات بين الفرنج والأيوبيين في مصر والشام.

- تحصين قيسارية وتشييد قلعتها (فبراير ١٢١٨م/ ذو القعدة ٦١٤هـ) لمواجهة هجمات المسلمين عليها.
- هجوم المعظم عيسي صاحب دمشق على قيسارية وما ثار من نقاش حول تاريخ هذا الهجوم.
- يوحنا سيد قيسارية (١٢٢٩ ـ ١٢٤١م/٦٢٧ ـ ٦٣٨هـ)، ودوره في الصراعات الداخلية فى المملكة الصليبية، وتأثير ذلك علي دوره فى العلاقات مع المسلمين.
- مارجريت سيدة قيسارية (١٢٤٣ ـ ١٢٦٥م/٦٤١ ـ ٦٦٣هـ)، ودور زوجها يوحنا اليمان في العلاقات مع المسلمين.
- تحصين لويس التاسع لقيسارية فى ١٢٥١م ـ ١٢٥٢م/ ٦٤٩ ـ ٦٥٠هـ، وأثر ذلك عليها حتى قبل استعادة المماليك لها.

الفصل الخامس

استرداد المماليك لإقطاعية قيسارية (٩ ـ ١٥ جمادى الأول ٦٦٣هـ/٢٧ فبراير ـ ٥ مارس ١٢٦٥م)

- أحوال كل من إفرنج الشام والمماليك قبل استرداد قيسارية.
- تولى الظاهر بيبرس الحكم فى مصر (٦٥٨ ـ ٦٧٦هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٢٧٧م) ، وسياسته تجاه الصليبيين فى الشام.
- استرداد قيسارية وتوابعها :

استعداد المماليك وبناء آلات الحصار ـ مواقع الجيشين الصليبى والمملوكى ـ تفاصيل حصار المماليك للمدينة واستيلائهم عليها ـ محاولات المماليك لاسترداد القلعة ـ سقوطها فى ١٥ جمادى

الأول ٦٦٣هـ / ٥ مارس ١٢٦٥م.

- حملة الأمير الإنجليزى إدوارد على بلاد الشام (١٢٧٠ - ١٢٧٢م/٦٦٩ - ٦٧١هـ)، ومهاجمته لمدينة قاقون التى حلت محل قيسارية.
- نهاية الوجود الصليبى فى بلاد الشام فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى / القرن السابع الهجري.

الخاتمــــــــة

- بعض جوانب العلاقات الاخرى بين إقطاعية قيسارية وجيرانها المسلمين ، وعلاقة سادتها بالمسلمين واليهود في داخلها.
- نظرة شاملة للقوي المتصارعة فوق الشرق الأدنى ابان الفترة الزمنية موضوع البحث.
- تقييم لدور قيسارية فى الصراع الصليبى الاسلامى
- أبرز قضايا البحث وأهم الآراء والاستنتاجات التى تم التوصل اليها.
- قيسارية بعد استرداد المماليك لها.

الملاحــــــــق

- الملحق الأول : وصف المؤرخ اللاتينى البرت اكس للإغارة التى تعرضت لها قيسارية من قبل حامية عسقلان الفاطمية فى عام ١١٠٤م/ ٤٩٧هـ. نقلا عن :

Alber d'Aix, Historia Hierosolymitana, in R.H.C. - H. Occ., vol IV, Paris, 1879, pp. 608 - 9

- الملحق الثانى : وصف إغارة المعظم عيسى صاحب دمشق على

قيسارية فى ظل حكم اللاتين لها أثناء الحملة الصليبية الخامسة على مصر (١٢١٨ - ١٢٢١م/ ٦١٥ - ٦١٨هـ) نقلا عن :

L'Estoire d'Eracles Emperur et la Conqueste de la Terre d'Outre-mer, in R.H.C. - H. Ovv, Vol. II, Paris, 1859, P. 334.

- الملحق الثالث : نص المؤرخ العينى عن مهاجمة الظاهر بيبرس لقيسارية فى ٩ جمادى الاولي ٦٦٣هـ/٢٧ فبراير ١٢٦٥م، ولجاحه فى استردادها من الصليبيين. نقلا عن : العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، جـ ١٨، مجلد ٥٤، لوحة ٥١٤ - ٥١٥.

- الملحق الرابع : أسماء سادة قيسارية وتسلسل نسبهم نقلا عن :

Rey, Les Famillies d'Outre - mer de du Cange, Paris, 1869, pp. 656 - 9., Hazard, Caesarea and The Crusades, p. 89.

- الملحق: الخامس

أ - توابع اقطاعية قيسارية أثناء تبعيتها لحكم اللاتين، نقلا عن

Beyer, G., Das Gebiet Caesarea, in Z. D. P. V, 1936, PP. 5 ff.

ب- التوابع الأخرى التى وردت في موسوم التمليك الذى أصدره الظاهر بيبرس لحصر هذه التوابع ، مع عقد مقارنة لأسمائها من واقع خمسة من المصادر العربية الخطية والمطبوعة.

قائمة المصادر والمراجع

فهرست اللوحات والخرائط والرسوم التخطيطية

- لوحة رقم (١): منظر يمثل قلعة قيسارية عند اكتشافها في عام ١٩٦٠م. نقلا عن :

Müller, W. Castles of the Crusades.

- لوحة رقم (٢) : منظر للباب الرئيسى والموجود في السور الشرقي لها. نقلا عن :

Müller, op. cit., P. .

- لوحة رقم (٣): منظر للسور الشرقى لقيسارية عند اكتشافه عام ١٩٦٠م. نقلا عن :

Müller, op. cit;, P. .

- خريطة رقم (١): خط سير كل من الأسطول الجنوى والجيش الصليبى للاستيلاء على قيسارية.

- خريطة رقم (٢): أهم الأنهار الى تجرى فى اقطاعية قيسارية نقلا عن مصطفى الدباغ : بلاد فلسطين، جـ ٧ ، ص ٤٦٦.

- خريطة رقم (٣) : اقطاعية قيسارية وحدودها وتوابعها في القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين / القرنين السادس والسابع الهجري . نقلا. عن :

Beyer, op. cit, pp. 8 - 9

- خريطة رقم (٤) : خط سير كل من بلدوين الثانى ملك بيت المقدس وايلغازى صاحب ماردين في معركة تل دانيث أغسطس ١١١٩م/ جمادى الأولى ٥١٣هـ.

- خريطة رقم (٥) : ممتلكات جماعتى الفرسان الداوية والاسبتارية في قيسارية فى القرن الثالث عشر الميلادى/ القرن السابع الهجرى ، نقلا عن :

Beyer, op. cit., pp. 8-9

- رسم تخطيطى رقم (١) : تخطيط لقلعة قيسارية بعد انشائها عام ١٢١٨م/٦١٤هـ نقلا عن :

Müller, op. cit., P.

- رسم تخطيطى رقم (٢) : تخطيط مدينة قيسارية بعد استكمال بناء تحصيناتها على يد الملك الفرنسى لويس التاسع فى عام ١٢٥٢م/٦٤٩هـ نقلا عن :

Benvenisti, op. cit., p. 140.

- رسم تخطيطي رقم (٣): تخطيط لكيفية مهاجمة الظاهر بيبرس لقيسارية واستردادها نهائيا فى عام ١٢٦٥م/٦٦٣هـ.

كشاف أبجدى عام

(أ)

(ب)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)